منبر الإسلام

مع العدد هدية (الفردوس) مجلة الطفل المسلم

بسم الله الرحمن الرحيم

شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس
وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم
الشهر فليصمه
صدق الله العظيم

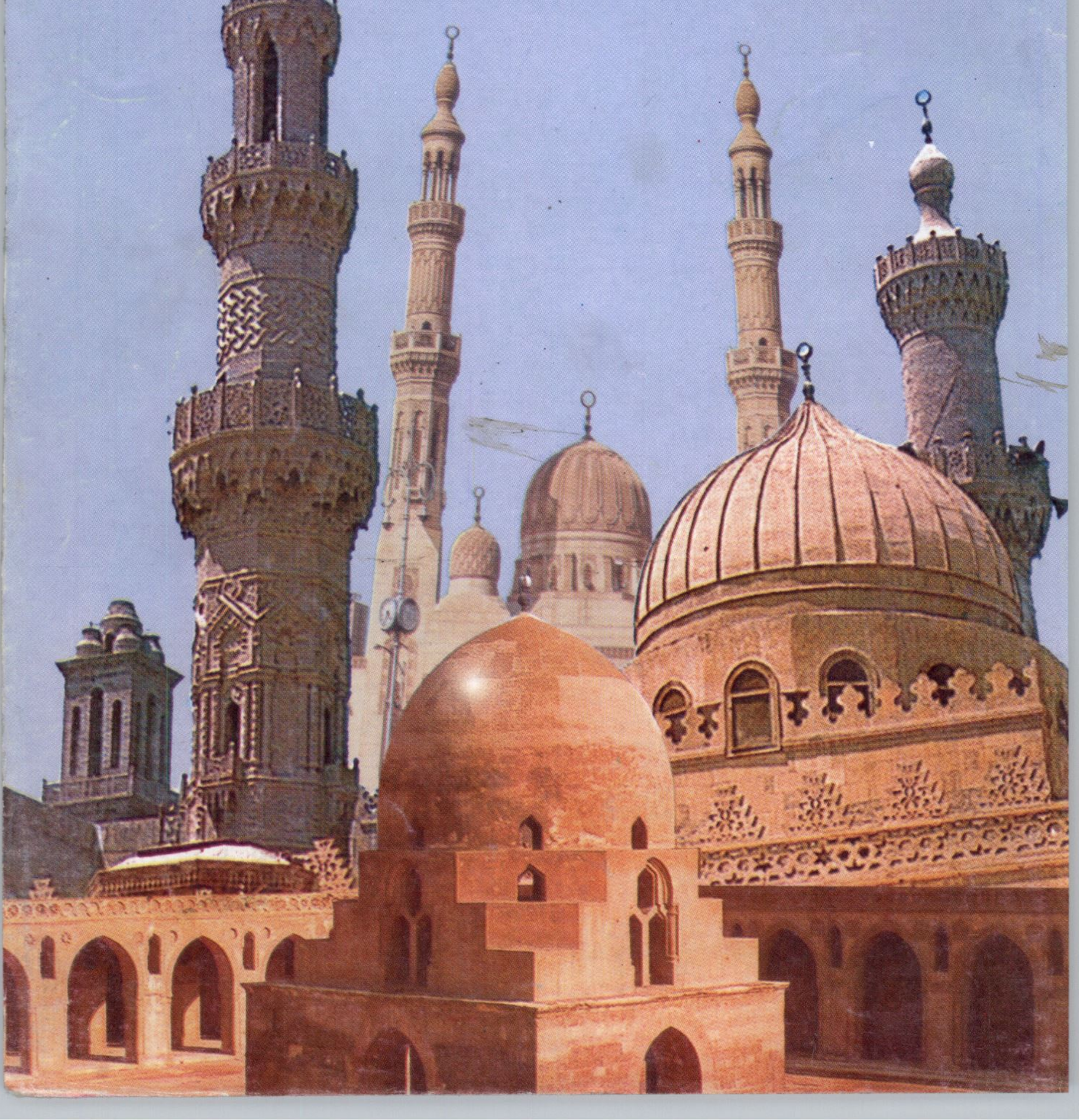

من محتويات العدد

* تفسـير آيـات الصـيام
الدكتور محمد سيد طنطاوى
* آداب التعامل مع الرسول ـ صلى الله عليه وسلم
الدكتور محمود حمدى زقزوق
* الصـيام الكامـل والمقبـول
الدكتور أحمد عمر هاشم
* مكانة الزكاة فى التشريع الإسلامى
الدكتور نصر فريد واصل
* العدل فى العطـاء بين الأغنياء والفقراء
فضيلة الشيخ إبراهيم الدسوقى
* رمضان عيد ميلاد الأمة الإسلامية
الدكتور محمد عمارة
* غـزوة بـدر الكـبرى
الدكتور إبراهيم العدوى
* فى حرب رمضان ١٣٩٣هـ انتهت أسطورة خط بارليف
المؤرخ العسكرى جمال حماد
* دور الجامعـات فى مواجهة الإرهـاب
«ندوة بجامعة القاهرة»

غلاف الشهر

* يزدان غلاف هذا العدد بمجموعة صور من المساجد التى تمثل أجمل وأروع فنون العمارة الإسلامية، وهى فى شهر رمضان الكريم تكون عامرة بالعبادة حيث يصوم المسلمون النهار ويقومون الليل، وفيه خير ليلة اختصها الله سبحانه وتعالى بنزول القرآن حيث يقول: **«إنا أنزلناه فى ليلة القدر. وما أدراك ما ليلة القدر. ليلة القدر خير من ألف شهر. تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر. سلام هى حتى مطلع الفجر»**

الاشتراكات

تطلب الاشتراكات من المجلس الاعلى للشئون الإسلامية ٩ ش النباتات - بجاردن سيتى القاهرة.
الاشتراكات عن سنة كاملة ١٠.٥٠ عشرة جنيهات ونصف بجمهورية مصر العربية.
الاشتراكات عن سنة كاملة ١٧ سبعة عشر دولارا أمريكيا لاتحاد البريد العربى الافريقى «بريد جوى».
الاشتراكات عن سنة كاملة ٣٠ ثلاثون دولارا لدول أوروبا.
الاشتراكات عن سنة كاملة ٣٥ خمسة وثلاثون دولارا فى الولايات المتحدة الأمريكية وكندا ودول شرق آسيا.
الاشتراكات عن سنة كاملة ٦٠ ستون دولارا أمريكيا فى أمريكا الجنوبية واستراليا واليابان.

المراسلات:

٩ ش النباتات ـ بجاردن سيتى ـ القاهرة ـ تليفون: ٣٥٤١٦٢٧ ـ ٣٥٥٨٦٦٤
تلغرافيا ـ منبر الإسلام ـ القاهرة

كلمة التحرير

عزيزى القارئ

نلتقى معك فى عدد جديد على صفحات منبر الإسلام فى شهر رمضان المبارك وهو كعهدك به حافل بدراسات وموضوعات كثيرة فيما يتعلق بالصيام تلك العبادة ذات المكانة فى الإسلام، وهو شهر التقوى والبر والإرادة التى تشكل سلوك الإنسان فيتحول بالصوم إلى نموذج إيجابى يصنع الحياة. ونحن فى هذا الشهر الكريم ومع هذه العبادة التى لا يعلم ثوابها إلا الله نقدم عطاء الصوم ونقدم معارف ضرورية للإنسان المسلم من تفسير القرآن الكريم ومنها ماهو حول الانتصارات العظيمة للمسلمين قديما وحديثا، والمكتبة الإسلامية، كما أفردنا بابا خاصا حول الزكاة ومكانتها فى التشريع الإسلامى، وزيادة فى الحفاوة بقرائنا فى هذه المناسبة الكريمة ننقل للقارئ جهود المؤسسات الدينية والعلمية فى مواجهة الإرهاب الأسود الذى أصاب المجتمع بأسره فجاءت الكلمات فى المؤتمرات الشعبية فى موقع الحادث، وفى ندوة جامعة القاهرة لتعبر عن رفض الإسلام لمثل هذا العمل الإجرامى.

أما الأبواب التى تشترك معنا عزيزى القارئ فى تحريرها فهى فى غنى عن التعريف.

وإلى اللقاء فى العدد القادم إن شاء الله.

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة

منبر الإسلام

تصدرها وزارة الأوقاف

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

رئيس مجلس الإدارة

الدكتور: محمود حمدى زقزوق

وزير الأوقاف

رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

رئيس التحرير

الدكتور: عبد الصبور مرزوق

نائب رئيس المجلس

مجلس التحرير

الدكتور: صوفى أبو طالب

الدكتور: أحمد كمال أبو المجد

الدكتور: أحمد هيكل

حديث الشهر

رمضان كريم

شهر الانتصارات الكبرى فى تاريخ الأمة...

شهر تنزُّل القرآن فى ليلة «القدر»..

شهر المتاب والمآب للذين أسرفوا على أنفسهم ●●● أوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار..

بقلم : رئيس التحرير

هذا التعبير الودود «رمضان كريم» هو تحية الصائمين بعضهم لبعض حين يلتقيان، وكأنما يريد كلُّ أخ لأخيه أن يعتذر له عن عدم قيامه بواجب «الضيافة».. ومع هذا الاعتذار يرجو صاحبه ألا يتهم شهر الصوم أو يلومه لأن «رمضان» كريم!!

ويعكس هذا التعبير «رمضان كريم» بعض قسمات الروح المرح لشعبنا المصرى الودود، الذى يضفى من طبيعته مودة على الأحداث والأيام والشهور.

ولشهر رمضان مع المصريين طقوس وتقاليد شعبية طيبة فى مسائل الطعام والشراب فى رمضان وطريقة إيقاظ الصائمين لتناول السحور، أو فى تسبيحات مؤذن الفجر أو السهرات القرآنية فى «البيوت» و«الدواوير».

لكن «الصوم» باعتباره الركن الرابع من أركان الإسلام له أحكامه

وتعاليمه الشرعية التى لا تأثير عليها للتراث والطقوس الشعبية، وإنما يحكمها شرع الله الذى يقدر لكل حالة حكمها لدفع الحرج وتقدير «الأعذار» من «ضعف» «و «مرض» أو «شيخوخة» وغيرها.

وكثيرون يتحدثون عن فوائد «الصوم» فى تحسين الصحة وتقوية الإرادة الشخصية وغيرها.. لكن الحقيقة أن هذه الفريضة «فريضة الصوم»« إنما هى محض عبادة من الخلق للخالق سبحانه، مجردة من حساب الفوائد، بل غايتها الأساسية هى إعلان الامتثال والخضوع للحق سبحانه الذى يعبر عنه الحديث القدسى «كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لى وأنا أجزى به».

أما شهر رمضان مع تاريخ الأمة الإسلامية فهو حافل بالانتصارات الكبرى والحاسمة والتى غيرت كثيرا من مجريات الأحداث لصالح الدعوة فى صدر الإسلام ولصالح الحضارة الإنسانية فى مواجهات كثيرة.

ففى «رمضان» كان الانتصار على أيدى الصائمين فى «غزوة بدر» وفى «فتح مكة» وغيرهما معلما تاريخيا للفرقان بين الحق والباطل وبين الهدى والضلال، وكان «سياسيا» إعلان وتأكيد وجود الدعوة الإسلامية واستقرار أحوالها بل وبداية لتحولها من ضمان أمنها الداخلى فى الجزيرة، إلى خروجها لمواجهة القوتين العظميين آنذاك «قوتى الفرس والروم» والانتصار عليهما والتمكين لدولة الإسلام من الانسياح شرقا وشمالا وغربا لبناء الامبراطورية المسلمة بين المحيط الأطلسى والخليج، وما وراءه فى ديار آسيا الوسطى.

وكان رمضان شهر حماية الحضارة الإنسانية فيما أحرزه الصائمون من نصر على هجمات التتار والمغول فى سنة ٦٥٦هـ ـ ١٢٥٨م بقيادة المظفر قطز لأبناء مصر، وأيضا بقيادة صلاح الدين فى عين جالوت. وأخيرا ما أحرزه أبناء مصر من نصر ضخم قطعوا به الذراع الطويلة اليهودية وحطموا أسطورة الجيش الذى لا يقهر فى حرب رمضان!!

وفى هذا أبلغ الرد على من تتراخى هممهم ومن يغلى الحقد فى قلوبهم على الإسلام فيزعمون أن «الصيام» يقلل «الإنتاج» ويضعف قوى العاملين وبهذا يضر الناس ويفسد مخططات التنمية.

أما رمضان والقرآن:

فهو الوعاء الزمانى الذى ظفر بالتكريم الكبير بين شهور العام بنزول «القرآن» فيه من لدن العرش إلى السماء الدنيا فى موكب ملائكى فى «الليلة المباركة» ليلةالقدر فى الوتر من العشر الأواخر من رمضان.

وعلينا ـ نحن أبناء الأمة المسلمة ـ وكما احتفلت السماء بموكبها الملائكى يحيط القرآن عند نزوله، أن نحتفل به نحن طوال أيام العام، وخاصة فى هذا الشهر الكريم.. الذى منحته السماء خصوصية تساعد بها الإنسان الصائم على حسن التعامل مع القرآن تلاوة وتدبرا وتطبيقا لأحكامه، والتزاما نقيا وخالصا بأحكامه.. حيث ساعدته السماء فى شهر رمضان خاصة بفتح أبواب الجنان وإغلاق أبواب النيران وسلسلة الشياطين حماية للإنسان من وساوسها، وتقوية لنوازع الخير فيه.

فليكن كتاب الله «القرآن» هو الرفيق والأنيس ولنغنم بصحبته وتلاوته لكل حرف حسنة «لا أقول ألم حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف فلنا

بتلاوتها ثلاث حسنات».

ودعنى.. أخى القارئ الكريم، أتحدث إليك بكل مشاعر الأخوة العطوف بين الأخ وأخيه المسلم فأذكرك ونفسى بما فى هذا الشهر الكريم من أيام وليال لا يجوز أن تضيع منا من غير أن نظفر بالعطاء العظيم الذى أودعه الله فيها.

وإذا كانت أيام رمضان ولياليها كلها خير، لكن فيها «الليلة المباركة» التى أنزل القرآن فيها، وهى «ليلة القدر» والتى هى فى ميزان الحسنات وكما تحدث القرآن عنها «خير من ألف شهر. تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر. سلام هى حتى مطلع الفجر».

وقد أمرنا الحبيب صلوات الله وسلامه عليه أن نلتمسها فى «الوتر» من العشر الأواخر من رمضان، وأن نتعرض لها عسى - وبتوفيق الله - أن نصادفها فنصيب مما بها من الخير الوفير الطيب.

وهنا أود التنبيه إلى أن علامة مصادفة هذه الليلة ليست كما تقول الأساطير الشعبية إنها «طاقة» أو «شلال من نور» أو غيرها.

لكن علامة مصادفتها كما جاء فى «المأثورات» واجتهادات المفسرين هى أن نكون فى صباحها منشرحى الصدر تماما لكتاب الله ولسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - قرير النفس والعين بما أنت عليه من الالتزام بشرع الله، ومن متابعة رسوله - صلوات الله وسلامه عليه - ممتلئ القلب بحب كبير يتسع لذوى القربى ولغيرهم من أمة الإسلام.

فإن صادفتك هذه الليلة فادع الله فيها بخير واحذر أن تدعو بشر، ووسع حدود ما تسأل منه الكريم الوهاب أن يتغمد الأمة المسلمة كلها بالخير وبالغفران والقبول.

شهر المتاب والمآب:

من مقولات الأطباء البشريين والنفسيين أن الجسد إذا تخفف من معطيات الحس الغليظ من طعام وشراب وغيرهما.. تهدأ عنده شهوة الحس وترتقى طموحات النفس إلى معارج النور والخير ونقاء الإنسانية وصفائها الفطرى بحيث يقترب العبد من حمى مولاه فيناجيه ويسترضيه وما أعظم أن يظفر العبد بهذه اللحظات العظام فى ساحة القرب والرضى والقبول.

فلنحرص إخوانى المؤمنين أن يكون شهر رمضان فرصتنا إلى المتاب والمآب إلى حمى العزيز الغفار نناديه ونناجيه ونهتف باسمه مسبحين:

سبحان الحليم الستار

سبحان العزيز الغفار

سبحان من بيده ملكوت كل شىء وهو يجير ولا يجار عليه

سبحان من كتب على نفسه الرحمة

سبحان من قال للمسرفين على أنفسهم لا تقنطوا من رحمتى، إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم.

سبحان من أعطى العهد لمن تاب وآمن وعمل صالحا أن يبدل الله سيئاتهم حسنات

سبحان من لا يقال لغيره سبحانك

وكل عام إخوانى وأمتنا بخير.. و.. رمضان كريم.

كلمة الأستاذ الدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف فى المؤتمر الشعبى بمدينة الأقصر

الإسلام برىء من العدوان والقتل والإرهاب والتطرف

كل المؤسسات وطوائف الشعب فى مصر مطالبون بالوقوف صفا واحدا فى مواجهة الإرهاب

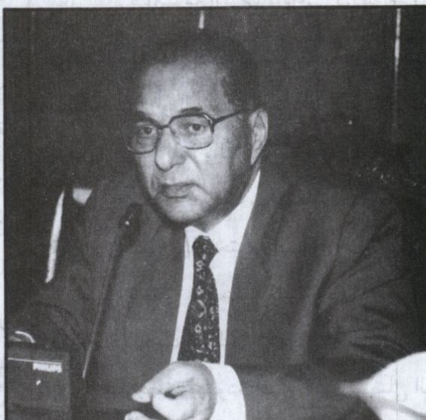

د . محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف

شريعة الإسلام ضمنت حقوق الإنسان وكرامته

فى إطار مواجهة المؤسسات الدينية فى مصر ـ الأزهر والأوقاف وجامعة الأزهر ودار الافتاء ـ لظاهرة الإرهاب والعنف، والذى تمثل فى الحادث الدموى البشع الذى وقع مؤخرا فى مدينة الأقصر، حيث تم قتل الأبرياء والتمثيل بجثثهم، الأمر الذى أدى إلى ترويع الآمنين، بهدف ضرب الاقتصاد المصرى من خلال القضاء على الموسم السياحى لمصر، كان التحرك الذى شارك فيه كل من الدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف ورئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية وفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر وفضيلة مفتى الجمهورية ورئيس جامعة الأزهر حيث كانت هذه الكلمات التى ألقاها الأستاذ الدكتور محمود حمدى زقزوق فى هذه المناسبة الحزينة تعبيرا عن الأسف والاستنكار لهذا العمل الإجرامى الذى شجبته وأدانته جميع طوائف الشعب المصرى حيث قال سيادته :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن دعا بدعوته إلى يوم الدين.

أيها الإخوة الكرام

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

لقد جئنا إليكم من القاهرة مع فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر وقيادات الأزهر ووزارة الأوقاف، ودار الافتاء ممثلة فى فضيلة المفتى وكذلك ممثلى الأحزاب السياسية فى مصر، جئنا إليكم لنحييكم ونقف بجانبكم ولنعزيكم فى الضحايا الذين سقطوا نتيجة العمل العدوانى الغادر الذى لم يكن موجها إليكم فقط، ولم يكن موجها إلى السائحين الذين جاءوا من كل بلاد الدنيا فحسب، ولكنه كان عملا إجراميا موجها إلى شعب مصر كله، إلى كل أطفال مصر ونسائها ورجالها، موجها إلى تعطيل تنميتها وحضارتها وازدهارها وتقدمها، فهناك أناس لا يريدون لهذا البلد أن يتقدم، وهناك من لا يريدون لهذا البلد أن يرفع رأسه، وهناك أناس لا يريدون لهذا البلد أن يقول رأيه صريحا واضحا طبقا لمبادئ يؤمن بها.

الشريعة الإسلامية صانت حقوق الإنسان

فهذه المؤامرات موجهة ضد شعب مصر، وقيمه ومبادئه ودينه وحضارته، ومن هنا فنحن جميعا فى كل أنحاء مصر مطالبون بالوقوف صفا واحدا فى مواجهة هذا الإرهاب الأعمى الغريب عن مصر وشعب مصر وطبيعة شعب مصر، هذا الإرهاب الذى لا يفرق بين صغير وكبير، وطفل وشيخ، هذا الإرهاب الذى يدعى أنه يعمل باسم الإسلام، والإسلام منه برئ، فالشريعة الإسلامية الغراء قد ضمنت لكل فرد حقوقه الأساسية التى تتمثل فى حفظ النفس ـ أى الحياة، وحفظ العقل وحفظ الدين وحفظ المال وحفظ النسل، هذه الحقوق الأساسية أولها حق الحياة لكل إنسان، والله سبحانه وتعالى كرم الإنسان فى قوله تعالى: **«ولقد كرمنا بنى آدم»**. لم يقل لقد كرمنا المسلمين أو المسيحيين أو اليهود، ولكن التكريم للإنسان مطلق إنسان كرمه الله، والذى يكرمه الله لا يجوز لأحد أيا كان أن يمتهن كرامته، والإسلام لم يحترم الإنسان فقط فى حياته، بل احترمه أيضا فى مماته، ونحن نذكر أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد مرت به جنازة فقام واقفا احتراما للميت فقال له الصحابة يا رسول الله إنها جنازة يهودى فرد النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قائلا: «**أليست نفسا**».

فالإسلام يحترم النفس الإنسانية أيا كانت طالما أن هذه النفس لم تقدم شرا أو إساءة للإسلام ولا للمسلمين.

أراد الله لمصر أن تكون بلد الأمن والأمان

هؤلاء السائحون أتوا إلينا ليروا معالم حضارة مصر التى تمتد إلى آلاف السنين. ونحن نفخر بذلك ونعتز

به، فهم حينما يأتون إلى هنا ـ وكلنا يعلم أن السياحة من المصادر الأساسية للاقتصاد المصرى ـ فهم فى أمان، فى بلد أراد الله له أن يكون آمنا ـ كما جاء فى القرآن الكريم ـ : **«ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين»**. فهذا الأمان وهذا الاستقرار الذى تنعم به مصر لا يجوز أن يعكر صفوه أحد، بل ينبغى أن نواجه كل من تسول له نفسه أن يعبث بمقدرات هذا البلد وبمصير هذا البلد، وأن نقف صفا واحدا ضد هؤلاء المخربين الذين يعبثون بأمننا ومقدراتنا ولا يرعون فى ذلك دينا ولا ذمة، والله سبحانه وتعالى قادر على أن يقضى عليهم، وواجبنا يحتم علينا ألا نتستر على أحد منهم، فكثير من هؤلاء يعرفهم آخرون ولكنهم يتسترون عليهم ويعاونونهم، وبالتالى فهم مقترفون للإثم مثلهم. ومن هنا فإننا جميعا مطالبون بالوقوف صفا واحدا ضد الإرهاب الذى لا يقصد فردا بعينه، ولا فريقا بعينه، ولكنه يقصد شعب مصر كله، وهاهى مصر تناديكم أن تحموها وأن تحافظوا على مقدراتها وعلى أمنها واستقرارها.

وهذا هو قدرنا وهذه هى مشيئة الله سبحانه وتعالى الذى أراد لهذا البلد أن يكون آمنا كما سبق أن أشرنا.

المسلمون مطالبون بالالتزام بأحكام الشريعة

لقد زرنا اليوم المعبد الذى وقعت فيه تلك الحادثة المروعة، والتقينا بالسائحين الأجانب الذين كانت لديهم الشجاعة ليبقوا فى هذا البلد وليستمروا فى زيارتهم لمعالم حضارة مصر، ونحن نعلن للدنيا كلها من هذا المكان أننا نرحب بكل من يأتى إلى مصر طالما أتى بطريق مشروع، وإننا نستنكر بقوة ما حدث ونعلن بكل قوة أن الإسلام برىء من أعمال الإرهاب براءة الذئب من دم ابن يعقوب، الإسلام برىء من هذا العبث، برىء من هذا الجرم، برىء من هذا العدوان. والله سبحانه وتعالى قد نهانا عن العدوان: **«إن الله لا يحب المعتدين»** حتى الذين يحاربوننا نجد أن الله سبحانه وتعالى يأمرنا بأن نرد العدوان دون أن نتجاوز الحدود فى ذلك، وحذرنا من العدوان **«ولا تعتدوا»** فالعدوان والقتل والإرهاب والتطرف كله مرفوض، ونحن جميعا مطالبون بأن نلتزم بأحكام الدين الذى وصانا بذلك كله، ونلتزم بتعاليم سيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذى أرسله الله رحمة للعالمين فى قوله تعالى: **«وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين»**. فأين هذه الرحمة من هذا الإجرام؟ وأين هذه الرحمة من هذا العبث؟ وأين هذه الرحمة من هذا الغدر والظلم؟

إن الإسلام دين رحمة وسلام وأمن واستقرار واطمئنان وواجبنا أن نحافظ على هذه القيم والله يحفظ مصر ويجعلها دائما بلدا آمنا مطمئنا، ويحفظ سائر بلاد المسلمين، والله سبحانه وتعالى نعم المولى ونعم النصير.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

كلمة الأستاذ الدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف فى المؤتمر الشعبى بمحافظة أسوان

حادث الأقصر مؤامرة مدبرة ضد القيم الدينية والإنسانية

أيها الأخوة الكرام:

لقد كان الحادث المروع الذى شهدته مدينة الأقصر حادثا هز ضمير كل إنسان ليس المسلمين فحسب، بل غير المسلمين فى كل مكان، لأنه حادث ضد كل القيم الإنسانية، وضد الدين، وضد الأعراف والتقاليد، وضد كل شىء طيب وحسن فى هذا الوجود.

وبعد أن هدأت النفوس بعض الشىء علينا أن نتأمل ونفكر فى هذا الذى جرى لنستخلص الدروس والعبر التى تفيدنا والتى تحمينا بعد ذلك من أن يتكرر مثل هذا الحادث المروع. ونسأل أنفسنا ماذا يريد الإسلام من الإنسان؟ وماذا يريد الإرهاب ثم ماهى مسئوليتنا أمام هذا كله؟

أما السؤال الأول: وهو ماذا يريد الإسلام من الإنسان؟ فإنه يمكن تلخيصه فى ثلاث كلمات:

أولا: الخلافة فى الأرض.

ثانيا: عبادة الله.

ثالثا: إعمار الأرض.

هذا ما يريده الإسلام من الإنسان.

أما الأمر الأول وهو الخلافة فالله جعلنا مستخلفين فى الأرض والمستخلف ينبغى أن يكون مأمونا أمينا صادقا مخلصا ـ الله سبحانه وتعالى له صفات جليلة هى قيم عليا. وفى الحديث الشريف: «تخلقوا بأخلاق الله». فإذا كان الله رحيما فعلينا أن نكون رحماء فالراحمون يرحمهم الله. ومن لا يَرحم لا يُرحم، وإذا كان الله عادلا فعلينا أن نكون منصفين عادلين، وإذا كان الله رءوفا فعلينا أن نرأف بالناس، ونرفق بهم. كل هذه القيم التى هى صفات إلهية هى قيم عليا ينبغى أن نترسم خطاها ونسير على هديها حتى نأتمر بأمر الله ونطيع أوامره وننتهى عن نواهيه.

العبادة ليست مجرد أداء للشعائر

الأمر الثانى: وهو العبادة، فالله سبحانه وتعالى يقول: «وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون» وليست العبادة مجرد أداء الشعائر الدينية المعروفة من صلاة وصيام وزكاة وحج ولكنها شىء أوسع من ذلك كله. فقد حكى للنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أمر امرأة تصلى وتزكى وتصوم وتحج ولكنها تؤذى جيرانها بلسانها فقال: هى فى النار. لأن العبادة ليست هى فقط أداء الشعائر الدينية ولكنها كل عمل يقوم به الإنسان فى هذه الحياة أيا كان هذا العمل دينيا أم دنيويا طالما قصد به وجه الله ونفع الناس ودفع الأذى عنهم فهو فى عبادة وهو فى عمل صالح.

الأمر الثالث: الذى يريده الإسلام من الإنسان هو إعمار الأرض. وإعمار الأرض فريضة من الفرائض الإسلامية بقول الله تعالى: «**هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها**» أى طلب منا عمارتها. وعمارة الأرض تكون على المستوى المادى والمعنوى. وهذا يبين لنا أن الإنسان مطلوب منه أن يصنع الحضارة فى هذا الوجود والتاريخ يبين لنا أن المسلمين بعد فترة قصيرة نسبيا من ظهور الإسلام أقاموا حضارة كانت من أطول الحضارات عمرا فى التاريخ بهدى الإسلام.

وحضارة الإسلام حضارة لا تعتدى على أحد، حضارة تنشر الخير والسلام والاطمئنان فى كل مكان. وإعمار الأرض لا يتم إلا بالعلم، والعلم إعمار الأرض وصنع الحضارة لا يكون إلا إذا كان هناك استقرار وأمن وأمان وسلم وسلام. وهذا ما يطلبه الإسلام لأن الإسلام دين السلام فالله من أسمائه الحسنى السلام والجنة دار السلام. وتحية المسلمين فيما بينهم هى السلام.

والمسلمون يؤدون صلاتهم خمس مرات فى اليوم والليلة ويختمون صلاتهم بالسلام يمينا وشمالا على نصف العالم على اليمين ثم على نصف العالم على الشمال.

هذا هو دين السلام. والسلام ضد الخوف وضد الرعب وضد القتل وضد سفك الدماء وضد كل الرذائل التى تنتشر هنا وهناك. فلابد أن ينتشر فيهم السلم وينتشر السلم بين ضيوفهم الذين يزورون بلادهم، ليطلعوا على روائع حضارتهم وآثارها الباقية التى نعتز بها جميعا هؤلاء جميعا ينبغى أن نفتح لهم أذرعنا، ونقول لهم: «ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين» لأن هذه هى إرادة الله سبحانه وتعالى.

تلك أمور ثلاث يطلبها الإسلام من الإنسان حتى يسعد فى الدنيا وفى الآخرة وحتى يكون فى النهاية مسلما يسلم الناس من لسانه ويده ومؤمنا يأمنه الناس على دمائهم وأموالهم وأعراضهم.

السؤال الثانى: ماذا يريد الإرهاب؟

الإرهاب يريد التخريب والتدمير. والله سبحانه وتعالى يأمر بالتعمير. فالإرهاب يعمل ضد إرادة الله سبحانه وتعالى، الإرهاب يريد ترويع الآمنين، وتخويف المسالمين، وسفك الدماء، الإرهاب يريد تعطيل مسيرة التنمية فى هذا الوطن وإعاقة المسيرة الاقتصادية وتدمير الاقتصاد.. الإرهاب يعنى التخريب والقتل وسفك الدماء.

الإرهاب موجه إلى كل فرد فى هذا الوطن وليس لفرد واحد أو فئة معينة ولكنه موجه إلى جموع المواطنين فى مصر كلها.

مسئوليتنا أمام الإرهاب

ويبقى السؤال الثالث: ماهى مسئوليتنا إزاء هذا الإرهاب؟ إزاء تلك الفوضى التى ينشرها هذا الإرهاب هنا وهناك؟

إن مسئوليتنا أن ندافع عن بلادنا، عن أمن وطننا، عن قوت أولادنا، عن مصير أمتنا.. والسائحون ضيوف عندنا.. علينا أن نحميهم كما نحمى أنفسنا ونبعد الشر عنهم. وهذا واجبنا جميعا.

كل فرد مطالب بذلك ومسئول عن ذلك وهذه هى المسئولية الكبرى التى عليكم أن تتحملوها.

وشعب مصر سيظل بإذن الله شامخا عزيزا وستظل مصر آمنة سالمة إن شاء الله حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

يا شهر الصيام

شعر: محمد عبدالرحمن صان الدين

ها أنت ذا قد عُدت نُو رًا.. للحياة الداجيةْ
لتكون نبضُ الصحْو فى تلك القلوب الغافية
وتقود حيران الفؤا دِ إلى الظلال الحانية
وتُعيد أنسام الحيا ةِ إلى الأمانى الذاوية
وتبث فى الإنسان أخـ ـلاق السماء العالية

***

قد عُدْت والإنسان يلهـ ـث فى طريق نابية
ملعونة يدْوى بها صوت الذئاب العاوية
يا شهر خُذْ بيديه حـ ـتى يسترد العافية
هل كنت إلا روضة فيها قطوف دانية؟

***

قل للذى حَسِبَ الصيا م شدة مُتناهية
أخطأتَ لم تدرك من الشـ ـهر الكريم مَرَامية
فاسْألْ طبيبا أو فقيـ ـها كى يُريك معانية
ويريك أن الصوم أدْ وية السماء الشافية
للنفس للجسم العليـ ـل.. لكل روح ظامية

***

إن الحياة بها مصا بيح الشريعة هادية
إن أنت لم ترضخ لشَرْ ع الله كنت مُعادية

القرآن الكريم وعلومه

- نظرات فى آيات الصيام
- آداب التعامل مع الرسول صلى الله عليه وسلم
- التفسير البيانى للقرآن الكريم
- أيحسب الإنسان أن يترك سدى

نظرات فى آيات الصيام

لفضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى
شيخ الأزهـــــــــر

قال تعالى:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾

الآيات من ١٨٣ إلى ١٨٥ من سورة البقرة

الصيام مصدر صام كالقيام مصدر قام وهو فى اللغة: الإمساك وترك التنقل من حال إلى حال، فيقال للصمت صوم لأنه إمساك عن الكلام ومنه قوله تعالى مخبراً عن مريم: ﴿إنى نذرت للرحمن صوما﴾ أى: سكوتاً عن الكلام. وصوم الريح ركودها وإمساكها عن الهبوب وتقول العرب: صام النهار وصامت الشمس عند قيام الظهيرة لأنها كالممسكة عن الحركة.

أما الصيام فى عرف الشرع فهو - كما يقول الآلوسى - إمساك عن أشياء مخصوصة على وجه مخصوص فى زمان مخصوص ممن هو على صفات مخصوصة.

وقد فرض الله تعالى على المسلمين صيام شهر رمضان فى شهر شعبان من السنة الثانية للهجرة، وعده النبى ﷺ أحد أركان الإسلام الخمسة، فقد روى البخارى - بسنده - عن ابن عمر - رضى الله عنهما - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «بنى الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان».

وأل فى الصيام للعهد الذهنى، فقد كان العرب يعرفون الصوم، فقد جاء فى الصحيحين عن عائشة قالت: «**كان يوم عاشوراء يوماً تصومه قريش فى الجاهلية**».

والتشبيه فى قوله تعالى: ﴿**كما كتب على الذين من قبلكم**﴾ راجع إلى أصل إيجاب الصوم وفريضته. أى: أن عبادة الصوم كانت مكتوبة ومفروضة على الأمم السابقة، ولكن بكيفية لا يعلمها إلا الله، إذ لم يرد نص صحيح عن رسول الله ﷺ يبين لنا فيه كيف كان صيام الأمم السابقة على الأمة الإسلامية.

وقيل إن التشبيه راجع إلى وقت الصوم وقدره، فقد روى عن مجاهد أنه قال: كتب الله عز وجل صوم شهر رمضان على كل أمة.

وهذا القول ليس له دليل، ولذا قال القاضى أبو بكر بن العربى: المقطوع به أن التشبيه فى الفرضية خاصة، وسائر الوجوه مجرد احتمال.

ولفظ «كما» فى قوله تعالى: ﴿**كما كتب على الذين من قبلكم**﴾ فى موضع نصب على المصدر، أى: فرض عليكم الصيام فرضا كالذى فرض على الذين من قبلكم.

ومن فوائد هذا التشبيه، الاهتمام بهذه العبادة والتنويه بشأنها إذ شرعها - سبحانه - لأتباع النبى ﷺ ولأتباع الرسل الذين سبقوه فى الدعوة إلى توحيد الله، وهذا مما يقتضى وفرة ثوابها، ودوام صلاحها.

كذلك من فوائده تسهيل هذه العبادة على المسلمين، لأن الشىء الشاق تخف مشقته على الإنسان عندما يعلم أن غيره قد أداه من قبله.

والفائدة الثالثة من هذا التشبيه إثارة العزائم والهمم للنهوض بهذه العبادة، حتى لا يكونوا مقصرين فى أدائها، بل يجب عليهم أن يؤدوها بقوة تفوق من سبقهم لأن الأمة الإسلامية قد وصفها سبحانه بأنها خير أمة أخرجت للناس وهذه الخيرية تقتضى منهم النشاط فيما كلفهم الله بأدائه من عبادات.

وقوله: ﴿**لعلكم تتقون**﴾ جملة تعليلية جىء بها لبيان حكمة مشروعية الصيام فكأنه - سبحانه - يقول لعباده المؤمنين: فرضنا عليكم الصيام كما فرضناه على الذين من قبلكم، لعلكم بأدائكم لهذه الفريضة تنالون درجة التقوى والخشية من الله، وبذلك تكونون ممن رضى الله عنهم ورضوا عنه. ولا شك أن هذه الفريضة ترتفع بصاحبها إلى أعلى عليين متى أداها بآدابها وشروطها، ويكفى أن الرسول ﷺ قد قال فى شأن الصوم: «**الصوم جنة**»[1] أى: وقاية إذ فى الصوم وقاية من الوقوع فى المعاصى، ووقاية من عذاب الآخرة، ووقاية من العلل والأمراض الناشئة عن الإفراط فى تناول بعض الأطعمة والأشربة.

وقوله: ﴿**أياماً معدودات**﴾ أى: معينات بالعد أو قليلات، لأن القليل يسهل عده فيعد والكثير يؤخذ جزافاً.

والمراد بهذه الأيام المعدودات شهر رمضان عند جمهور العلماء.

قالوا: وتقريره أنه - تعالى - قال أولا ﴿**كتب عليكم الصيام**﴾ وهذا محتمل ليوم ويومين ثم بينه بقوله ﴿**أياماً معدودات**﴾ فزال بعض الاحتمال ثم بينه بقوله: ﴿**شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن**﴾ فعلى هذا الترتيب يمكن جعل الأيام المعدودات بعينها شهر رمضان، وإذا أمكن ذلك فلا وجه لحمله على غيره[2].

وإنما عبر عن رمضان بأيام وهى جمع قلة ووصف بمعدودات وهى جمع قلة - أيضاً - تهويناً لأمره على المكلفين، وإشعاراً لهم بأن الله تعالى ما فرض عليهم إلا ما هو فى وسعهم وقدرتهم.

وقيل: إن المراد بالأيام المعدودات غير رمضان، وذكروا أن المراد بها ثلاثة أيام من كل شهر وهى الأيام البيض الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر مضافاً إليها يوم عاشوراء. ثم نسخ ذلك بوجوب صوم شهر رمضان.

والمعتمد بين المحققين من العلماء هو القول الأول،

لأنه - كما قال الإمام الرازى - لا وجه لحمله على غيره، والقول بالنسخ زيادة لا دليل عليها.

وقوله: ﴿أياما﴾ منصوب على الظرفية، أو بفعل مضمر مقدر أى: صوموا أياماً وقوله: ﴿فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر﴾ زيادة بيان ليسر شريعة الإسلام بعد أن أخبرهم - سبحانه - بأن الصوم المفروض عليهم إنما هو أيام معدودات، وتعجيل بتطمين نفوس السامعين لئلا يظنوا وجوب الصوم عليهم فى كل حال.

والمرض: الخروج عن الاعتدال الخاص بالإنسان، بأن يصب بانحراف فى جسده يجعله فى حالة وجع أو اضطراب بدنى.

قال القرطبى: وللمريض حالتان:

إحداهما: ألا يطيق الصوم بحال فعليه الفطر واجباً.

الثانية: أن يقدر على الصوم بضرر ومشقة فهذا يستحب له الفطر.. فالفطر مباح فى كل مرض إلا المرض اليسير الذى لا كلفة معه فى الصيام[٣].

وقوله: ﴿أو على سفر﴾ قال الآلوسى معناه: أو راكب سفر مستعل عليه متمكن منه، بأن اشتغل به قبل الفجر، ففيه إيماء إلى أن من سافر فى أثناء اليوم لم يفطر. واستدل بإطلاق السفر على أن السفر القصير وسفر المعصية مرخص للإفطار. وأكثر العلماء على تقييده بالمباح وبما يلزمه العسر غالباً وهو السفر إلى المسافة المقدرة فى الشرع[٤].

والعدة فعلة من العد، وهى بمعنى المعدود، كالطحن بمعنى المطحون ومنه عدة المرأة.

والمعنى: لقد فرضنا عليكم الصوم أيها المؤمنون، وجعلناه كما هو الشأن فى كل ما شرعناه متسما باليسر لا بالعسر، ومن مظاهر ذلك أننا فرضنا عليكم صوم أيام معدودات وهى أيام شهر رمضان، ولم نفرض عليكم صوم الدهر. وأننا شرعنا لمن كان مريضاً مرضاً يضره الصوم أو يعسر معه، أو كان على سفر يشق عليه معه الصوم، شرعنا له أن يفطر وأن يصوم بدل الأيام التى أفطرها أياماً أخر مساوية لها فى العدد.

قال الإمام الرازى: قال القفال: انظروا إلى عجيب ما نبه الله عليه من سعة فضله ورحمته فى هذا التكليف، إذ أنه بين فى أول الآية أن لهذه الأمة فى هذا التكليف أسوة بالأمم المتقدمة، والغرض منه ما ذكرناه من أن الأمور الشاقة إذا عمت خفت ثم ثانيا بين وجه الحكمة فى إيجاب الصوم وهو أنه سبب لحصول التقوى فلو لم يفرض الصوم لفات هذا المقصود الشريف، ثم بين ثالثا أنه مختص بأيام معدودة فإنه لو جعله أبداً أو أكثر الأوقات لحصلت المشقة العظيمة.

ثم بين رابعاً: أنه خصه من الأوقات بالشهر الذى أنزل فيه القرآن لكونه أشرف الشهور بسبب هذه الفضيلة. ثم بين خامساً: إزالة المشقة فى إلزامه فأباح تأخيره لمن شق عليه من المسافرين والمرضى إلى أن يصيروا إلى الرفاهية والسكون فهو - سبحانه - راعى فى إيجاب الصوم هذه الوجوه من الرحمة فله الحمد على نعمه كثيراً[٥].

هذا، وقد نص الفقهاء على أن الإفطار مشروع على سبيل الرخصة للمريض والمسافر، وهما بالخيار فى ذلك إن شاءا أفطرا وإن شاءا صاما، إلا أن أكثر الفقهاء قالوا: الصوم أفضل لمن قوى عليه.

والذى نراه أن الله تعالى - قد أباح الفطر فى رمضان بسبب المرض أو السفر، لأن كلا منهما مظنة المشقة والحرج. والحكم الشرعى يوجد حيث توجد مظنته وينتقى حيث تنتقى وعلى المسلم أن يقدر حال نفسه، فإذا أيقن أو غلب على ظنه أن مرضه أو سفره ليس فى الصوم معه مشقة أو عسر صام عملا بقوله تعالى: ﴿وأن تصوموا خير لكم﴾ وإذا أيقن أو غلب على ظنه أن مرضه أو سفره يجعل الصوم شاقاً عليه أفطر عملاً بقوله تعالى: ﴿يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾ فالمسألة ترجع إلى ضمير الفرد ودينه واستفتاء قلبه.

والثابت عن رسول الله ﷺ أنه صام فى السفر وأفطر وخير بعض أصحابه بين الصوم والفطر فقد روى البخارى ومسلم عن أبى الدرداء - رضى الله عنه - قال: خرجنا مع النبى ﷺ «وفى إحدى روايتى مسلم - فى شهر رمضان - فى يوم حار حتى ليضع الرجل يده على رأسه من شدة الحر وما فينا صائم إلا ما كان من النبى ﷺ وابن رواحة».

وروى الإمام مسلم فى صحيحه عن قزعة قال: أتيت أبا سعيد الخدرى فسألته عن الصوم فى السفر فقال: سافرنا مع رسول الله ﷺ إلى مكة ونحن صيام، قال: فنزلنا منزلا فقال رسول الله ﷺ إنكم قد دنوتم من عدوكم والفطر أقوى لكم، فكانت رخصة فمنا من صام ومنا من أفطر ثم نزلنا منزلا آخر فقال: إنكم مصبحو عدوكم والفطر أقوى لكم فأفطروا وكانت عزمة فأفطرنا. ثم قال: ولقد رأيتنا نصوم مع رسول الله ﷺ بعد ذلك فى السفر.

وروى الشيخان عن أنس بن مالك قال: كنا نسافر مع النبى ﷺ فلم يعب الصائم على المفطر ولا المفطر على الصائم. والأحاديث فى هذا المعنى كثيرة.

وهناك مسألة أخرى تعرض لها الفقهاء بالحديث وهى مسألة قضاء الأيام التى أفطرها المريض أو المسافر هل يقضيها متتابعة أو متفرقة وهل يقضيها على الفور أو على التراخى؟

وجمهور الفقهاء على أن للمفطر فى رمضان بسبب المرض أو السفر أن يقضى ما أفطره متتابعاً أو متفرقاً، لأن قوله تعالى: ﴿فعدة من أيام أخر﴾ دل على وجوب القضاء من غير تعيين لزمان، لأن اللفظ - كما قال القرطبى - مسترسل على الأزمان لا يختص ببعضها دون بعض وله كذلك أن يقضى ما عليه على الفور أو على التراخى على حسب ما يتيسر له ففى الصحيحين عن عائشة - رضى الله عنها - قالت: يكون علىَّ الصوم من رمضان فما أستطيع أن أقضيه إلا فى شعبان، وذلك لمكان رسول الله ﷺ وهذا نص وزيادة بيان للآية.

ويرى داود الظاهرى أن على المفطر فى رمضان بسبب المرض أو السفر أن يشرع فى قضاء ما أفطره فى اليوم الثانى من شوال المعاقب له، وأن يتابع أيام القضاء.

والمعتمد بين العلماء هو قول الجمهور لقوة أدلته التى سبق بيانها.

وقوله تعالى: ﴿**وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين**﴾ بيان لحكم آخر من أحكام الشريعة فيما يتعلق بصوم رمضان يتجلى فيه تيسير الله على عباده فيما شرع لهم من عبادات.

ومعنى ﴿**يطيقونه**﴾ يقدرون عليه ويتحملونه بمشقة وتعب، لأن الطاقة اسم للقدرة على الشىء مع الشدة والمشقة، والوسع اسم للقدرة على الشىء على جهة السهولة.

قال الراغب: والطاقة اسم لمقدار ما يمكن للإنسان أن يفعله بمشقة، وذلك تشبيه بالطوق المحيط بالشىء، ومنه ﴿**ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به**﴾ أى ما يصعب علينا مزاولته، وليس معناه: ﴿**لا تحملنا مالا قدرة لنا به**﴾(٦).

والعرب لا تقول فلان أطاق الشىء إلا إذا كانت قدرته عليه فى نهاية الضعف بحيث يتحمله بمشقة وعسر يقال - مثلاً - فلان يطيق حمل نواة أو ريشة أو عشرة دراهم من حديد، وإنما يقال: هو يطيق حمل قنطارين من الحديد أو حمل الأمتعة الثقيلة.

وللعلماء أقوال فى المراد بقوله تعالى: ﴿**وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين**﴾ أشهرها:

١ - إن هذا راجع إلى المقيم الصحيح خيره الله تعالى - بين الصوم وبين الفداء، وكان ذلك فى بدء الإسلام فرض عليهم الصوم ولم يتعودوه فاشتد عليهم، فرخص لهم فى الإفطار والفدية، ثم نسخ ذلك وأوجب الله عليهم الصوم.

ويشهد لهذا القول ما جاء فى الصحيحين عن سلمة ابن الأكوع قال: لما نزلت هذه الآية ﴿**وعلى الذين**

يطيقونه فدية طعام مسكين﴾ كان من أراد أن يفطر ويفتدى، حتى نزلت الآية بعدها فنسختها.

وفى رواية للإمام مسلم من طريق آخر عن سلمة - أيضاً - قال: كنا فى رمضان على عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من شاء أفطر فافتدى بطعام مسكين حتى أنزلت هذه الآية ﴿فمن شهد منكم الشهر فليصمه﴾.

٢ - ويرى بعض العلماء أن قوله تعالى: ﴿وعلى الذين يطيقونه﴾ إلخ، ليس بمنسوخ بل هو محكم، وأنه نزل فى شأن الشيخ الكبير الهرم، والمرأة العجوز، إذا كانا لا يستطيعان الصيام فعليهما أن يفطرا وأن يطعما عن كل يوم مسكيناً.

وأصحاب هذا الرأى يستدلون بما رواه البخارى عن ابن عباس أنه قال فى هذه الآية: ليست بمنسوخة هو الشيخ الكبير والمرأة الكبيرة لا يستطيعان أن يصوما فعليهما أن يطعما مكان كل يوم مسكيناً.

٣ - وهناك رأى ثالث لبعض العلماء يرى أصحابه أن قوله - تعالى - : «وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين» ليس بمنسوخ - أيضا - بل هو محكم، وأن معنى الآية عندهم: وعلى الذين يطيقونه، أى: يقدرون على الصيام بمشقة شديدة إذا أرادوا أن يفطروا أن يطعموا عن كل يوم يفطرونه مسكينا. (بأن يقدموا له نصف صاع من بر أو صاعا من تمر أو شعير، أو قيمة ذلك).

ولم يقصروا ذلك على الرجل الكبير والمرأة العجوز - كما فعل أصحاب الرأى الثانى - وإنما أدخلوا فى حكم الذين يقدرون على الصوم بمشقة وتعب المرضع والحامل إذا خافتا على أنفسهما أو ولديهما ومن فى حكمهما ممن يشق عليهم الصوم مشقة كبيرة.

وأصحاب هذا الرأى يستدلون على ما ذ هبوا إليه بمنطوق الآية. إذ أن الوسع اسم للقدرة على الشىء على جهة السهولة، والطاقة اسم للقدرة عليه مع الشدة والمشقة - كما سبق أن بينا - كما يستدلون - أيضا - على ما ذهبوا إليه بقراءة «يطيقونه» بضم الياء الأولى وتشديد الياء الثانية - أى يتجشمونه، ويتكلفونه بمشقة وتعب، وقد انتصر بعض العلماء لهذا الرأى بناء على أن منطوق الآية يؤيده.

كما انتصر بعضهم للرأى الأول بناء على أن الأحاديث الصحيحة تسانده وعلى أنه هو الأقرب إلى روح الشريعة الإسلامية فى التدرج فى تشريع التكاليف التى فيها مشقة على الناس، كما انتصر بعضهم للرأى الثانى الذى روى عن ابن عباس.

وهناك أقوال أخرى فى الآية رأينا أن نضرب عنها صفحا لضعفها.

وقوله: «فمن تطوع خيرا فهو خير له» حض من الله - تعالى - لعباده على الإكثار من عمل الخير.

والتطوع: السعى فى أن يكون الإنسان فاعلا للطاعة باختياره بدون إكراه والخير: مصدر خار إذا حسن وشرف، وهو منصوب لتضمين تطوع معنى أتى، أو على أنه صفة لمصدر محذوف أى تطوعا خيرا.

والمعنى: فمن تطوع خيرا بأن زاد على القدر المفروض فى الفدية، أو أطعم أكثر من مسكين، أو جمع بين الإطعام والصوم، فتطوعه سيكون خيرا عند الله - سبحانه - لا يضيع أجر من أحسن عملا.

وقوله: «وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون» ترغيب فى الصوم وتحبيب فيه - أى وأن تصوموا أيها المطيقون للصوم، أو أيها المكلفون جميعا خير لكم من كل شىء سواه، إن كنتم تعلمون فوائد الصوم فى حياتكم، وحسن جزائه فى آخرتكم.

روى النسائى وابن خزيمة عن أبى أمامة رضى الله عنه قال: قلت يا رسول الله مرنى بعمل قال: عليك بالصوم فإنه لا عدل أى لا يعادل ثوابه بشىء فقلت يا رسول الله: مرنى بعمل، فقال عليك بالصوم فإنه لا عدل له. فقلت: يا رسول الله مرنى بعمل أدخل به الجنة فقال: عليك بالصوم فإنه لا مثل له»[٧].

وقوله: «شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان» كلام مستأنف لبيان تلك الأيام المعدودات التى كتب علينا الصوم فيها وأنها أيام شهر رمضان الذى يستحق كل مدح وثناء لتشرفه بنزول الكتب السماوية فيه.

قال الإمام ابن كثير: يمدح ـ تعالى ـ شهر الصيام من بين سائر الشهور بأن اختاره من بينهن لإنزال القرآن العظيم، فقد ورد فى الحديث بأنه الشهر الذى كانت الكتب الإلهية تنزل فيه على الأنبياء فعن واثلة ابن الأسقع أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: أنزلت صحف إبراهيم فى أول ليلة من رمضان، وأنزلت التوراة لست مضين من رمضان، والإنجيل لثلاث عشرة خلت من رمضان، وأنزل القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان[٨].

و«الشهر» مأخوذ من الشهرة يقال: شهر الشىء يشهر شهرة وشهرا إذا ظهر بحيث لا يتعذر علمه على أحد، ومنه يقال: شهرت السيف إذا سللته قال بعضهم: وسمى الهلال شهرا لشهرته وبيانه، وبه سمى الشهر شهرا.

و«رمضان» اسم الشهر لهذا الذى فرض علينا صيامه وهو مأخوذ ـ كما قال القرطبى ـ من رمض الصائم يرمض إذا حر جوفه من شدة العطش والرمضاء: شدة الحر، ومنه الحديث: صلاة الأوابين إذا رمضت الفصال، ـ أى صلاة الضحى ـ قيل: إن العرب لما نقلوا أسماء الشهور عن اللغة القديمة سموها بالأزمنة التى وقعت فيها، فوافق هذا الشهر أيام رمض الحر فسمى بذلك. وقيل إنما سمى رمضان لأنه يرمض الذنوب، أى: يحرقها بالأعمال الصالحة»[٩].

وقوله: شهر رمضان» خبر لمبتدأ محذوف تقديره هى شهر رمضان أى: الأيام المعدودات، وقوله: «الذى أنزل فيه القرآن» صفة للشهر.

ويجوز أن يكون قوله «شهر» مبتدأ وخبره الموصول بعده، أو خبر قوله «فمن شهد منكم الشهر فليصمه» وصح وجود الفاء فى الخبر لكون المبتدأ موصوفا بالموصول الذى هو شبه بالشرط وقرىء بالنصب على أنه مفعول لفعل محذوف. أى: صوموا شهر رمضان.

و«القرآن» هو كلام الله المعجز المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم ـ المكتوب فى المصاحف المنقولة بالتواتر المتعبد بتلاوته.

والمراد بإنزال القرآن فى شهر رمضان ابتداء إنزال فيه، وكان ذلك فى ليلة القدر بدليل قوله ـ تعالى ـ «إنا أنزلناه فى ليلة القدر» أى بدأنا إنزال القرآن فى هذه الليلة المباركة، إذ من المعروف أن القرآن استمر نزوله على النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ما يقرب من ثلاث وعشرين سنة.

وقيل المراد بذلك، أنزل فى فضله القرآن، قالوا: ومثله أن يقال: أنزل الله فى أبى بكر الصديق كذا آية يريدون أنزل فى فضله.

وقيل المراد أنزل فى إيجاب صومه على الخلق القرآن، كما يقال: أنزل الله فى الزكاة كذا وكذا، يريد فى إيجابها وأنزل فى الخمر كذا يريد فى تحريمها.

قال الآلوسى: وقوله ـ تعالى ـ: «هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان» حالان لازمان من القرآن والعامل فيهما أنزل. أى: أنزل وهو هداية للناس بإعجازه المختص به كما يشعر بذلك التنكير، وآيات واضحات من جملة الكتب الإلهية الهادية إلى الحق والفارقة بين الحق والباطل باشتماله على المعارف الإلهية والأحكام العملية. كما يشعر بذلك جعله بينات منها، فهو هاد بواسطة أمرين، مختص وغير مختص، فالهدى ليس مكررا وقيل: مكرر تنويها وتعظيما لأمره وتأكيدا لمعنى الهداية كما تقول: «عالم نحرير»[١٠].

وقوله: «فمن شهد منكم الشهر فليصمه» يصح

أن يكون شهد بمعنى حضر كما يقال: فلان شهد بدرا، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أى: حضرها، فيكون المعنى: فمن حضر منكم دخول الشهر أو حلوله بأن كان مقيما وليس عنده ما يمنعه من الصوم كمرض ونحوه فليصمه، لأن صيامه ركن من أركان الدين، وعليه يكون لفظ «الشهر» منصوبا على الظرفية.

ويصح أن يكون شهد بمعنى علم كقوله ـ تعالى ـ: «شهد الله أنه لا إله إلا هو» فيكون المعنى: فمن علم منكم هلال الشهر وتيقن من ظهوره فليصمه.

وعليه يكون لفظ «الشهر» منصوبا على أنه مفعول به بتقدير المضاف المحذوف و«من» موصولة أو شرطية وهو الأظهر و«منكم» فى محل نصب على الحال من الضمير فى شهد فيتعلق بمحذوف أى: كائنا منكم والضمير فى «منكم» يعود على الذين آمنوا أى كل من حضر منكم الشهر فليصمه و«أل» فى الشهر للعهد.

وأعيد ذكر الرخصة فى قوله ـ تعالى ـ: «ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر» لئلا يتوهم من تعظيم أمر الصوم فى نفسه وأنه خير، أنه قد صار متحتما بحيث لا تتناوله الرخصة بوجه من الوجوه أو تتناوله ولكنها مفضولة، وفى ذلك عناية بأمر الرخصة وأنها محبوبة له ـ تعالى ـ وقوله ـ تعالى ـ «يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر» بيان لحكمة الرخصة.

أى: شرع لكم ـ سبحانه ـ الفطر فى حالتى المرض والسفر، لأنه يريد بكم اليسر والسهولة ولا يريد بكم العسر والمشقة قال ـ تعالى ـ: «يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفا» وقال ـ تعالى ـ: «ما جعل عليكم فى الدين من حرج» وفى الصحيحين أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال لمعاذ بن جبل وأبى موسى الأشعرى حين بعثهما إلى اليمن: «يسرا ولا تعسرا وبشرا ولا تنفرا، وتطاوعا ولا تختلفا».

وقوله ـ تعالى ـ: «ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون» معطوف على قوله: «يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر» إذ هذه الجمل الأربع تعليل لما قبلها من قوله: «فمن شهد منكم الشهر فليصمه» إلى قوله: «فعدة من أيام أخر».

والمعنى شرع لكم ـ سبحانه ـ ما شرع من أحكام الصيام، ورخص لكم الفطر فى حالتى المرض والسفر، لأنه يريد بكم اليسر ولا يريد بكم العسر، ولأنه يريد منكم أن تكملوا عدة الشهر بأن تصوموا أيامه كاملة فتحصلوا خيراته ولا يفوتكم شىء من بركاته، ومن لم يستطع منكم أداء الصوم فى هذا الشهر لعذر فعليه قضاء ما فاته منه فى أيام أخر ويريد منكم أن تكبروه ـ سبحانه ـ أى تحمدوه وتعظموه، فهو وحده الذى هداكم إلى تلك الأحكام النافعة التى فيها صلاحكم وسعادتكم ويريد منكم أن تشكروه بأن تواظبوا على الثناء عليه، وعلى استعمال نعمه فيما خلقت له فهو ـ سبحانه ـ الرءوف الرحيم بعباده، إذ شرع لهم ما فيه اليسر لا ما فيه العسر.

وقد دلت الآية الكريمة على الأمر بالتكبير إذ جعلته مما يريده الله ـ تعالى ـ ولهذا جاءت السنة باستحباب التحميد والتسبيح والتكبير بعد الصلوات المكتوبات، وفى عيدى الفطر والأضحى يكون تكبير الله ـ تعالى ـ هو مظهرهما الأعظم.

وبذلك تكون الآيات الكريمة قد بينت أكمل بيان وأحكمه فضل الصوم، وحكمة مشروعيته ومظاهر رحمة الله بعباده فى هذه الفريضة، وقد ذكرت أن المسلم له بشأن هذه الفريضة حالة من حالات ثلاثة:

الحالة الأولى: إذا كان المسلم فى شهر رمضان كله أو بعضه مريضا بمرض عارض غير مزمن يرجى الشفاء منه، أو مسافرا تتوفر فيه شروط الفطر، فله أن يفطر وأن يقضى بعد رمضان الأيام التى أفطرها بدليل قوله ـ

تعالى ـ :« ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر ».

الحالة الثانية : إذا كان المسلم فى شهر رمضان مريضا بمرض مزمن لا يرجى شفاؤه والصوم فيه مشقة عليه، أو كان شيخا كبيرا أو امرأة عجوزا ولا يستطيعان الصوم، فقد أباح الشارع لهؤلاء أن يفطروا وأن يطعموا عن كل يوم مسكينا، لأن هذه الأعذار لا يرجى زوالها، ولا ينتظر أن يكون المبتلى بعذر منها بعد رمضان خيرا منه في رمضان، لذا أوجب الشارع على هؤلاء الفدية دون القضاء، بدليل قوله ـ تعالى ـ :« وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين ».

الحالة الثالثة : إذا كان المسلم فى شهر رمضان سليما مقيما وليس عنده عذر يمنعه من الصوم، فقد أوجب الله عليه أداء هذه الفريضة بقوله ـ تعالى ـ :« فمن شهد منكم الشهر فليصمه » ويحرم عليه أن يفطر ، وإن أفطر لغير عذر شرعى كان من الخاسرين فى الدنيا والآخرة، ففى الحديث الشريف الذى رواه الترمذى والنسائى وابن ماجة عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « من أفطر يوما من رمضان من غير رخصة ولا مرض لم يقضه ـ أى لم يجزه ـ صوم الدهر كله وإن صامه »(١١).

أى : لو حصل منه صومه طول حياته فلن يدرك ثواب ما ضيع بسبب فطره بغير عذر شرعى.

والأحاديث فى الترغيب فى صوم شهر رمضان، وفى الترهيب من الفطر فيه كثيرة متنوعة.

ثم بين ـ سبحانه ـ أن العباد إذا حافظوا على فرائضه، واستجابوا لأوامره، وابتعدوا عن نواهيه، فإنه ـ عز وجل ـ لا يرد لهم طلبا ولا يخيب لهم رجاء فقال : « وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون ».

قال الإمام البيضاوى فى وجه اتصال هذه الآية بما قبلها من آيات الصيام : واعلم أنه ـ تعالى ـ لما أمرهم بصوم الشهر ومراعاة العدة وحثهم على القيام بوظائف التكبير والشكر عقبه بهذه الآية الدالة على أنه خبير بأحوالهم سميع لأقوالهم، مجيب لدعائهم، مجاز على أعمالهم تأكيدا له وحثا عليه ».

وروى المفسرون فى سبب نزول هذه الآية الكريمة روايات منها ما أخرجه ابن جرير وابن أبى حاتم أن أعرابيا جاء إلى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : أقريب ربنا فنناجيه ـ أى : ندعوه سرا ـ أم بعيد فنناديه؟ فسكت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأنزل الله هذه الآية (١٢).

ومنها ما رواه ابن مردويه ـ بسنده ـ عن الحسن قال : سأل بعض الصحابة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أين ربنا؟ فأنزل الله ـ تعالى هذه الآية (١٣).

والمعنى : وإذا سألك عبادى عنى يا محمد عن قربى وبعدى فقل لهم : إنى قريب منهم بعلمى ورحمتى وقدرتى وإجابتى لسؤالهم، قال ـ تعالى ـ :« ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد » :

وفى الصحيحين عن أبى موسى الأشعرى أنه قال : كنا مع النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى سفر فجعل الناس يجهرون بالتكبير فقال النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ : أيها الناس أربعوا على أنفسكم ـ أى أرفقوا بها ـ فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبا، إنكم تدعون سميعا بصيرا وهو معكم، والذى تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته »(١٤).

الهوامش

١ ـ قطعة من حديث رواه البخارى فى كتاب الصوم جـ٣ ص٣١.
٢ ـ تفسير الرازى جـ٥ ص٧٨.
٣ ـ تفسير القرطبى جـ٢ ص٢٧٦ بتصرف وتلخيص.
٤ ـ تفسير الآلوسى جـ٢ ص ٥٨.
٥ ـ تفسيرالفخر الرازى جـ٥ ص٨٠.
٦ ـ مفردات القرآن ص ٣١٢ للراغب الأصفهانى.
٧ ـ الترغيب والترهيب للمنذرى جـ٢ ص٨٥ من « كتاب الصوم ».
٨ ـ تفسير ابن كثير جـ٢ ص ٢١٦.
٩ ـ تفسير القطربى جـ ٢ ص٢٩١ بتصرف وتلخيص.
١٠ ـ تفسير الآلوسى جـ٢ ص٦١.
١١ ـ الترغيب والترهيب للمنذرى جـ٢ ص١٠٨.
١٢ ـ تفسير ابن كثير جـ١ ص٢١٨.
١٣ ـ تفسير البيضاوى ص٣٩.
١٤ ـ تفسير ابن كثير جـ١ ص٢١٨.

آداب التعامل مع الرسول ﷺ

أ. د. محمود حمدى زقزوق

سورة الحجرات من السور المدنية وآياتها ثمانى عشرة آية. وقد ورد فى سبب نزولها فيما يرويه البخارى عن ابن أبى مليكة قال: كاد الخيران أن يهلكا: أبو بكر وعمر رضى الله عنهما، رفعا أصواتهما عند النبى ﷺ حين قدم عليه ركب بنى تميم فأنزل الله تعالى: يأيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدى الله ورسوله . إلى آخر الآيات. وهناك أسباب أخرى لبعض الآيات الأخرى فى السورة.

يُعلم الله سبحانه المؤمنين حدود التعامل التى ينبغى أن يلتزموا بها فى تعاملهم مع الله ورسوله. فينهاهم أن يقدموا بين يدى الله ورسوله، أى لا تقترحوا على الله ورسوله اقتراحا أو تسبقوهما بالقول أو الحكم فى أى أمر من الأمور، ولا تقولوا خلاف الكتاب والسنة، واتقوا الله فيما أمركم به، فالله سميع لأقوالكم عليم بنياتكم. وقد التزم المؤمنون بهذا الأدب الربانى، فما عاد أحد منهم يقضى فى أمر برأيه قبل أن يرجع إلى قول الله وقول رسوله.

ثم تحدثنا السورة بعد ذلك عن الأدب الثانى فى التعامل مع رسول الله: **«يأيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى»**. أى إذا تحدثتم مع رسول الله ﷺ فلا ينبغى أن تعلو أصواتكم فوق صوته، وإياكم والجهر له فى القول، إذا كلمتموه وهو صامت فلا تظهروا أصواتكم معه كما تفعلون مع بعضكم بعضا، وذلك حتى لا تحبط أعمالكم ويبطل ثوابكم عليها وأنتم لا تشعرون. ثم امتدحت الآيات بعد ذلك المؤمنين الذين يغضون أصواتهم ولا يرفعونها عند رسول الله، فوصفوا بأنهم الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى، أى أخلصها للتقوى، هؤلاء لهم مغفرة وأجر عظيم. ثم ذمت الآيات هؤلاء الذين ينادون النبى ﷺ من وراء الحجرات، وهى بيوت زوجاته كما يصنع أجلاف العرب، فوصفوا بأن أكثرهم لا يعقلون، ثم أرشدت الآية إلى الأدب فى ذلك فقالت: ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيرا لهم.

وبعد أن وضعت الآيات قواعد التعامل مع رسول الله ﷺ بما هو أهل له من توقير وإجلال تأتى آية أخرى تلفت نظر المؤمنين إلى ضرورة التثبت من الأخبار التى يتلقونها حتى لا تنبنى مواقفهم على أسس خاطئة فيقعون بسبب ذلك فى الإثم: **«يأيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا»**. وقد ورد أن هذه الآية قد نزلت فى الوليد بن عقبة الذى أخبر النبى ﷺ أن بنى المصطلق قد ارتدوا عن الإسلام، فلما أرسل النبى ﷺ خالد بن الوليد ليتحقق من صحة الخبر تبين له عدم صحته، ورأى أنهم متمسكون بإسلامهم، وليس يعنى التحقق من الأخبار الشك المطلق فى جميع

المصادر وفى جميع الأخبار. فالمؤمن الصالح يؤخذ بخبره، أما خبر الفاسق فهو الذى يجب أن يوضع موضع الشك إلى أن تتضح حقيقته.

ثم تنبه الآية التالية لذلك المؤمنين بأن رسول الله ﷺ بينهم، فلا يجوز لهم أن يسبقوه بقول أو فعل، وليعلموا أن تدبيره لهم بوحى من الله أو إلهامه، فيه الخير لهم والرحمة بهم. وتشير الآية إلى أن الرسول ﷺ لو أطاعهم فى كثير من الأمور لشق عليهم ذلك. فالله أعرف منهم بما هو خير لهم، ورسوله ﷺ رحمة لهم فيما يدبر لهم ويختار. والمؤمنون الصادقون لا يرضون أن يخالفوا الرسول ﷺ لأن الله حبب إليهم الإيمان وحبب إليهم طاعة الرسول ﷺ، وحَسَّنَ ذلك فى قلوبهم وكره إليهم الكفر والفسوق والعصيان. والمؤمنون الموصوفون بهذه الصفات هم الراشدون فى الدنيا والآخرة الثابتون على دينهم. وقد فعل الله معهم ذلك تفضلاً منه ورحمة ونعمة عليهم، والله عليم بخلقه حكيم فى فعله.

ثم تنتقل بنا الآيات إلى ضرورة الإصلاح بين المؤمنين إذا حدث بينهم اقتتال. «**وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما. فإن بغت إحداهما على الأخرى**» واعتدت عليها. فقاتلوا الفئة الباغية وردوها عن ظلمها حتى تعود إلى حكم الله، فإن فاءت ورجعت عن القتال فأصلحوا بينهما بالعدل وكونوا مقسطين عادلين إن الله يحب المقسطين. وتنبه الآيات فى هذا المقام إلى أن المؤمنين إخوة ربط الإيمان بين قلوبهم، فعليكم أن تبادروا إلى إزالة ما قد يقع بينهم من أسباب النزاع والشقاق واتقوا الله لعلكم ترحمون. فالتقوى تعمل على التواصل والائتلاف وقطع أسباب التناحر والشقاق.

ومن منطلق حرص الإسلام على سلامة العلاقة بين المؤمنين ينهاهم أن يسخر قوم من قوم فلعلهم عند الله خير منهم، أو أن يسخر نساء من نساء فلعلهن خير منهن فى ميزان الله، كما ينهاهم أيضاً أن يعيب بعضهم بعضا (ولا تلمزوا أنفسكم) أو أن يتنابزوا بالألقاب أى يدعو بعضهم بعضا بلقب يكرهه. فالسخرية واللمز والتنابز من الأمور التى تعد من قبيل الفسق. والله يحذرنا من الفسوق بعد الإيمان. فالفسوق يشبه الارتداد بعد الإيمان، وهو نوع من الظلم يجب أن يتوب منه المرء، ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون.

ومن الأمور التى نهانا الله عنها أيضا أن نظن ظنا سيئا بأهل الخير من المؤمنين. فهذا الظن السىء يعد إثما من الآثام، كما ينهانا أيضاً أن نتتبع عورات المسلمين ونبحث عن معايبهم وهو ما عبر عنه القرآن بقوله (ولا تجسسوا)، ولا يجوز لمسلم أن يذكر أخاه المسلم فى غيبته بشىء يكرهه وإن كان فيه، فهذا من الغيبة المحرمة. واغتياب المرء أخاه فى حياته شبهه الله بأكل لحمه بعد وفاته. وحيث أن أكل لحم الميت أمر شنيع ومستكره، فكذلك الغيبة أمر شنيع ومستكره فاجتنبوه، واتقوا عقاب الله فى الاغتياب بالتوبة، إن الله تواب يقبل توبة التائبين وهو رحيم بهم.

وبعد أن وضعت الآيات للمؤمنين آداب التعامل مع الله ورسوله ومع إخوانهم المؤمنين نبههم إلى أن أصل البشرية واحد، فقد خلق الله الناس جميعا من ذكر وأنثى وجعل غايتهم التعارف والوئام لا النزاع والشقاق، وليس للون والجنس واللغة والوطن وسائر هذه المعانى من حساب فى ميزان الله. فالميزان الوحيد المعتبر هو التقوى والعمل الصالح (**إن أكرمكم عند الله أتقاكم**). والله تعالى عليم بكم وخبير ببواطنكم، مطلع على ما يجول فى نفوسكم. ومن هنا فعندما قالت الأعراب - وهم نفر من بنى أسد - عندما قالوا: آمنا بالله ورسوله - وهم فى الواقع لم يكونوا قد آمنوا إيمانا كاملا خالصا لوجه الله - رد عليهم القرآن مكذبا لهم دعواهم هذه قائلا: قل لم تؤمنوا، ولكن قولوا أسلمنا وانقدنا أنقيادا ظاهريا فقط لتنجوا من القتل أو الأسر وتنعم بالفىء عند المسلمين. فلا تكذبوا على الله الذى يعلم السر وأخفى. فالإيمان لم يدخل فى

قلوبكم بعد وإن كان يتوقع منكم. فإن تطيعوا الله ورسوله بالإيمان والعمل الصالح لا يلتكم من أعمالكم شيئا. أى لا ينقصكم من ثواب أعمالكم شيئا إن الله غفور للمؤمنين رحيم بهم. ثم يبين الله لهم حقيقة الإيمان بقوله: « **إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون** ».

وتستمر الآيات فى الحديث عن الأعراب مبينة أن الله أعلم بما فى قلوبهم وأنه هو الذى يخبرهم بما فيها ولا يتلقى منهم العلم عنها ﴿**قل أتعلمون الله بدينكم والله يعلم ما فى السموات وما فى الأرض والله بكل شىء عليم**﴾. ولا يجوز لكم أيها الأعراب أن تمنوا على رسول الله ﷺ بإسلامكم وتزعموا الإيمان، فالمنة لله وحده عليكم لو صدقتم فى دعوى الإيمان.

وبعد هذه السورة الكريمة تأتى سورة (ق) وهى سورة مكية وآياتها خمس وأربعون. والآيات التى سنستمع إليها من هذه السورة تتناول قضية البعث وإنكار المشركين له. وتفتتح السورة بالقسم بحرف من حروف الأبجدية العربية (ق) وبالقرآن المجيد المؤلف من مثل هذا الحرف. ثم تتحدث الآيات عن دهشة الكفار لأنه قد جاءهم رسول منهم ينذرهم بالبعث، فعجبوا من الرسالة ذاتها وعجبوا بصفة خاصة من أمر البعث الذى حدثهم عنه هذا الرسول. وقضية البعث تعد قاعدة أساسية تقوم عليها العقيدة الإسلامية ويقوم عليها التصور الكلى لمقتضيات هذه العقيدة.

وقد استبعد المشركون أن يكون الرسول ﷺ بشرا من بينهم مع أن هذا هو الشىء الطبيعى أن ينذرهم رجل منهم قد عرفوا فيه العدالة والصدق والأمانة حتى لقبوه بالأمين، كما استبعدوا مسألة البعث بعد أن يموت الإنسان ويصير ترابا. ويرد القرآن عليهم مبينا لهم أن الله الذى خلقهم ورزقهم وخلق ما أظلهم من سماء وما حملهم من أرض قد علم يقينا ما تأكل الأرض من لحومهم وعظامهم بعد موتهم، وما يتفرق منها فى كل ناحية، وهو العليم بكل شىء المحيط بكل ما فى السموات وما فى الأرض، وعنده كتاب حفيظ لتفصيل كل شىء.

وتشير الآيات إلى تكذيبهم للحق المتمثل فى القرآن وتكذيبهم للنبوة مع قيام الشواهد المحسوسة والمعقولة على ذلك. فهم فى أمر مريج أى مضطرب فى شأن محمد ﷺ وفى شأن القرآن، فتارة يقولون ساحر وسحر وتارة شاعر وشعر وتارة كاهن وكهانة. وهذا هو شأن التردد الذى يبنى حكمه على غير أساس.

ثم تنبه الآيات العباد إلى مظاهر قدرته العظيمة التى أظهر بها ما هو أعظم مما تعجب منه المشركون واستبعدوا وقوعه ﴿**أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج**﴾ هل غفلوا فلم يروا كيف بنينا السماء بقدرة قادرة ورفعناها بدقة كاملة، وكيف زيناها بنجوم للناظرين وليس فيها شقوق ولا عيوب. أفلم ينظروا أيضا إلى الأرض كيف بسطها الله وكورها وألقى فيها جبالا رواسى شامخات وأنبت فيها نباتا حسنا من كل صنف يأخذ بالألباب، وأنزل من السماء ماء مباركا كثير النفع والخيرات فأنبت منه جنات وعيون وزروع وكروم، وأنبت به حب الزرع الذى يحصد كالقمح والشعير والأرز وغيره، وانظر إلى النخل الباسقات الفارعات لها طلع قد صف بعضه فوق بعض فى نظام دقيق.

كل ذلك جعله الله رزقا للعباد. فهل يليق منهم الكفر والتكذيب؟ وانظر إلى الماء وقد أحيا به بلدة ميتة لا نبات فيها، أحياها بالخضرة والنبات بين عشية أو ضحاها. ومثل ذلك الإحياء يكون خروجكم من القبور للبعث والحساب وماذلك على الله بعزيز. ﴿**ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت، إن الذى أحياها لمحيى الموتى إنه على كل شىء قدير**﴾.

وبالله التوفيق.

التفسير البيانى للقرآن الكريم

بقلم :
أ. د/ عبد الغفار حامد هلال

قال تعالى: ﴿الذى جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون، وإن كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين﴾. سورة البقرة: آية ٢٢ ـ ٢٣.

تحدث المولى سبحانه فى الآية السابقة ـ قبل هذه الآيات ـ عن نعمة خلقه تعالى للناس جميعا، واستحقاقه سبحانه التوحيد الخالص.

وفى الآية الأولى ـ هنا ـ يتحدث المولى الجليل عن النعم الأخرى التى وصفها الله تعالى للتذكير بوحدانيته وربوبيته، واستحقاقه العبادة الخالصة، والإعراض عن الشركاء.

والنعم التى تضمنتها الآية هى :

١ ـ فرش الأرض وهو يعنى خلقها وبسطها لتصلح الحياة عليها، والاستقرار فيها.

٢ ـ بناء السماء سقفا محفوظا بلا عمد ترونها.

٣ ـ إنزال المطر وإخراج الثمرات لسد حاجة الإنسان والحيوان واستمتاعه بتلك الخيرات، واللذائذ.

وقد عبر ـ سبحانه ـ عن النعمة الأولى بقوله تعالى : **﴿الذى جعل لكم الأرض فراشا﴾**.

الفراش : هو البساط الذى يفترش، وقد جعل الله سبحانه الأرض ممهدة معدة مهيأة للانتفاع بها والاستقرار عليها، فليست صلبة أو لينة فيمنع من هذا الاستقرار والانتفاع، أما الجبال والبحار فهى ـ أيضا ـ مما يفيد العباد، لأن الجبال كالأوتاد كما قال تعالى : **﴿ألم نجعل الأرض مهادا والجبال أوتادا﴾**. سورة النبأ آية ٦، ٧. ولها منافع أخرى كثيرة اكتشفها الإنسان قديما وحديثا كاستخراج المعادن وبناء المساكن، وغيرهما من سائر المنافع وفى البحار كثير من المنافع عبر عنها القرآن الكريم بقوله تعالى : **﴿والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس﴾**. سورة البقرة: آية ١٦٤.

والمراد بجعل الأرض فراشا : خلقها، وتصييرها صالحة للاستقرار عليها.

ولا يتنافى جعلها فراشا مع كونها كروية لأن مساحتها الواسعة تجعلها تبدو منبسطة لا تظهر آثار الكروية فى افتراشها.

ولعل الأرض كانت فى أول الأمر غير مدحوة ثم دحيت بعد خلقها ومدت.

وتقديم (لكم) ـ على المفاعيل الأخرى ـ للتشويق والبشارة والإشعار بالمنفعة للمخاطبين حتى تتمكن من نفوسهم فضل تمكن.

وقد جاء الفعل جعل بمعنى خلق، وعبر هنا ـ بجعل

دون خلق التى وردت من قبل تفننا فى العبارة كما فى قوله تعالى:

﴿الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور﴾. سورة الأنعام: آية ١.

وعبر عن النعمة الثانية بقوله سبحانه: **﴿والسماء بناء﴾**.

وكل ما علا فأظل قيل له سماء، وأصل البناء وضع لبنة على أخرى حتى تثبت، والسماء سقف الأرض أو هى كالقبة المضروبة ويقال لسقف البيت بناء. قال تعالى: **﴿وجعلنا السماء سقفا محفوظا﴾**، سورة الأنبياء: اية ٣٢. وهى عجيبة من عجائب ملكوت الله، فهى مرفوعة بغير عمد ترونها كما قال تعالى: **﴿الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها﴾** سورة الرعد: آية ٢. وقال سبحانه: **﴿ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه﴾**. سورة الحج: آية ٦٥.

وعبر بلفظ (السماء) مفردة مناسبة لذكر الأرض والمراد بها السموات مجتمعة.

وعبر عن النعمة الثالثة بقوله تعالى: **﴿وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم﴾**.

فقد أنزل الله تعالى المطر إلى الأرض ليرويها فتخرج ألوانا من الثمرات، وأنواعا من النبات، وقد بين هذا فى قوله جل ثناؤه: **﴿إنا صببنا الماء صبا، ثم شققنا الأرض شقا، فأنبتنا فيها حبا، وعنبا وقضبا، وزيتونا ونخلا، وحدائق غلبا، وفاكهة وأبا، متاعا لكم ولأنعامكم﴾**. سورة عبس: اية ٢٥ - ٣٢.

وهذا هو المقصود بالرزق فى قوله تعالى: **﴿رزقا لكم﴾** أى: طعاما لكم ونفعا لحياتكم.

والرزق: العطاء، وقد يطلق الرزق ويراد منه الشكر - فى لهجة جماعة من العرب، هم ازد شنوءة - وقد استعمل الرزق فى القرآن بمعنى الشكر تبعا لهذه اللهجة فى قوله تعالى: **﴿وتجعلون زرقكم انكم تكذبون﴾** سورة الواقعة: آية ٨٢. أى: تستعملون بدل الشكر للخالق تكذيبكم لآياته ورسله.

و (مِنْ) الأولى للابتداء، فالسماء أصل المطر ومبدؤه، أو للتبعيض أى بعض مياه السماء، وهى تنزل من جهة السماء أو المراد بالسماء: السحاب الذى يحمل المطر.

وقد تكرر فى القرآن الكريم ذكر الماء نازلا من السماء لكثرة نفعه وبركته.

و (مِنْ) الثانية للتبعيض، فكثير من الثمرات خرجت بالماء النازل وكثير منها لم يخرج بعد وسيخرج إن شاء الله تعالى.

و (ال) - فى الثمرات - للجنس أو للاستغراق، وليس المقصود خروج جميع الثمرات.

وأتى بجمع القلة (الثمرات) بدلا من جمع الكثرة (الثمار) ليدل على أن ماخرج من الثمرات قليل من كثير مما عند الله تعالى. والباء فى (به) تفيد السببية وقد ربط الله تعالى الأسباب بالمسببات شرعا وقدرا خلافا لمن يمنع ذلك وقد ربط مصالح العباد بالأسباب فى المعاش والمعاد كالأمر والنهى، والحل والحرمة والثواب والعقاب والكفارات **﴿إنا مكنا له فى الأرض وآتيناه من كل شىء سببا. فأتبع سببا﴾** سورة الكهف: آية ٥٤، ٨٥. ومع ذلك لا يتوقف الفعل على السبب حقيقة **﴿انما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون﴾** سورة يسن: آية ٨٢. **﴿يا نار كونى بردا وسلاما على إبراهيم﴾**. سورة إبراهيم: اية ٦٩.

وقد ذكر - على الترتيب - الأرض ثم السماء ثم المطر لما يتوالى من المنافع المتتابعة منها.

وبعد أن عدد هذه النعم عقب عليها بذكر النتيجة المطلوبة ممن يتأمل فى تلك النعم، وهذه النتيجة هى توحيد المنعم، ونبذ الشركاء، وقد عبر عن ذلك بقوله تعالى: **﴿فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون﴾**.

الأنداد: جمع ند، ونديد، والند: هو النظير والمضاهى والكفء، والمثل، والمراد - هنا: لا تتخذوا شركاء لله فى العبادة فهو مستحق للتوحيد الخالص.

والمشركون جعلوا الأصنام مماثلة له تعالى فى العبادة حماقة منهم وجهلا.

وجمع الأنداد للتشنيع عليهم إذ ليس له ند واحد

فكيف يجعلون له أندادا؟

والفاء فى قوله **﴿فلا تجعلوا لله أندادا﴾** فى جواب شرط مقدر أى: إذا كان الخالق بهذه المثابة فلا تجعلوا له أندادا أو الفاء عاطفة على جملة **﴿اعبدوا ربكم الذى خلقكم﴾**.

ووضع لفظ الجلالة (الله) موضع الضمير لتعيين المعبود بالذات بعد أن تعين بالصفات المذكورة، ولبيان صفة الألوهية التى تتعين فيها الوحدانية، وعلق العبادة بصفة الألوهية - هنا - كما علقها من قبل بصفة الربوبية والمخلوقون عرفوه بخلقه لهم، ونعمه عليهم.

وقوله تعالى: **﴿وأنتم تعلمون﴾** جملة حالية، وصاحب الحال فاعل **﴿فلا تجعلوا﴾**.

والخطاب إما عام أو خاص على أن المقصود أهل الكفر والنفاق ويخرج عنه المؤمنون وهذا الثانى أرجح.

وقد حذف المفعول هنا لعلمه مما سبق فهم يعلمون النعم الكثيرة التى تقتضى عدم إشراك غيره معه إذ هو صاحب القدرة والنفع، وغيره من النظراء والأنداد لاينفعون بشىء كما قال سبحانه - فى آية أخرى - : **﴿هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شىء؟﴾**. سورة الروم: آية ٤٠.

أو يعلمون عدم مماثلة أى شىء له أو هم من أهل العلم فكيف يعبدون غير الله وعندهم الأهلية، وهذا تهكم بهم واستهزاء.

ولسائل أن يسأل: كيف وصف الكافرون والمنافقين بالعلم مع أنه سبحانه قال عنهم - قبل ذلك - **﴿صم بكم عمى فهم لا يرجعون﴾** سورة البقرة: اية ١٨. وهذا يقتضى ألا علم لهم؟

والجواب أن هذا هو العلم الخاص بالأمور المذكورة فى الآيتين من نعم الله الباهرات.

أو أنه أراد بذلك دعوتهم إلى التأمل والتدبر فيما حولهم من نعم الله فهم قد أصموا آذانهم وأعرضوا عن رؤية الآيات من حولهم، ولو تركوا حواسهم على طبيعتها لأدركوا وعرفوا حقيقة ما يجهلون أو يدعون جهالته.

وفى هذا دعوة إلى استعمال العقل والنظر فى الحجج والأدلة للوصول إلى الحق، وإبطال لدعوى التقليد للآباء والأجداد فى مثل قولهم: **﴿إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون﴾**. سورة الزخرف: آية ٤٣،

ثم انتقل القرآن الكريم بقوله تعالى:

﴿وإن كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين﴾.

إلى حجاج الكفار والمنافقين ومناقشتهم فى دعواهم الزائفة بأن القرآن مفترى، وما ران على قلوبهم من شك فى صحة نبوة محمد ﷺ، وكيف تحداهم أن يأتوا بمثله فعجزوا، وأن يأتوا بعشر سور فعجزوا كذلك، ثم نزل معهم فى النقاش إلى حد طلب الإتيان بمثل سورة واحدة حتى ولو كانت من قصار السور التى لا تزيد على ثلاث آيات، فأفحموا عن الجواب وتقطعت بهم الأسباب مع كونهم أصحاب البلاغة واللحن، وعنهم تؤخذ الفصاحة وقوة اللسان.

ولا شك أن القرآن الكريم معجز بوجوه كثيرة فى نظمه الذى يسمو فوق كل نظم معهود فى لسان العرب وألسن غيرهم من الأمم، ومعجز فى أسلوبه المرتفع على جميع أساليب العرب وفى جزالته التى لا تصح من مخلوق على الإطلاق، إلى غير ذلك من وجوه الإعجاز كالإخبار بالغيب، والعلم، والحكم البالغة، والتناسب فى جميع ما تضمنه من شرائع وأحكام ومبادىء وقيم ومثل.

ونرجع إلى الآية لنحللها تحليلا لغويا ونبين إن شاء الله خصائصها التعبيرية.

فقد عبر عن شك الكافرين والمنافقين فى صحة القرآن وتحداهم أن يأتوا بمثل سورة منه فقال عز من قائل:

﴿وإن كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله﴾. سورة البقرة: آية ٢٣.

الريب: الشك مع تهمة كما ذكرنا من قبل فى حلقات سابقة.

مما نزلنا: (ما) واقعة على القرآن الكريم وهى اسم موصول أو نكرة موصوفة، والعائد إليها محذوف على معنى (الذى نزلناه) وهو القرآن الكريم المنزل على نبينا محمد ﷺ.

على عبدنا: العبد مأخوذ من التعبد وهو التذلل والخضوع ولما كانت العبادة أشرف الخصال والتسمى بها أشرف التسميات سمى نبيه عبداً إذ هو القائل سبحانه ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون، إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين﴾. سورة الذاريات: آية ٥٦, ٥٧, ٥٨

وللغويين وقفات أمام التعبير القرآنى فى قوله تعالى: ﴿وإن كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا﴾ تبين خصائص هذا التعبير ومراميه اللغوية الفريدة.

فالمعروف أن أداة الشرط (إنْ) تحول الفعل الماضى إذا وقع بعدها إلى الزمن المستقبل. ولسائل أن يسأل: كيف استعملت (إنْ) هنا مع أن الشك واقع فى الماضى من الكافرين والمنافقين ويجاب عن ذلك بأن شكهم مستمر فهو فى الماضى والمستقبل معا، والقرآن الكريم يناقشهم عن استمراره فى المستقبل، فصح استعمال (إنْ) الشرطية ليفيد المطلوب بدقة فائقة.

ويرى بعض اللغويين أن الفعل (كان) قوى متوغل فى المعنى ولذلك يبقى معناه فى الماضى ولا تقلبه (إن) الشرطية إلى المستقبل، ويكون الكلام فى الآية عن شكهم فى الماضى وطلب عدولهم عنه.

والرأى الأول أقوى لأن القرآن الكريم يطلب من الكافرين والمنافقين عدولهم عن الريب الذى اعتنقوه فى الماضى والمتوقع استمرارهم عليه فى المستقبل وكذا كل من سار على دربهم فى كل مكان وزمان.

ولسائل أن يسأل أيضا فيقول: إنّ (إنْ) الشرطية تستعمل ـ عادة ـ فى الأمر المشكوك فيه على حين أن (إذا) الشرطية تستعمل فى الأمر المؤكد المتيقن.

كما تقول للعاصى: إن تبت من ذنوبك غفر الله لك، وأنت تعرف بدلائل حالية أن توبته مشكوك فيها، أما إذا كنت واثقا متيقنا من عزمه على التوبة قلت له: إذا تبت من ذنوبك غفر الله لك، ولا يصح أن تستعمل إحدى الأداتين مكان أختها حتى لا يفسد المعنى المفهوم من العبارة.

وهنا فى المقام الذى معنا كان ريبهم فى القرآن واقعا محققا فكيف تستعمل (إنْ) مع ان المقام لا يقتضيها وإنما يقتضى استعمال (إذا) مكانها؟

وجواب هذا السؤال حكمة بالغة وهى توبيخ الكفار والمنافقين على الارتياب، فالمفروض أن ريبهم فى القرآن ينبغى ألا يقع لأن القرآن ليس محلا للشك بحال، ولذا يجب أن يزول من نفوسهم، ومن هنا استعملت (إن) التى تجعل ريبهم مشكوكاً فى وقوعه، ونكّر (ريب) ليفيد أنه ينبغى أن يكون هذا الشك ضعيفا قليلا لسطوع الدلائل على صدق القرآن وكونه وحيا منزلا من عند الله بلا أدنى شبهة، فلعل أصحاب الريب يرجعون عنه وينصرفون إلى الإيمان.

وهذه دقة لغوية بارعة تشتمل على حسن توجيه الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة.

وننبه هنا إلى أن الكثيرين من المتحدثين بالعربية فى عصرنا الحاضر يهمل النظر إلى دقة استعمال الأداتين (إنْ) و (إذا) فى مكانيهما الصحيحين، فقد يستعمل (إذا) فى الأمر المشكوك فيه ويستعمل (إن) فى المؤكد وقوعه بلا أدنى ملاحظة لدقة هذا الاستعمال، وما كان يجرى فى الأساليب العربية الفصحى.

ويجب أن يتخذ القرآن الكريم مثالا يحتذى فى دقة هذا الاستعمال، فقد استعمل القرآن الكريم كلا التعبيرين فى مواضع كثيرة منتهجاً هذا النهج القويم، وقد يعدل عنه ـ كما هنا ـ لملاحظات واعتبارات غاية فى الدقة اللغوية، وليتنا جميعا نعى هذه الخصائص القرآنية ونحتذيها لنحسن التعبير بالعربية فى دقة تعيد لساننا إلى ما كان عليه أسلافنا الفصحاء.

هذا وبالله التوفيق، وإلى لقاء آخر،

أيحسب الإنسان أن يترك سدى

أ. محمد عبدالعظيم الجوهرى

عنوان هذا الموضوع.. هو عبارة عن الآية رقم (٣٦) من سورة القيامة التى ذكر الإنسان فيها ست مرات.. وتكرار ذكر الإنسان فى هذه السورة يبدو وكأنه تمهيد للسورة التى تليها مباشرة وهى سورة الإنسان. وقد توالى ذكر الإنسان فى سورة القيامة فى الآيات ٣ و٥ و١٠ و١٣ و١٤ و١٥.

ولنتساءل بعد هذا.. ما معنى أن يترك الإنسان سدى؟

وحيث أن هذا لم يحدث ولم يُترك الإنسان سدى بعد خلقه.. فتعال بنا نفترض هذا الافتراض ونرى.. كيف يكون حال الإنسان لو ترك سدى!

أولا - أن يُخلق بلا سبب وأن يترك بلا هدف.

ثانيا - أن يُترك بلا منهاج يحدد له ما تصلح به حياته، ويعرفه ما ينفعه لكى يفعله وما يضره لكى يمتنع عن فعله.

ثالثا - أن يُترك دون تعريفه بنفسه ودون تعريفه بالمخلوقات التى حوله، ودون تعريفه بعلاقته ببنى جنسه وعلاقته بباقى المخلوقات.. وقبل كل ذلك تعريفه بخالقه وما ينبغى عليه تجاه هذا الخالق.

رابعا - أن يُترك بلا نظام للثواب إذا أحسن، وللعقاب إذا أساء.

خامسا - أن ينتهى أمره بالموت ويترك بلا بعث ولا حساب ولا جزاء.

فهل ترك الله الإنسان سدى؟

ولنسأل نفس السؤال بصيغة أخرى.. وهذه الصيغة ليست من عندنا ولكنها آية من كتاب الله «**أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا. وأنكم إلينا لا ترجعون**» سورة المؤمنون: آية ١١٥. والإجابة.. أنه تعالى الله علوا كبيرا عن ذلك.

والإجابة ليست من عندنا أيضا ولكنها من عند الله الذى يقول فى الآية التى تليها مباشرة «**فتعالى الله الملك الحق. لا إله إلا هو رب العرش الكريم**» سورة المؤمنون: آية ١١٦.

وتذكر الافتراض الذى ذكرناه آنفا، وانتبه لما سوف نذكر فيما يلى:

أولا - لقد خلق الله الإنسان لسبب وحدد له هدف.. مصداقا لقوله تعالى «**وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون**» سورة الذاريات: آية ٥٦. «**الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا**» سورة الملك: آية ٢.

ثانيا ـ لقد أرسل الله للإنسان المنهاج الذى تصلح به حياته، وهو الكتب المنزلة على الرسل وختامها القرآن الكريم.. وهذه الكتب تتضمن الأوامر والنواهى وما يهدى إلى صراط الله المستقيم، وتعرفه ما ينفعه لكى يفعله، وما يضره لكى يمتنع عن فعله مصداقا لقوله تعالى: **«كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد»** سورة إبراهيم: آية: ١.

«إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم» سورة الإسراء: آية ٩.

«كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه. وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعدما جاءتهم البينات بغيا بينهم. فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه. والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم» سورة البقرة: آية ٢١٣.

«قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل الظلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم» سورة المائدة: آية ١٥ و١٦.

«ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شىء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين» سورة النحل: آية ٨٩.

ثالثا ـ لقد عرف الله الإنسان بنفسه وعرفه المخلوقات التى حوله وحدد له علاقته ببنى جنسه وعلاقته بباقى المخلوقات.. وقبل كل ذلك عرف الله نفسه للإنسان.. وفيما يلى تفصيل ذلك:

١ ـ أما عن تعريفه بنفسه فاقرأ قوله تعالى: **«ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين. ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين. ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما. فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين. ثم إنكم بعد ذلك لميتون. ثم إنكم يوم القيامة تبعثون»** سورة المؤمنون: الآيات من ١٢ ـ ١٦.

«هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا. إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا. إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا» سورة الإنسان: الآيات من ١ ـ ٣.

«فلينظر الإنسان مما خلق. خلق من ماء دافق. يخرج من بين الصلب والترائب إنه على رجعه لقادر» سورة الطارق: الآيات من ٥ ـ ٨.

٢ ـ أما عن تعريف الإنسان ببنى جنسه وكيف تكون العلاقة بينه وبينهم، فقد اخترنا هذه الآيات من سورة الإسراء لأنها آيات متتابعة وتغطى علاقات كثيرة ومتنوعة.

«وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا»

«وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل».

«ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق».

إشارة إلى المحافظة على النسل.

«ولا تقربوا الزنى».

إشارة إلى المحافظة على أعراض الناس..

«ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق» إشارة إلى المحافظة على أعراض الناس.

«ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشده. وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا. وأوفوا الكيل إذا كلتم. وزنوا بالقسطاس المستقيم. ذلك خير وأحسن تأويلا».

إشارة إلى المحافظة على أموال الناس.

راجع الآيات السابقة من ٢٣ ـ ٣٥ من سورة الإسراء.

٣ ـ أما عن تعريف الإنسان بالمخلوقات التى حوله

وكيف أنها خلقت من أجله.. فاقرأ قوله تعالى:

«والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون. ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون. وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس إن ربكم لرؤوف رحيم. والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق مالا تعلمون».

«وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر. والنجوم مسخرات بأمره».

«وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون. وألقى فى الأرض رواسى أن تميد بكم وأنهارا وسبلا لعلكم تهتدون. وعلامات وبالنجم هم يهتدون».

راجع الآيات من ٥ : ١٦ من سورة النحل.

«أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت وإلى السماء كيف رفعت. وإلى الجبال كيف نصبت. وإلى الأرض كيف سطحت».

الآيات من ١٧ ـ ٢٠ من سورة الغاشية.

«فلينظر الإنسان إلى طعامه. أنا صببنا الماء صبا. ثم شققنا الأرض شقا. فأنبتنا فيها حبا. وعنبا وقضبا. وزيتونا ونخلا. وحدائق غلبا. وفاكهة وأبا. متاعا لكم ولأنعامكم» الآيات من ٢٤ـ ٣٢ من سورة عبس.

٤ ـ وقبل كل هذا التعريف.. فقد عرف الله نفسه للإنسان حتى إذا عرف إلهه وخالقه وربه حق المعرفة عبده حق العبادة.. ونكتفى فى هذا الصدد بما يلى من آيات لقدرها ومقامها وإلا اضطررنا إلى كتابة نصف القرآن الكريم إذا أردنا حصر آيت التعريف بالله. يقول تعالى:

«الله لا إله إلا هو الحى القيوم. لا تأخذه سنة ولا نوم. له مافى السموات وما فى الأرض من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه. يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشىء من علمه إلا بما شاء. وسع كرسيه السموات والأرض. ولا يؤده حفظهما وهو العلى العظيم» سورة البقرة: آية ٢٥٥.

«بسم الله الرحمن الرحيم. قل هو الله أحد. الله الصمد. لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد».

سورة الإخلاص.

رابعا ـ لقد أرسل الله الرسل وأنزل الكتب.. وهذه الكتب ماهى إلا وعد ووعيد وترغيب وترهيب، وتبشير وإنذار، والرسل صلوات الله وسلامه عليهم ماهم إلا مبشرين ومنذرين مصداقا لقوله تعالى: **«رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما»** سورة النساء: آية ١٦٥.

وهذا يعنى أن كتب الله التى أنزلها هى أساسا ـ إلى جانب الأغراض الأخرى ـ أوامر ونواهى مرتبطة بنظام للثواب والعقاب، والثواب لمن أحسن وأتُمر بالأوامر وانتهى عن النواهى، والعقاب لمن أساء وخالف الأوامر وارتكب النواهى.

وثواب الله أساسا آجل وهو الجنة، ومنه العاجل وهو ما يفيض الله به من فيض إحسانه على عباده الصالحين فى الدنيا.

وعقاب الله أساسا آجل وهو النار، ومنه العاجل مثلما حدث للأقوام.. مصداقا لقوله تعالى: **«فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية. وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية»** سورة الحاقة الآية: ٥, ٦.

ومثلما حدث للجماعات.. مصداقا لقوله تعالى: **«فخسفنا به وبداره الأرض..»** سورة القصص: آية ٨١.. حكاية عن قارون ومثلما حدث للجماعات.. مصداقا لقوله تعالى: **«فطاف عليها طائفة من ربك وهم نائمون. فأصبحت كالصريم».**

سورة القلم: آية ١٩، ٢٠.. حكاية عن أصحاب الجنة.

فضلا عما يعرف فى الشريعة الإسلامية بالحدود والقصاص بنصوص القرآن والسنة وكذلك التعزير.. وهى العقوبات التى يطبقها أولو الأمر على المخالفين لأوامر الله والخارجين على منهاجه ولا يوجد لهذه المخالفات عقوبات فى القرآن أو السنة.

خامسا - وأخيرا.. نصل إلى حقيقة البعث، إلى يوم القيامة، يوم يقوم الناس لرب العالمين، يوم يرجعون إلى الله، يوم يحشرون للحساب، يوم يُنادى أهل الموقف بصفة عامة وملوك الأرض بصفة خاصة.. يناديهم الله - تعالى - ويقول **«لمن الملك اليوم»** فلا يقدر أحد على النطق ويأتى الرد من الله ذاته **«لله الواحد القهار»** سورة غافر: الآية ١٦. لقد خشعت الأصوات للرحمن **«وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همسا»** سورة طه: الآية ١٠٨. وقيل أن هذا الهمس ماهو إلا قول الأنبياء والرسل **«يارب سلم، سلم»**.. **فما بالك بغيرهم**.

ويوم القيامة هو موضوع سورة القيامة، وهو موضوع الدين، وهو يوم الدين، وحيث أننا أثبتنا أن الله لم يترك الإنسان سدى، فإنه لابد من القيامة، ولابد من الرجعة، فهى واقعة، وواجبة الوقوع.. وإلا كانت حياة الإنسان سدى، وكان خلقه عبثا.. وتأمل مرة أخرى الآية التى سبق أن ذكرناها فى البداية..

«أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون» سورة المؤمنون: آية ١١٥. حيث يفهم من الآية أن الخلق دون الرجوع يكون عبثا.. وتعالى الله علوا كبيرا عن العبث، لذلك تأتى الآية التى بعدها مباشرة لتقول: **«فتعالى الله الملك الحق. لا إله إلا هو رب العرش الكريم»** سورة المؤمنون: آية ١١٦.

لو لم يكن أمر الخلق.. خلق الإنسان، وخلق السموات والأرض وما بينهما وما تحت الثرى على هذا النحو الذى سردنا.. لكان الأمر ينطوى على لهو ولعب إلى جانب السدى والعبث لا نقول ذلك من عندنا ولكن نردد ما قاله الله فى كتابه العزيز **«لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه»**.. واقرأ قوله تعالى عن هؤلاء الذين أنكروا البعث ورده عليهم.

«إن هؤلاء ليقولون إن هى إلا موتتنا الأولى وما نحن بمنشرين. فاتوا بآبائنا إن كنتم صادقين. أهم خير أم قوم تبع والذين من قبلهم أهلكناهم إنهم كانوا مجرمين. وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين. ما خلقناهما إلا بالحق ولكن أكثرهم لا يعلمون. إن يوم الفصل ميقاتهم أجمعين». سورة الدخان: الآيات ٣٤ - ٤٠.

واقرأ قوله تعالى - أيضا - عن سنته الماضية والمضطردة التى لا تتبدل ولا تتغير فى عقاب من خالفوا الرسل وكذبوهم وأنكروا البعث.

«فمازالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيدا خامدين.. وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين. لو أردنا أن نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا إن كنا فاعلين. بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق. ولكم الويل مما تصفون» سورة الأنبياء: الآيات ١٥ - ١٨.

.. وبعد.. ألا يزال الإنسان يحسب أن يترك سدى؟!!

ثم تأتى الآيات بعد ذلك بأسئلة للإنسان للذكرى والاعتبار وعليه أن يجيب على نفسه..

«ألم يك نطفة من منىٍّ يمنى»؟.. بلى كان كذلك.

«ثم كان علقة فخلق فسوى».. نعم كان كذلك.

«فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى».. نعم الواقع يشهد بذلك.

«أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى»؟.. بلى قادر.

والأمر عند هذا الحد، وبعد هذا السرد.. لا يحتاج منا إضافة.

اللهم إنى أسألك نفسا مطمئنة: توقن بلقائك،

فى رحاب شهر الصيام

- الصيام الكامل والمقبول
- رمضان عيد ميلاد الأمة الإسلامية
- الاعتكاف فى شهر رمضان
- استقبال شهر رمضان
- كيف نصوم رمضان
- دروس وعبر من فتح مكة المكرمة
- من أمجاد التاريخ الإسلامى (انتصار العاشر من رمضان)
- من الذكريات البعيدة فى الشهر الكريم

الصيام الكامل.. والمقبول

أ.د أحمد عمر هاشم

لقد وضح الرسول صلى الله عليه وسلم ـ مكانة شهر رمضان، ببيان ما تميز به من خصوصيات أشار القرآن الكريم إليها: «شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن». سورة البقرة: آية ١٨٥.

ففيه أنزل القرآن، وفيه ليلة خير من ألف شهر، وهى ليلة القدر ومن أعظم علامات الرحمة والخير فيه: تفتيح أبواب الجنة وإغلاق أبواب النار وتسلسل الشياطين.

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: «إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار وصُفِدَتْ الشياطين» رواه مسلم.

وقد رأى العلماء أن تفتيح أبواب الجنة وإغلاق أبواب النار وتصفيد الشياطين، على ظاهره وحقيقته، وتكون هذه الأمور علامة لدخول الشهر، وتكريما له، وفى حبس الشياطين فى شهر رمضان كف لهم عن إيذاء المؤمنين.

وهناك وجه آخر أن يكون فتح أبواب الجنة إشارة إلى كثرة الثواب، وإغلاق أبواب النار إشارة إلى العفو، وتصفيد الشياطين إشارة إلى قلة إغوائهم. فكأن حالهم أشبهت حال المصفدين، ويكون هذا التصفيد خاصا بناس دون ناس، وعن أمور دون أمور،

ويؤيد هذا الرواية الثانية: «وفتحت أبواب الرحمة». وجاء فى حديث آخر: «صفدت مردة الشياطين».

أو أنه أطلق المسبب وهو تفتيح أبواب الجنة وإغلاق أبواب النار وتصفيد الشياطين وأراد السبب وهو فعل الطاعات وعمل الخيرات والكف عن المعاصى والسيئات.

وإنما يستشعر كل هذا من صام صوما حقيقيا لا زور فيه ولا غيبة ولا نميمة ولا ذنب، بل يتحلى الصائم بمكارم الأخلاق.

وقال بعض العلماء: يحتمل أن يكون المراد أن

الشياطين هم مسترقو السمع منهم وأن تسلسلهم يقع فى ليالى رمضان لأنهم كانوا منعوا فى زمن نزول القرآن من استراق السمع فزيدوا التسلسل مبالغة فى الحفظ.

وقال بعض العلماء: فائدة فتح أبواب السماء توقيف الملائكة على استحماد فضل الصائمين وأنه من الله بمنزلة عظيمة.

وهكذا يتضح مما سبق ما لهذا الشهر الكريم، من منزلة عظيمة عند الله سبحانه وتعالى، وأنه أفضل الشهور، واستدل بعض العلماء بهذا الحديث على أن الجنة فى السماء.

كما استنتج العلماء من هذا الحديث مضاعفة الأجر وتنزل رحمات الله تعالى على عباده الصائمين فى شهر رمضان، وعلى المؤمنين أن يغتنموا الأوقات المباركة بكثرة العبادة وزيادة الطاعة.

ولا يكون الصائم كامل الصوم مقبولا عند ربه سبحانه وتعالى إلا إذا صام صوما حقيقيا وتاما، بأن كف جوارحه وشهواته وامتنع عن المفطرات وعن المعاصى ما ظهر منها وما بطن وامتنع عن الزور وعن العمل به.

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ «من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه» رواه البخارى.

والمراد بقول الزور: الكذب، روى ليث بن مجاهد: خصلتان يفسدان الصيام: الغيبة والكذب.

والذى يكف عن الطعام والشراب فيجوع ويعطش ولكنه لا يكف نفسه عن الغيبة أو الزور أو العمل به ولايحفظ جوارحه عن الآثام أو يصوم ويفطر على الحرام أو على لحوم الناس بالغيبة ونحوها، هذا الإنسان لا يجنى من صيامه إلا الجوع والعطش، كما قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «كم من صائم ليس له من صومه إلا الجوع والعطش» رواه النسائى وابن ماجه.

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: «من صام رمضان وعرف حدوده وتحفظ مما ينبغى له أن يتحفظ منه كفَّر ما قبله» رواه ابن حبان فى صحيحه والبيهقى.

وقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «إذا صمت فليصم سمعك وبصرك ولسانك ويدك».

إن الصيام بهذا المعنى يكون كاملا مقبولا، يتكفل الله سبحانه وتعالى بجزاء الصائمين كما جاء فى الحديث «كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لى وأنا أجزى به».

إن الصيام أمانة يجب على المؤمن أن يؤديها على أكمل وجه وأتمه وأن يصون صيامه من كل ما يبطله أو ينقص ثوابه، وأن يتحاشى قول الزور والعمل به، وأن يتخلى عن الرذائل ويتحلى بالفضائل ليستحق أن يتكفل الله بجزائه وأن يثمر صيامه أعظم الثمرات.

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: «كان رسول

الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أجود الناس وكان أجود ما يكون فى رمضان حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه فى كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن، فلرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أجود بالخير من الريح المرسلة» رواه البخارى.

لقد كان ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ أجود الناس، والجود: هو إعطاء ما ينبغى لمن ينبغى، وهو أعم من الصدقة.

وفى حديث آخر عن أنس ـ رضى الله عنه ـ «كان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أشجع الناس وأجود الناس».

وبعد أن وضح الحديث أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أجود الناس مطلقا، أشار بعد ذلك إلى أن جوده وعطاءه وبذله صلوات الله وسلامه عليه فى شهر رمضان أكثر من غيره من الشهور.

فبعد بيان أنه أجود الناس وجوده أفضل من جود غيره مطلقا، وضح أن جوده فى شهر رمضان يفضل جوده فى سائر الأوقات، لأن شهر رمضان هو موسم الخيرات ولأن نعم الله سبحانه وتعالى على عباده فيه زائدة على غيره، وهى فى هذا الشهر أكثر من غيره، فكان رسول الله ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ يؤثر متابعة سنة الله فى عباده.

وكان جبريل يلقاه فى كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن معنى مدارسة القرآن: قراءته بالتناوب على سرعة، فكان الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ يتناوب القراءة مع جبريل عليه السلام، بأن يقرأ هذا بعضا من القرآن، ويقرأ الآخر البعض، أو يتشاركان فى القراءة معا.

أما الحكمة فى مدارسة القرآن، فهى أنها تجدد العهد بمزيد غنى النفس، والغنى سبب الجود، ولأن هذا الشهر المبارك هو موسم الطاعات والخيرات ونعم الله فيه لا تحصى.

وجوده ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى شموله وعمومه يشمل كثيرا من الوجوه والمنافع، وأن الجود مع كثرته سريع كالريح المرسلة، بل إن جوده صلوات الله وسلامه عليه أكثر من الريح المرسلة سرعة، ووصف الريح بالمرسلة إشارة إلى دوام هبوبها بالرحمة، وإلى عموم النفع بجوده كما تعم الريح المرسلة جميع ما تهب عليه.

وورد عند الإمام أحمد فى آخر هذا الحديث: «لا يسأل شيئا إلا أعطاه» وفى الصحيح من حديث جابر رضى الله عنه «ما سئل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال لا».

ومعلوم أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ هو الأسوة الحسنة الذى يجب على أمته أن تقتدى به كما قال الله جل شأنه.

«لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا». سورة الأحزاب: آية ٢١.

فعلينا أن نقتدى برسولنا ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ فى الإنفاق والمزيد من الجود فى شهر رمضان.

رمضان

عيد ميلاد الأمة الإسلامية

د/ محمد عمارة

لم يكن الصوم ـ كشعيرة دينية وفريضة إلهية ـ من الخصوصيات التى اختص الله ـ سبحانه وتعالى ـ بها أمة محمد، (ﷺ) . . فهو شعيرة ومنسك عرفته شرائع وأمم الرسل السابقين.. وعن هذه الحقيقة يتحدث القرآن الكريم، وهو يشرع لفريضة الصوم على المسلمين فيقول: «يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون» البقرة ١٨٣.

وعندما هاجر رسول الله (ﷺ) والمهاجرون من مكة إلى المدينة، وجدوا اليهود يصومون فى ذكرى نجاة موسى ـ عليه السلام ـ من فرعون، فأحيوا هم أيضا هذه الذكرى بالصيام، تعبيرا عن معنى وحدة الدين الإلهى، واستمرارية الشرائع مالم يقض فيها الله بالنسخ والاستبدال والتطوير.. وكذلك كان للنصارى صيامهم الذى ربطوه بحادثة الصلب..

لكن السنة الثانية للهجرة. والشهر الثامن عشر من شهورها ـ على أرجح الآراء ـ قد شهر تشريع فريضة الصوم الخاصة بأمة الرسالة الخاتمة.. صوما متميزا فى منسكه، من حيث أوقات الإمساك عن شهوات الطعام والشراب والفروج، ومن حيث عدد الأيام، ومن حيث موقع هذه الأيام فى شهور العام، ومن حيث التقويم القمرى الذى كان تقويم العرب والإسلام.. وإذا كانت مواقيت الشعائر والفرائض الدينية لا تخلو من حكمة يحققها التوقيت ـ حتى وإن خفيت علينا فى بعض الأحايين ـ فإن البحث عن الحكمة التى جعلت شهر رمضان ـ دون غيره من شهور السنة القمرية ـ هو شهر الصيام للأمة الإسلامية.. البحث عن حكمة هذا التوقيت قد يفتح أمامنا سبلا لاكتناه مزيد من العظمة والتعظيم لهذا الركن من أركان الإسلام.. بل إنه لفاتح أمام بصائرنا طرقا إلى المعانى الحقيقية الجديرة بالتجسيد والإحياء فى هذا الشهر العظيم.. شهر رمضان..

إن الصوم فى الاصطلاح الشرعى للإسلام هو الامتناع عن شهوتى البطن والفرج من طلوع الفجر إلى غروب الشمس أيام شهر رمضان.. لكنه إذا وقف عند

هذا «الطقس» فقد لايكون لصاحبه منه سوى آثار «الجوع والعطش» كما جاء فى الحديث عن رسول الله (ﷺ) ذلك أن الصوم هو فى حقيقته «تعبيد» للإنسان يديم «حضور العبودية» بألوان من «الحرمان» تجعله مدرسة عظمى لتربية الإرادة الإنسانية على الحضور - الطائع» للخالق، سبحانه وتعالى وحده ودونما رقيب أو شريك، الأمر الذى يخلص هذا العمل لله، دونما رياء!.. ولذلك قد يحار ويستغرب الذين لايعلمون رسالة الصوم فى تربية الإرادة الإنسانية، كيف كان رمضان - شهر الحرمان والمعاناة والمكابدة - هو شهر أبرز الانتصارات الإسلامية على أشرس التحديات التى هددت «الدعوة» و«الأمة» و«الوطن» .. منذ «بدر الكبرى» سنة٢ هـ إلى «فتح مكة» سنة٨ هـ. إلى «حرب رمضان» سنة ١٣٩٣ هـ!.

لكن .. لماذا فى رمضان؟.

لكن السؤال الباحث عن حكمة توقيت الصيام الإسلامى لايزال قائما .. لماذا كان هذا المنسك، الذى مثل ويمثل «مدرسة التربية الإسلامية للإرادة» فى شهر رمضان دون غيره من الشهور؟.

إن القرآن الكريم يحدثنا عن أن هناك أربعة أشهر حرم، وهى «رجب - ذو القعدة - ذو الحجة - المحرم»، ولها عند الله فضل واختصاص، حتى لقد جعلها مكرمة للسلام وتنمية العمران، وحرم فيها القتال.

«إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا فى كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم، ذلك الدين القيم، فلا تظلموا فيهن أنفسكم، وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة، واعلموا أن الله مع المتقين» التوبة : ٣٦.

لكن الله، سبحانه وتعالى ، قد جعل الصيام - هذا الركن العظيم من أركان الإسلام - فى رمضان، ولم يجعله فى واحد من هذه الأشهر الحرم.. فلماذا؟!

بل إن «الحج» إلى البيت الحرام - وهو كالصيام ركن إسلامى له توقيت سنوى ثابت - قد دخل شهر «ذو الحجة» وهو من الأشهر الحرم - فى أشهر الإحرام به والأداء لمناسكه .. وبقى الصيام وحده، من بين الأركان ذات الميقات السنوى الثابت، بعيدا عن هذه الأشهر الحرم، حيث اختص به شهر رمضان!.

وإذا كانت الهجرة النبوية قد مثلت، بالنسبة للإسلام الدعوة .. والدولة «الحدث المنقذ» من إحاطة الشرك واقتلاع الكفر للإيمان.. فلم يكن شهر الهجرة - ربيع الأول - هو شهر الصوم، كما كان حال الصيام فى شريعة بنى إسرائيل، فى ذكرى نجاة موسى ومن معه من فرعون وملئه؟! .. ولماذا كان الاختيار الإلهى لشهر رمضان بالتحديد، ودون غيره من الشهور؟

إن القرآن الكريم لايترك الإجابة عن السؤال الباحث عن «حكمة» هذا التوقيت للاجتهاد والاستنتاج.. فآياته البينات قد تحدثت عن «لحظة الميلاد» للأمة الإسلامية الخاتمة، تلك التى تجسدت فى لحظة «الظهور للدين» الذى ميز هذه الأمة، وجعل من دينها الطور الخاتم لرسالات الدين الإلهى الواحد ، والشريعة العالمية التى استكملت وأكملت للإنسان مكارم الأخلاق.. ولقد كانت بداية هذه «اللحظة» هى نزول الروح الأمين» على «الصادق الأمين» بأولى آيات القرآن الكريم، لحظة «مطلع الفجر» فى ليلة من الليالى الوتر فى العشر الأواخر من شهر رمضان فى «غار حراء» .. فى هذه اللحظة» التى أضاءت فيها الأرض بنداء السماء «اقرأ

باسم ربك الذى خلق» ، بدأ نزول القرآن فى ليلة القدر.. وهى «لحظة» «مطلع الفجر» الذى هو مولد النهار. وفيها نزل الكتاب الذى ولدت منه الأمة . عندما خرجت عقيدتها وشريعتها وحضارتها . ووجدنا فى «الأمة» والدار» من بين دفتى هذا الكتاب الكريم.

ولقد كان ذلك «الميلاد» فى شهر رمضان .. فكان صومه - دون غيره من الشهور - الاحتفال الإسلامى بميلاد هذه الأمة، فى مطلع الفجر من ليلة القدر، فى رمضان، فى السنة التى سبقت الهجرة النبوية بثلاثة عشر عاما.

يحكى القرآن الوقائع التى تقود العقل المسلم لاكتشاف حكمة الصيام الإسلامى فى شهر رمضان، دون سواه من الشهور.. وذلك عندما يحدثنا عن توقيت نزول القرآن الكريم «إنا أنزلناه فى ليلة القدر. وما أدراك ماليلة القدر. ليلة القدر خير من ألف شهر تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر. سلام هى حتى مطلع الفجر» القدر : ١-٥.

وكان ذلك فى شهر رمضان..ولذلك ، جعله الله ميقاتا لشعيرة الصوم - مدرسة بناء الإرادة الإسلامية - المجددة أبدا لفتوة الأمة ، كى تستعيد دائما عافية الميلاد الجديد ، وصحة الجهاد والاجتهاد والتجديد .. فقال سبحانه وهو يشرع لهذه الفريضة ، فيحدد الميقات، وعلة التوقيت : «شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ، فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر ، يريد الله لكم اليسر ولايريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون» البقرة ١٨٥.

وهكذا نجد أنفسنا أمام «الحكمة» التى جعلت صيامنا فى رمضان .. وليس فى شهر من الأشهر الحرم.. وليس، أيضا فى ذكرى نجاة الإسلام ورسوله وأمته، بالهجرة من الحصار والإبادة والاقتلاع ... أمام «الحكمة» التى جعلت صيامنا إحياء لذكرى لحظة نزول القرآن الكريم ، الذى مثل «الرحم» الذى ولدت منه هذه الأمة ، عندما خرجت مقوماتها وثوابتها والروح السارية فى حضارتها والصبغة المميزة لعمرانها .. عندما خرج كل ذلك من بين دفتى هذا الكتاب الكريم ، ومن سور وآيات هذا النبأ العظيم..

فكيف يكون الاحتفال ؟

وإذا كان احتفال الناس ، أفرادا وأسرا وشعوبا وأمما ، بالأعياد والمناسبات ، لابد وأن تصطبغ مظاهره وتعكس وقائعه معانى ودلالات الحدث الذى به يحتفلون ، ولذكراه يحيون.. إن كان انتصارا عسكريا ، فإن مظاهر القوة ومعالمها تطبع وقائع الاحتفال .. وإن كان استقلالا عن الاستعمار.. أو تحريرا للثروات.. أو استرجاعا للأرض.. الخ.. الخ ، صبغت معانى الذكرى احتفالات الذين يتذكرون ويحتفلون .. فإن احتفال المسلمين، عندما يصومون شهر رمضان، بذكرى «اللحظة» التى بدأ فيها نزول القرآن على قلب رسول الله (ﷺ) مطلوب منه - من هذا الاحتفال - أن يصطبغ بصبغة ذلك الحدث العظيم .. نزول القرآن ، الذى كان الرحم الذى ولدت منه المقومات التى صنعت أمة الإسلام ، ومثلت الروح السارية والضامنة لتواصلها الحضارى على مر الدهور إن تأمل هذه المعانى ، وتدبر هذه الحقائق، سيضع يدنا على حجم «الخلل.. والقصور» الذين أصابا ويصيبا «معانى. ومعالم» احتفالنا فى رمضان بذكرى نعمة نزول «النبأ العظيم» .. ليس، فقط فى تحول شهر الصوم إلى شهر

للكسل وتدنى الإنتاج.. بينما هو فى حقيقته «مدرسة تربية الإرادة» على الفتوة التى تجعل منه التجديد للطاقات والملكات والقدرات التى تعين الأمة على قهر المخاطر والتحديات، وتنمية معالم الابتكار والإبداع..

وليس، فقط، عند وقوف الأكثرين عند «الطرب» لسماع القرآن.. واكتفاء الكثيرين بمجرد «تلاوته».. بينما لا «يتدبره» إلا الأقلون!.. فلاطرب السماع.. ولا مجرد التلاوة.. بل ولا حتى الوقوف عند «التدبر للمعانى» بكاف فى الاحتفال الذى يحيى المعنى الحقيقى لهذا العيد الذى ولدت فيه أمة الإسلام.

إن نزول القرآن الكريم، إنما مثل لحظة الميلاد لأمة الإسلام، لأنه مثل «النور» الذى خرجت إليه الأمة من ظلمات الجاهلية.. ومثل «الهدى» الذى نعمت به بعد حيرة الضلالات.. وفى كلمة واحدة جامعة، فلقد مثل القرآن ينبوع «الإحياء» الإسلامى، الصالح دائما وأبدا لطى صفحات الموات والجمود والتقليد، بما يقدم من سبل للاجتهاد والتجديد والإبداع..

ف «الإحياء» فى كل ميادين العمران.. عمران النفس الإنسانية بما يهذبها ويرتقى بملكاتها.. وعمران الواقع المادى بما يحسنه ويحمله من ألوان المدنية.. هذا «الإحياء» الإسلامى هو أخص المصطلحات المعبرة عن رسالة هذا «الينبوع»، الذى نصوم رمضان احتفالا بذكرى لحظة نزوله على قلب رسولنا، محمد بن عبدالله، عليه الصلاة والسلام.. وصدق الله العظيم إذ يقول: «يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه تحشرون» الأنفال - ٢٤.

فنحن - إذ نصوم رمضان - إنما نحتفل بذكرى اللحظة القدسية التى بدأ فيها نزول «النبأ العظيم» ذلك الينبوع الإلهى الذى مثل «الرحم» الذى ولدت منه الأمة الخاتمة، ومن بين دفتيه خرجت المقومات الثوابت للرسالة العالمية فى «العقيدة» و«الشريعة» و«القيم» وهى التى ميزت «الحضارة» بالروح الخالدة، رغم تطورها عبر الزمان والمكان. كما وحدت «الأمة» مع التنوع فى القبائل والشعوب والأقوام وكذلك وحدت«دار الإسلام» مع التمايز فى خصوصيات الأقاليم والأوطان وإذا كانت مصداقية «رسالة» أى احتفال بذكرى لحظة الميلاد هى فى مدى النجاح الذى يحققه الاحتفال فى حضور« المعنى والمغزى» إلى واقع الذين يحتفلون.. فهل ننجح، فى رمضان فى استعادة روح «الإحياء» الإسلامى، الذى مثله القرآن الكريم، عندما أخرج هذه الأمة من الظلمات إلى النور؟.

لقد منَّ الله، سبحانه وتعالى على هذه الأمة عندما تعهد «بحفظ» هذا «الينبوع» وصيانته عن الخلط والتحريف والتبديل «إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون» الحجر ـ ٩.

لكن «إقامة» هذه الدين.. وتجديد دنيانا بفكره المتجدد هى «الأمانة» التى حملناها نحن عندما سعدنا بنعمة التدين بهذا الدين..

فطوبى للسالكين سبل التجديد والإحياء للعمران الإسلامى.. الساعين إلى أداء «الأمانات» فى مختلف ميادين العمران.. أولئك الذين يجعلون من صيام رمضان الاحتفال اللائق بإحياء ذكرى لحظة الميلاد العظيم لأمة محمد، عليه الصلاة والسلام.

الاعتكاف فى شهر رمضان

د. عبدالرحمن العدوى

الاعتكاف فى اللغة لزوم الشىء وحبس النفس عليه، خيرا كان أو غيره، ومنه قول الله تعالى: «ماهذه التماثيل التى أنتم لها عاكفون» وقوله فى بنى إسرائيل: «وجاوزنا ببنى إسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم. قالوا ياموسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة. قال إنكم قوم تجهلون».

وفى الشرع: الإقامة فى المسجد على صفة مخصوصة بنية التقرب إلى الله تعالى. وهو قربة وطاعة مسنونة.

وليس الاعتكاف هروبا من الحياة والعمل فيها، أو قعودا عن السعى والكسب الواجب على الإنسان، فإن الإسلام يحث المسلمين على عمارة الأرض والمشى فى مناكبها واكتساب الأرزاق من الحلال الطيب. قال الله تعالى: «**فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور**» وجعل الله الذين يضربون فى الأرض يبتغون من فضل الله كالمجاهدين فى سبيل الله فى استحقاق تخفيف بعض التكاليف عنهم فقال جل شأنه: «**إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثى الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك. والله يقدر الليل والنهار علم أن لن تحصوه فتاب عليكم فاقرأوا ما تيسر من القرآن. علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون فى الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون فى سبيل الله فاقرأوا ما تيسر منه**». سورة المزمل: آية ٢٠.

ففى هذه الآية الكريمة أن الله قد تاب على النبى والمؤمنين وخفف عنهم فلم يكلفهم بقيام قدر معين من الليل بل ترك لكل واحد أن يتقرب إلى الله بتلاوة ما تيسر له فإن فى عباد الله من هو مريض لا يستطيع قيام جزء معين من الليل، وفيهم من يكدح ويسعى ويتنقل من بلد إلى آخر طلبا للرزق وابتغاء فضل الله وفيهم من يقاتل فى سبيل الله لتكون كلمة الله هى العليا، فهؤلاء جميعا قد عفا الله عنهم ولم يكلفهم ما يشق عليهم تيسيرا عليهم ودفعا للمشقة والحرج عنهم.

وأمر الله المؤمنين أن ينصرفوا بعد الصلاة لمباشرة أعمالهم والسعى على أرزاقهم فقال سبحانه وتعالى: **«فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون»**. سورة الجمعة: آية ١٠.

وقد وردت أحاديث كثيرة تحث المسلمين على العمل والسعى فى طلب الرزق وأن ذلك من العبادة التى يثيب الله عليها. وأن سعى القادرين الأصحاء لرعاية الأهل والأبناء والوالدين هو سعى فى سبيل الله. وفى الأثر: **«لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق ثم يرفع يديه إلى السماء يقول اللهم ارزقنى فإن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة»**.

فالاسلام يدعو إلى العمل والكسب والسعى فى الأرض والسير فى مناكبها ويعيب على القاعدين وهم قادرون، وعلى العاطلين الذين لا يحاولون البحث عن عمل يرتزقون منه، ويعتبر ذلك تفريطا منهم فيما أوجبه الله عليهم، وكما يعيب الإسلام على هؤلاء يعيب على الذين تستعبدهم الدنيا فيكدحون فيها كدحا يرهقهم ويذل رقابهم، ويجمعون أموالهم من حلال أو حرام لا يبالون إلا بالاستكثار من المال، فهم يحبون المال حبا جما ويلهيهم التكاثر عن أداء حق الله وحقوق العباد، فهؤلاء من الغافلين عما عند الله مما هو خير وأبقى مما يجمعون. وهؤلاء يقول الله فيهم: **«زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب. قل أؤنبئكم بخير من ذلكم. للذين اتقوا عند ربهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد»**. سورة آل عمران: آية ١٤، ١٥.

هؤلاء فى حاجة إلى التخفيف من سرعة اندفاعهم المادى والتهدئة من تعلقهم النفسى بالدنيا، وفتح عيونهم على ماهو خير لهم وأبقى، هم فى حاجة إلى إعادة التوازن فى حياتهم فلا تستعبدهم الدنيا ولا يعتزلونها ويهربون من العمل فيها، فإن الله تعالى ذم الذين تعلقت همتهم بالدنيا وحدها وامتدح الذين طلبوا خير الدنيا وخير الآخرة معا، فقال تعالى: **«ومن الناس من يقول ربنا آتنا فى الدنيا وماله فى الآخرة من خلاق. ومنهم من يقول ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار أولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب»**. سورة آلبقرة: آية ٢٠٠, ٢٠٢.

هذا التوازن أو هذا الاتزان فى حركة الإنسان فى الحياة هو الكفيل بأن يكون عمل الإنسان نافعا له ولغيره لا يلحق الضرر بأحد أثناء سيره وسعيه ولا يدمر مصالح الآخرين من أجل كسب مادى تتوق إليه نفسه، ولا يأكل أموال الناس بالباطل، ولا يحتال للاستيلاء على ما ليس له، ولن تجد هذا النوع من الناس إلا من خاف الله واتقاه، وتوثقت صلته بمولاه، فهو حاضر عنده فى كل حركة ونفس وتصرف وقول وعمل لا يغيب عنه، وهو دائما يسأل نفسه عند إقدامه عل فعل شىء: أهذا يرضى الله أم يغضبه؟ فإن كان يرضيه أقدم عليه، وإن كان يغضبه أحجم عنه، فتكون أعماله موزونة بموازين الله التى وضعها للناس فى الدنيا لترجح موازين أعمالهم يوم القيامة **«ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين»**. سورة الأنبياء: آية ٤٧.

هذه المراقبة والخشية من الله تحتاج - فى مواجهة مغريات الحياة وزينتها - إلى جرعة تقوية وتنشيط، وإلى التفرغ بعض الوقت لتوثيق الصلة بالله وتزكية النفس بالانقطاع لعبادته فى زمن قليل بالنسبة لأيام العام كله، فليس هذا التفرغ والانقطاع للعبادة مستغرقا أكثر العام أو نصفه أو ربعه أو ثمنه، إنما هى أيام معدودات اعتكفها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وواظب على اعتكافها حتى توفاه الله فكان اعتكافها عند المسلمين سنة مؤكدة وهى الأيام العشر الأواخر من شهر رمضان.

عن عائشة رضى الله عنها قالت: «كان النبى - صلى الله عليه وسلم - يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله عز وجل». وعن ابن عمر قال: «كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يعتكف العشر الأواخر من رمضان» متفق عليهما. ولمسلم: قال نافع مولى ابن عمر: وقد أرانى عبدالله بن عمر المكان الذى كان يعتكف فيه رسول الله - صلى الله عليه وسلم.

والاعتكاف لا يكون إلا فى المسجد فقد كان اعتكافه - صلى الله عليه وسلم - فى المسجد النبوى الشريف، ولا يصح الاعتكاف إلا بالنية فإن العبادات لا تكون إلا بالنية لقول الله تعالى: «وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء» وقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «**إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى**» فمن أقام فى المسجد ولم ينو الاعتكاف لا يكون معتكفا كما أن الذى لا يأكل ولا يشرب ولم ينو الصيام لا يكون صائما. فإن النية هى التى تفرق بين العادة والعبادة.

والمسجد الذى لا يصح فيه الاعتكاف باتفاق الأئمة هو مسجد الجماعة التى تقام فيه الجمعة والصلوات بجماعة حتى لا يضطر المعتكف إلى الخروج من المسجد لحضور الجمعة أو الجماعات.

وتعتكف المرأة فى مسجد بيتها وهو الموضع الذى أعدته لصلاتها فيتحقق انتظارها فيه، فإن لم يكن لها فى البيت مسجد تجعل موضعا تعتكف فيه، وبهذا قال أبو حنيفة وأئمة مذهبه وهو المناسب للمرأة وصيانتها وعدم تعرضها لما يؤذيها أو يخدش حياءها.

أقسام الاعتكاف:

وينقسم الاعتكاف من حيث حكمه إلى ثلاثة أقسام:

١ - واجب.. وهو الاعتكاف المنذور فمن نذر الاعتكاف وجب عليه الوفاء بما نذره لقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «**ومن نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصيه فلا يعصه**» رواه البخارى. وعن عمر أنه قال: يارسول الله أنى نذرت أن أعتكف ليلة فى المسجد الحرام. فقال النبى - صلى الله عليه وسلم - «أوف بنذرك» متفق عليه.

٢ - سنة مؤكدة: فى العشر الأواخر من رمضان لمواظبته - صلى الله عليه وسلم - على ذلك حتى توفاه الله. وهى الليالى التى كان يجتهد فيها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فى العبادة وقراءة القرآن ويوقظ أهله وينشطهم لذلك، فعن السيدة عائشة رضى الله عنها قالت: «كان النبى - صلى الله على وسلم - إذا دخل العشر الأواخر من رمضان أحيا ليله وأيقظ أهله وشد المئزر» أى اجتهد فى عبادة الله والضراعة إليه.

٣ ـ مستحب مندوب إليه فى غير العشر الأواخر من رمضان ويكون على سبيل التطوع وأقل مدته لحظة زمانية تكفى تسبيحة. فعن على بن أمية قال: إنى لأمكث فى المسجد ساعة، ما أمكث إلا لأعتكف. وعلى هذا فإن كل من يدخل المسجد للصلاة يستطيع أن ينوى الاعتكاف عند الدخول فيكون له ثواب الاعتكاف وثواب الصلاة. والله ذو الفضل العظيم. وقال الإمام مالك: أقل مدة الاعتكاف فى النذر وفى التطوع يوم بليلته السابقة عليه كليلة الخميس ويومه، وذلك لأن الاعتكاف عنده لا يصح بدون صوم.

ويجب على المعتكف أن يتجرد من هموم الدنيا ومشاغلها ما استطاع، ويشغل قلبه ولسانه بذكر الله وتلاوة القرآن والصلاة ونحو ذلك من الطاعات، ويتجنب مالا يعنيه من الأقوال والأفعال، ولا يكثر من الكلام لأن من كثر كلامه كثر سقطه، وفى الحديث الشريف: «**من حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه**» ولا بأس بالكلام لحاجته ومحادثة غيره فإنه لا يستغنى عن ذلك، ولأن صفية بنت حيى زوج النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ زارته وهو معتكف وتحدث معها.

وللمعتكف أن يبيع ويشترى ما يحتاج إليه فى معتكفه ولا يتجر ولا يتكسب لورود النهى عن ذلك فى المساجد، ولا يخرج من المسجد ليعود مريضا أو يشهد جنازة أو يصالح خصوما أو نحو ذلك من أعمال البر، فإن المعتكف لا يخرج من المسجد فى مدة اعتكافه إلا لحاجة له لا تقضى إلا بالخروج منه ويتقدر بقدرها فلا يبطئ فى العودة بعد قضاء حاجته. فإن خرج لغيرها أو اشتغل بغيرها بعد خروجه بطل اعتكافه.

ويبطل الاعتكاف ـ أيضا ـ بالجماع أو المباشرة لقوله تعالى: «**ولا تباشروهن وأنتم عاكفون فى المساجد**» وسواء كان ذلك نهارا أو ليلا فلا يعذر بالنسيان.

ويبطل الاعتكاف بالحيض والنفاس ولو كانت معتكفة فى مسجد بيتها لأن الطهارة منهما شرط لصحة الاعتكاف.

قضاء الاعتكاف:

١ ـ من اعتكف تطوعا ثم قطعه استحب له قضاؤه فإن التطوع لا يلزم بالشروع فيه إلا فى الحج أو العمرة. والمتطوع أمير نفسه، وقال أبو حنيفة: يجب عليه القضاء لأنه صار لازما بالشروع فيه لقول الله تعالى: «**ولا تبطلوا أعمالكم**».

٢ ـ فى الاعتكاف الواجب ـ وهو المنذور ـ إذا شرع فيه ثم أفسده فإن كان النذر متتابعا وجب عليه أن يستأنف فى القضاء فيعتكف الأيام المنذورة كلها. وإن كان النذر أياما غير متتابعة قضى ما بقى منها، لأن إبطال بعضه لا يبطل ما مضى كصوم رمضان إذا أفطر فى يوم أو أيام منه. ولأن التتابع ليس وصفا فى هذا الاعتكاف فيصح مفرقا.

ومن وجب عليه قضاء الاعتكاف ومات قبل أن يقضيه لا يقضيه أحد عنه، وقال الإمام أحمد: يجب على وليه أن يقضى عنه ذلك، روى عبدالرزاق عن عبدالكريم بن أمية قال: سمعت عبدالله بن عبدالله ابن عتبة يقول: إن أمنا ماتت وعليها اعتكاف، فسألت ابن عباس فقال: اعتكف عنها وصم.

وروى سعيد بن منصور، أن عائشة رضى الله عنها اعتكفت عن أخيها بعد ما مات والله أعلم.

استقبال شهر رمضان

الشيخ منصور الرفاعى عبيد

رسول الله (ﷺ) هو المعلم للأمة والمرشد لها. والأمة تأخذ منه وتتلقى عنه ما يفيدها وينفعها فى دينها ودنياها. لذلك علم الأمة كيف تستقبل شهر رمضان وكيف تهيئ نفسها له. لأن شهر رمضان متى أشرفت على الدنيا لياليه، قال الزمن للإنسانية. هذه أيام من أنفسكم لامن أيامى. ومن طبيعتكم لا من طبيعتى. ولهذا تكون الإنسانية فى حال نفسية بالغة السمو يتعهد كل إنسان نفسه بالرياضة الروحية فيشرق فى نفسه الصفاء الروحى والسمو النفسى ويحبس إرادته على فعل الخير وعلو الهمة ويقظة الضمير ويتدرب على قوة الإرادة فيتحقق للإنسان سبل الخير وتتأصل فيه معانى الرحمة والإحسان والتعاطف والبر والتعاون مع الغير.

حفل استقبال

فى آخر يوم من شهر شعبان وفى حياة الرسول العظيم محمد (ﷺ) جمع الصحابة وقام فيهم خطيبا كما يقول سلمان الفارسى رضى الله عنه «خطبنا رسول الله (ﷺ) فى آخر يوم من شعبان فقال: أيها الناس قد أظلكم شهر عظيم مبارك. شهر فيه ليلة خير من ألف شهر، شهر جعل الله صيامه فريضة وجعل قيام ليله تطوعا من تقرب فيه بخصلة من خصال الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه، ومن أدى فريضة كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه، وهو شهر الصبر. والصبر ثوابه الجنة وهو شهر المواساة. وشهر يزاد فيه رزق المؤمن. وهو شهر أوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار، من فطر فيه صائما كان مغفرة لذنوبه وعتقا لرقبته من النار وكان له مثل اجره من غير أن ينقص من أجر الصائم شئ. قلنا. يارسول الله. ليس كلنا يجد ما يفطر به الصائم. فقال رسول الله (ﷺ) يعطى الله هذا الثواب لمن فطر فيه صائما على مزقة لبن. أو تمرة أو شربة ماء. ومن أشبع فيه صائما كان مغفرة لذنوبه. وسقاه الله من حوض شربة لايظمأ بعدها أبدا. وكان له مثل أجر الصائم من غير أن ينقص من أجره شئ. ومن خفف عن مملوكه فيه غفر الله له واعتقه من النار.. فاستكثروا فيه من أربع خصال. خصلتين ترضون بهما ربكم. وخصلتين لا غنى لكم عنهما. أما الخصلتان اللتان ترضون بهما ربكم فشهادة أن لا إله إلا الله. وتستغفرونه. وأما الخصلتان اللتان لا غنى لكم عنهما. فتسألون ربكم الجنة.. وتستعيذون به من النار» حفل استقبال لشهر عظيم له مكانته. وفى هذا الحفل يحث الرسول (ﷺ) أفراد المجتمع إلى التكافل الاجتماعى لأن الله كريم يحب الكريم سخى يحب السخى.

آيتان فى الصوم

إن الصوم مع كونه قربة إلى الله فهو كذلك يعطى النفس قناعتها ويحررها من الهوى الكذوب والشهوة الآسرة. لأن الصائم الصادق مع نفسه ومع الله. تجده مستقر النفس هادئ الطبع عف اللسان يغلب حلمه غضبه وخيره شره فمهما أوذى أو استفزه الآخرون فهو الحليم الواسع الصدر. يعفو عمن أساء إليه لأن الصيام قوى عزيمته وعوده على مراقبة الله وقوم أخلاقه. إن الصوم غايته رضاء الله لأن فيه سرا لا يطلع عليه إلا الله وهو القائل «الصوم لى وأنا أجزى به» والصيام وقاية من الإنحراف والتردى فى مهاوى الرذيلة لذلك قال رسول الله (ﷺ) الصوم جنة». لهذا كان فى الصوم آيتان.

الأولى : آية الفجر الصادق - فالذى يتأمل فى فريضة الصوم يجد أن التهيؤ له وعقد النية بالدخول فيه يكون عندما يظهر فى الكون آية الفجر الصادق لقول الله تعالى «وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثم أتموا الصيام إلى الليل» إن الصائم بهذا يشرق نور الإيمان فى قلبه فيلتقى مع نور النهار فتلتقى الأنوار فى نفس المؤمن فيسعى فى المجتمع وهو مزود بشحنة نورانية تحدد له خطاه وتهديه سواء السبيل. ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور.

لهذا كان الصوم وقاية من الإنحراف فى السلوك الدينى والاجتماعى.

الآية الثانية - عندما يتهيأ الإنسان للافطار يظهر فى الكون آية الليل وهى آية يقف الإنسان أمامها خاشعا لأنها تدل على القدرة العظيمة للمبدع الخالق وصدق الله العظيم «وآية لهم الليل نسلخ منه النهار، فإذا هم مظلمون» تلك دلائل القدرة يتذكر الإنسان ذلك وهو يتهيأ للدخول فى الصوم أو الافطار ليتذكر الإنسان ربه الذى أمره وحدد له معالم الطريق «وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولاتتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله» إن القلوب الطيبة العامرة بالإيمان التى تصوم نهارها وتصلى فرضها وتقوم ليلها وهى محسنة إلى الناس تتعامل معهم بصدر رحب وإخلاص فى العمل مع الأداء الجيد وإنجاز كل ما عليها بهمة ونشاط دليل على أن الصيام أثر فى الشخص واستفاد منه . إن الجنة تفتح أبوابها فى شهر رمضان وتزين للصائمين الجادين الذين يعيشون مع كتاب ربهم الذى أشرقت الأرض بآياته فى شهر رمضان وأصبح من لحظة نزوله منار هداية للبشرية يملأ عقول قرائه بالحكمة والصفاء . وقلوبهم بالطهارة والنقاء .. ويملأ الدنيا عدلا وأمنا مع إسعاد الفرد وربطه بالمجموع لينصهر الجميع فى بوتقة الأخوة والمحبة وينشرون فى دنياهم الأمن والسلام والاستقرار.

إن على المسلمين ان يهيئوا أنفسهم عند استقبال هذا الشهر العظيم لينتصروا على أنفسهم ويتغلبوا على أهوائهم ويوحدوا صفوفهم ويجعلوا هذا الشهر بداية للانطلاقة الخلاقة العاملة فى مضمار الحياة بقوة وعزيمة تحكمهم ضوابط القيم الأخلاقية العالية المستمدة من آية الصوم «لعلكم تتقون» إن الصوم للجسد والروح حصانة لهما . فللجسد بالتهذيب والإصلاح حيث يربى فيه الإرادة القوية التى تجعله يتغلب على رغائب نفسه. وهذا لون من ألوان الجهاد وتربية النفس على الصمود والصبر. لأن الإنسان فى مسيرة حياته لابد له من عزيمة قوية ترد عنه هواجس الشيطان. والإنسان بهذه الإرادة يمسك زمام نفسه أن تذل لشهوة أو تضعف لنزوة أو تنحرف فى تيار الهوى وفى ذهن الشخص دائما قول الرسول (ﷺ) «إتق الله حيثما كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن» وأما حصانة الروح فهو ينمى الضمير ويقوى المراقبة ويقوم الأخلاق.. ويعلم الغنى الرحمة بالفقير.. ويتعود الإنسان على الصبر وما اجمله وكظم الغيظ لأنه يوقن بصدق ما قاله النبى العظيم سيدنا محمد (ﷺ) «ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب»، لأن الصبر انتصار للروح وانتصار فضائلها وابراز خصائصها . لأن الصوم كما يقول رسول الله (ﷺ) نصف الصبر والصبر نصف الإيمان وكل هذه الخصائص توجد فى دنيا الناس المجتمع المترابط اجتماعيا المتآلف المتآخى، إن صلاح الأمة لا يتم إلا بصلاح الفرد الذى عنده ضمير وهمة ومروءة وشجاعة فى الحق وهذه اللبنات الصالحه التى يقام عليها صرح المجتمع المتكافل الذى تربى بقيم الإسلام وانتفع بالعبادات التى شرعها الله لعباده.

إن على المسلمين ان يجعلوا شهر رمضان فاتحة خير يقبلون فيه على القرآن يقرأون ويتدبرون فيه ويقيمون دنياهم على شريعته وأحكامه التى ان طبقت كانت حصانة للمجتمع ووقاية له من التطرف والقضاء علي أساليب العنف وتجد الإنسانية امنها وسلامها ويومها يفرح المؤمنون حيث تختفى المحسوبية وتبرز الكفاءات لتؤدى دورها فى رعاية الضمير الذى نماه الصوم وبرزت عناصر التقوى فى السلوك. ولنعلم إن الله سبحانه لا يغير مابقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم فليكن حفل الاستقبال لشهر رمضان باكورة عمل جيد نستقبل به شهر القرآن والنصر والبر والإحسان.

كيف نصوم رمضان؟

د.عبدالمهدى عبدالقادر عبدالهادى

شهر رمضان شهر عزيز على المسلم، منزلته فى نفسه أعلى من كل الشهور، وقدره أعلى من بقية العام.

- إنه شهر نزل فيه القرآن الكريم «شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن» (سورة البقرة آية ١٨٥).
- إنه شهر فرض الله صيامه «يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون. أياما معدودات.. شهر رمضان» (سورة البقرة آية ١٨٣ - ١٨٥).
- إنه شهر فيه ليلة خير من ثلاثين ألف يوم «ليلة القدر خير من ألف شهر». (سورة القدر آية٣).
- إنه شهر سن رسول الله صلى الله عليه وسلم قيام ليله، فيصلى فيه المسلمون صلاة التراويح، يسعدون فيها بالاجتماع على أئمة قراء، يؤدونها خير أداء.
- إنه شهر يتخلق فيه المسلمون بأكرم الأخلاق، فرسول الله (ﷺ) أرشدهم قائلا «إذا كان أحدكم صائما فلا يرفث ولايجهل، فإن امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل : إني صائم، إني صائم»(١) والمعنى : إنه لا يليق بالصائم أن يفعل قبيحا، ولا أن يفعل فعل الجهال، حتى ولو بدأه غيره بذلك وعليه أن يراعى حرمة الصيام.
- إن الصيام عبادة لها غاية عظمى، بينها ربنا تبارك وتعالى فى قوله «ياأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون» فالغاية من الصيام أن نصل إلى درجة المتقين الذين يخافون عذاب الله ويرجون جنته، فيبتعدون عن المعاصى، ويجتهدون فى الطاعات. أن نصل إلى سلامة القلوب التى بها تشتاق إلى طاعة الله وتخاف معصيته سبحانه وتعالى..

إن الصيام عبادة ترتقى بنا فى سلم الفضل والكمال، والاستقامة وصالح الأعمال، إنها دواء للمادية التي طغت على القلوب طوال العام، تعود بها إلى الخوف من الله سبحانه، فنبتعد عن المعاصى، وتعود بها إلى إعظام الله تعالى فنجتهد فى الطاعات.

ولما كان شهر رمضان بهذا القدر، وكان الصيام بهذه المنزلة، كان من الواجب أن نراجع نصوص الإسلام نستبين منها الصوم الذى يحقق هذه الغاية، الصوم الذى يوصلنا إلى تقوى الله تبارك وتعالى.

حقيقة الصيام

قال رسول الله (ﷺ) «إن الصيام ليس من الأكل والشرب فقط، إنما الصيام من اللغو والرفث» (٢)

إن هذا الحديث يعالج خطأ وقع فيه كثير من أهل عصرنا، ظنوا الصيام امتناعا عن الطعام والشراب، ويقعون فى المعاصى والموبقات. فجاء هذا الحديث ليقول لهم ليس الأمر كذلك، وإنما الصيام امتناع عن كل ما حرم الله أولا، فامتنع عن النظرة المحرمة، وامتنع عن

(١) أخرجه مالك فى الموطأ ١/ ٣١٠.

(٢) أخرجه ابن حبان ٥/١٩٨ وابن خزيمة ٣/٢٤٢.

استماع ما يحرم، وامتنع عن الغيبة والنميمة، صوِّم جوارحك عن كل حرام.

إن الصيام عبادة عظيمة القدر، جليلة النفع، فهل يتصور عاقل أن تكون امتناعا عن الطعام والشراب اثنتى عشرة ساعة، ثم يظل المسلم يأكل طوال فترة الليل، وهو فى ليله ونهاره لاه لاعب!! إن العاقل لايتصور هذا، فجاء هذا الحديث ليرد على اللاهين، الساهرين فى الملاعب والملاهى، الذين يرون الصيام عبئا يخففونه باللعب، وما يقتل الأوقات، جاء يرد عليهم فهمهم الخاطئ ويبين أن الصيام عبادة لها حرمتها ولها التزاماتها، فالصائم مبتعد عن كل باطل، جاد فى كل طاعة، وفى ذلك ورد حديث آخر يقول فيه (ﷺ) **«من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه»** (١).

والمعنى من لم يترك القول الباطل، والعمل بالباطل، فلاثواب له على صيامه، وعليه فلا داعى لترك الطعام والشراب، فإن الباطل حرام، والطعام والشراب حلال، فهل يترك الحلال ويفعل الحرام، ويظن أنه صائم؟!! وليس فى الحديث أمر له بأن يترك الصيام، وإنما فيه تحذير من قول الزور، ومن العمل بالزور.

إن الصيام لم يشرع من أجل التجويع والتعطيش، وإنما هو عبادة سامية تكسر الشهوات، وتعيد الفطرة إلى نقائها، وتسعد الروح، وتطوع النفس على الالتزام بالكتاب والسنة.

إن الكثيرين من أهل زماننا ظنوا الصيام امتناعاً عن الطعام والشراب فحسب، وهذا خطأ فى فهم الإسلام، وإنما الصيام عبادة ترتقى بالمسلم كثيرا فى سلم الكمالات، وفى ذلك يقول (ﷺ) **«إذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إنى امرؤ صائم»**(٢).

فلا رفث فى الصيام، والرفث هو الكلام الفاحش البذىء، ويطلق أيضا على كل مايكون بين الرجل والمرأة من جماع ومقدماته. وأيضا لا صخب ولاجهل فى الصيام، والصخب: رفع الصوت كما يفعل الجهال، إن الصائم فى عبادة فلا يليق به إلا مكارم الأخلاق، ورسول الله (ﷺ) يعلمنا إذا سبنا أو قاتلنا آخر فلنتحمل ولنصبر، ولنذكِّر أنفسنا بأننا صائمون، نعمت هذه الوصايا من رسول الله (ﷺ)، فلا جهل ولا سفه فى الصيام، وليس الصيام ذريعة للغضب والانفعال، ليس وسيلة للسب واللعن، وإنما هو باب للتحلى بمكارم الأخلاق، للعفو عن الآخرين، والرقى فى الخلق والدين.

إن الصيام عبادة ينبغى معرفة أصولها، ومن هنا يقول (ﷺ) **«من صام رمضان، وعرف حدوده، وتحفظ مما كان ينبغى له أن يتحفظ فيه كفَّر ما قبله»**(٣).

وتأمل قوله (ﷺ) **«وعرف حدوده، وتحفظ مما كان ينبغى له أن يتحفظ فيه»** إن هذا يدل على أن الصيام عبادة لها حدودها، لها شروطها كى تؤدى ثمرتها، ليس كل من صام صام، وإنما الصائم من اجتهد فى هذه العبادة فأداها علي الوجه الذى شرعه الله تعالى، وبلغه المصطفى المعصوم (ﷺ).

يقول جابر بن عبدالله - رضى الله عنه - إذا صمت فليصم سمعك، وبصرك، ولسانك عن الكذب والمآثم، ودع أذى الخادم، وليكن عليك وقار وسكينة يوم صيامك، ولا تجعل يوم فطرك ويوم صيامك سواء» (٤).

وكان أبو هريرة - رضى الله عنه - وأصحابه إذا صاموا جلسوا فى المسجد» (٥).

ليت أهل زماننا يدركون أن الصوم عبادة لها

(١) أخرجة البخارى ١١٦/٤
(٢) أخرجه البخارى ١١٨/٤
(٣) أخرجه أحمد ٥٥/٣ وأبو يعلى ٣٢٢/٢
(٤) مصنف ابن أبى شيبة ٣/٣
(٥) المصدر السابق ص ٤

حدودها، وأن ثمرتها الطيبة من المغفرة إنما تكون لمن أدى هذه العبادة كما ينبغى، لا لكل من صام، فلربما صام الإنسان عن الطعام والشراب، ولا ثواب له، ربما جاء عليه رمضان فلم يغفر له !! إن رسول الله (ﷺ) يحذرنا هنا قائلا **«رب صائم حظه من صيامه الجوع، ورب قائم حظه من قيامه السهر»** (١).

والمعنى أنه قد يكون الإنسان فيما يحسب صائما، ولكنه لا حظ ولا نصيب له من صيامه إلا الجوع، فلا أجر له ولاثواب!! ورب إنسان يقوم الليل مصليا، ولا حظ ولا نصيب له من صلاة الليل هذه إلا السهر، فلا أجر له ولاثواب!!

إنه ليس كل من صام حصل على الأجر والثواب، وليس كل من صلى قيام رمضان حصل على الأجر والثواب، وإنما لكل عبادة شروطها وأركانها إذا أداها المسلم كما شرع الله، وكما علمنا رسول الله (ﷺ) فهى عبادة مقبولة، ولفاعلها الأجر والثواب، أما إذا لم تتوافر فيها شروطها وأركانها فلا قيمة لها، ولا أجر لفاعلها ولا ثواب.

من فقه الصيام

والفقهاء يذكرون أحاديث رسول الله (ﷺ) فى كتبهم، ويستنبطون منها، أن الصائم يجب عليه أن يبتعد عن كل مايجرح صومه من الذنوب والمعاصى يقول ابن قدامة: ويجب على الصائم أن ينزه صومه عن الكذب، والغيبة، والشتم. ونقل عن الإمام أحمد- رحمه الله تعالى - أنه قال: ينبغى للصائم أن يتعاهد صومه من لسانه، ولا يمارى(٢)، ويصون صومه. كانوا إذا صاموا قعدوا فى المساجد، وقالوا نحفظ صومنا. ولا يغتاب أحداً، ولا يعمل عملا يجرح به صومه. ثم ساق حديث **«من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه»** وقد تقدم، وحديث قال رسول الله (ﷺ) **«قال الله تعالى: «كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لى، وأنا أجزى به، الصيام جنة(٣) فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث، ولا يصخب، فإن سابه أحد أو قاتله فليقل: إنى امرؤ صائم. والذى نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم(٤) أطيب عند الله من ريح المسك. للصائم فرحتان يفرحهما، إذا أفطر فرح، وإذا لقى ربه فرح بصومه»** (٥).

وقال الماوردى: وأما الكذب، والغيبة والشتم، والنميمة، فكل واحد ممنوع منه، غير أن الصائم بالمنع أولى لقوله تعالى **«إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا فى كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم»** (سورة التوبة آية ٣٦).

فالظلم وإن كان قبيحا فى جميع شهور السنة فهو فى الأشهر الحرم أقبح، وإنما كان الصائم بالمنع أولى، لأن الصيام أفضل أعمال القرب ثم ذكر عدة أحاديث منها **«من لم يدع قول الزور..»** وقد تقدم وحديث **«رب صائم..»** وقد تقدم (٦).

وقد روى عن أم المؤمنين السيدة عائشة أنها ذهبت إلى أن الغيبة تفطر الصائم وتوجب عليه قضاء اليوم الذى اغتاب فيه أخا مسلما وبرأى السيدة عائشة، قال الإمام الأوزاعى. وذهب ابن حزم إلى أن الصيام يبطله كل معصية لعموم قوله (ﷺ) **«لا يرفث ولايجهل»** وقوله **«من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى**

(١) أخرجه الحاكم ١/٤٣١ وقال: صحيح على شرط البخارى وأخرجه ابن حبان ٨/٢٥٨.

(٢) أى ولا يجادل جدالا يؤدى إلى الخصومة، وتمييع المسائل المتحدث فيها، أما الجدال الذى يؤدى إلى إظهار الحق فليس مراء، وهو عمل مشروع.

(٣) أى ساتر يستر صاحبه من النار.

(٤) أى تغير رائحة فمه من الجوع.

(٥) المغنى لابن قدامة ٤/٤٤٦ وقال على الحديثين: متفق عليهما، وقال المحقق، إنه لم يجد الحديث الأول فى مسلم. وهو كما قال. فإنه فى البخارى وليس فى مسلم.

(٦) الحاوى الكبير للماوردى٣/٤٦٤.

أن يدع طعامه وشرابه »(١).

قلت : ماذهبت إليه أم المؤمنين وهؤلاء الأئمة تؤيده النصوص، فالصائم الذى لم ينزه صيامه عن المعاصى لا أجر له ولا ثواب ، وهو محروم مشئوم دعا عليه جبريل بالطرد من رحمة الله، وأمَّن المصطفى (ﷺ) على دعاء جبريل، وذلك حينما جاء جبريل إلى رسول الله(ﷺ) فقال: بَعُدَ من أدرك رمضان فلم يغفر له . قلت : آمين(٢) .

والمعنى: من أدرك رمضان فلم يضبط صومه على الكتاب والسنة ويبتعد عن كل باطل فإني - أى جبريل - أدعو عليه بالطرد من رحمة الله، وأن يبعده الله عن الجنة، فقال المصطفى (ﷺ) «آمين» أى اللهم استجب وفى هذا بيان لعظيم ما ضيع هذا المسلم!! إنه ضيع شهر الصيام الذى هو أرجى الشهور للمغفرة، وأعظم الأوقات للعمل الصالح. كما قال ربنا تبارك وتعالى : «ياأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون» (سورة البقرة آية ١٨٣).

إنه صوم له غاية، وغايته أن يصبح المسلم من عباد الله المتقين، الذين يخافون غضب الله وعذابه فيبتعدون عن المعاصى، ويرجون رضى الله ورحمته فيجتهدون فى الطاعات. تأمل قوله تعالى «لعلكم تتقون» إنها تبين الغاية التى ينبغى أن تحرص على تحقيقها من الصيام، أن تصبح حريصا على البعد عن المعاصى، وحريصا على فعل الطاعات.

وقد قال بعض السلف علامة الصوم المقبول أن تصبح بعد رمضان أفضل منك قبل رمضان.

فإذا وجدت نفسك فى رمضان، وفى الشهور التى بعده قد ترقيت فى دينك، فأصبحت تتقى الله في كل كلمة تقولها، وفى كل نظرة تنظرها، إذا أصبحت تخاف المعاصى، وتحرص على الطاعات، فهذا دليل قبول الصيام.

أناس رمضان شر لهم !!

وأيضا هناك طوائف فى الأمة رمضان شر لهم !!

إن شهر رمضان شهر مبارك عظيم الخير، يغفر الله فيه لأهل الإسلام، ويضاعف لهم الحسنات، ويعلى لهم الدرجات، إلا أنه مما ينبغى أن يعلم أن هذه المزايا إنما هى لأهل الاستقامة على دين الله، الذين يحبون الإسلام وأهله، ويعملون على نصرة الإسلام وذيوعه، يحرصون على شيوع الخير والاستقامة فى الناس.

أما الذين يحرصون على إشاعة العيوب، وينتقصون المسلمين، ويعملون أعمالا من شأنها صرف الناس عن الطاعات، وربما إيقاعهم فى الزلات، إن هؤلاء عليهم أن يعدلوا سلوكهم وإلا فرمضان شر عليهم، لن يزدادوا به إلا بعدا عن الله!!

يقول رسول الله (ﷺ) «أظلكم شهركم هذا بمحلوف(٣) رسول الله (ﷺ) ما دخل على المسلمين شهر خير لهم منه، ولا دخل على المنافقين شهر شر لهم منه. بمحلوف رسول الله (ﷺ) إن الله يكتب أجره ونوافله من قبل أن يوجبه. ويكتب وزره وشقاءه قبل أن يدخله، وذلك أن المؤمن يعد له من النفقة فى القوة والعبادة، ويعد المنافق اتباع غفلات المسلمين واتباع عوراتهم، فهو غنم للمؤمن ونقمة للفاجر»(٤).

آه للفاجر، آه لهؤلاء الذين يشيعون الباطل بين المسلمين، بل ويل لمن يقبل لأهله ذلك الباطل، إن رمضان خير شهر للصالحين، وفى نفس الوقت شر شهر للفاجرين.

وحذار ثم حذار أن تكون منك خصلة من خصال الشر وأنت لا تدري . حذار أن تخدعك نفسك أو هواك فى محاسبة نفسك، وحذار أن يزين لك شيطانك الباطل

(١) فتح البارى ٤/١٠٤.
(٢) هذا جزء من حديث أخرجه ابن حبان ٢/ ١٤٠ وأخرجه غيره.
(٣) أى بما يحلف به رسول (ﷺ) وهو «الله» فكأنه قال : أظلكم شهركم هذا والله مادخل..
(٤) أخرجه ابن أبى شيبة ٣/ ٢ وابن خزيمة ٣/١٨٨.

فتفعله تظنه خيرا، والميزان فى ذلك أن تعرض كل ماتقول أو تفعل على القرآن والسنة، وإن كنت سليم الفطرة فسل نفسك عن كل أمر من أمور حياتك: هل هذا يرضى الله تعالى ؟

هل الفطر أو السحور فى ساحات اللهو يرضى الله؟

هل قضاء الوقت فى اللهو يرضى الله؟

هل النظر إلى المرأة الأجنبية - ترقص أو تتمايل - يرضى الله؟

إن هذا السؤال سيمنعك من كثير من المعاصى، وسيدفعك إلى كثير من الطاعات، فجلوسك عن الصلاة والناس يصلون جماعة هل هذا يرضى الله؟

وتركك أهلك دون أمر بالمعروف ودون حملهم على الاستقامة هل هذا يرضى الله؟

عموما : اجعل ضابط حياتك أن تفعل مايرضى ربنا سبحانه وتعالى، وأن تترك ما لا يرضيه.

الصيام والانفعالات

كثير من الصائمين يجعل الصيام سببا للانفعال والغضب، ويتعلل به فيما يصدر عنه من سب وشتم، وهذه أمور لاتليق بالمسلم فى أى وقت فضلا عن شهر الصيام، إن أخلاق الإسلام منها كظم الغيظ، والعفو عن الناس، فلا يليق بالمسلم أن يكون ضجراً، أو غضوبا، أوصخابا، هذا لايليق به فى أى وقت، فما بالك بالشهر المبارك الذى فرض الله صيامه وسن (ﷺ) قيامه، إنه من باب أولى يجب على المسلم أن يتحلى بمكارم الأخلاق : يقول (ﷺ) «الصيام جنة، فلا يرفث ولايجهل، وإن امرؤ قاتله أوشاتمه فليقل : إنى صائم - مرتين - والذى نفسى بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، يترك طعامه وشرابه وشهوته من أجلى . الصيام لى وأنا أجزى به، والحسنة بعشر أمثالها» .

هذا الحديث أوله نبوى، وآخره قدسى، وأوله يبين عظيم قدر الصوم وأنه جنة : أى وقاية لصاحبه من الوقوع فى المعاصى، وبالتالى فهو وقاية من عذاب الله، وأيضا آخر هذا الحديث يبين عظيم قدر الصوم، وأنه عبادة تقع خالصة لله تعالى، فليس لها مظهر يدل عليها، وإنما هى عبادة بين العبد وربه، فالصلاة يرى الناس فاعلها وهو يصلى، والزكاة يرى الناس فاعلها وهو يزكى، وقد يدخل العجب أو الرياء هذه العبادات، أما الصيام فلا. وأيضا الصيام عبادة يضاعف الله أجرها ويزيد من الخيرات فاعلها.

إلا أن القارئ يلاحظ أنه بين الجملة الأولى التى فيها إعظام الصيام، وبين الجمل الأخيرة والتى هى فى إعظام الصيام أيضا يجد قيدا «فلايرفث ولا يجهل» أى فلا يتكلم كلاما فاحشا، ولايفعل فعل الجهال، حتى إنه (ﷺ) يوصيه إذا قاتله أحد أو شاتمه ألا يبادله إساءة بإساءة، وإنما عليه أن يذكر نفسه بأنه صائم، ولا يليق أن يقابل الجهل بالجهل.

إن بعض الصائمين يتخذ من الصيام تكأة للسب واللعن، وهذا الحديث وأمثاله يرد عليهم، فالأصل فى المسلم أنه ليس سبابا، ولا لعانا، وهذا يتأكد فى شهر الصيام، فكن في يوم صومك حليما، كريما، عفيفا حتى تصوم صوما مقبولا.

الصيام والطعام

كثير من الناس يستقبلون رمضان بأصناف الأطعمة والأشربة وتظهر فى رمضان أطعمة لا تظهر فى غيره، ويحرصون على الأطعمة القوية الدسمة، ويحتالون على استساغتها بمايساعد على هضمها، فإذا جاء السحور تناولوا من الأطعمة ما يصعب هضمه ومن الأشربة

(١) أخرجه البخارى فى الصوم باب فضل الصوم ١٠٣/٤

الكثير، يفعلون ذلك كراهية الجوع والعطش، وكل ذلك ليس من الإسلام !! فليس فى الإسلام بطن تملأ، كيف وقد قال رسول الله (ﷺ) «ما ملأ آدمى وعاء شرا من بطنه، بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه (١). فإن كان لا محالة (٢) فثلث لطعامه، وثلث لشرابه وثلث لنفسه»(٣) وهذا بيان قول الله تعالى «يابنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولاتسرفوا إنه لايحب المسرفين» (سورة الأعراف آية ٣١).

وواقع الناس التجريبى يثبت ذلك، فالبطنة شر لاخير، وأهل الطب ينصحون بقلة الأكل لا بكثرته.

وهاهو أبو جحيفة الصحابى الجليل يقول: أكلت ثريدا وأتيت النبى (ﷺ) فتجشأت (٤) عنده فقال: «يا أبا جحيفة، إن أطول الناس جوعا يوم القيامة أكثرهم شبعا فى الدنيا» (٥) إنه (ﷺ) طبق حديثه السابق عمليا، فأنكر على صحابى ملأ بطنه، وحذره من ذلك مبينا أن أكثر الناس شبعا فى الدنيا أكثرهم جوعا فى الآخرة، ولقد استفاد هذا الصحابى من كلام رسول الله (ﷺ) وطبقه تماما، فما أكل ملء بطنه حتى فارق الدنيا، كان إذا تغدى لايتعشى، وإذا تعشى لا يتغدى، والغداء: الأكل أول النهار والعشاء الأكل آخر النهار، والمعنى أنه كان يأكل وجبة واحدة فى اليوم. وقال أبو جحيفة هذا الصحابى عن نفسه: فما ملأت بطنى منذ ثلاثين سنة.

وهاهى السيدة فاطمة بنت رسول الله (ﷺ) تقدم لرسول الله كسرة من خبز شعير، فيقول لها: «هذا أول طعام أكله أبوك منذ ثلاثة أيام» (٦).

إن المسلم لم يخلق لبطنه وإنما خلق لعبادة ربه، فلا ينبغى أن يشغل نفسه كثيرا بالمطاعم والمشارب، وإنما ليأخذ منها بالقليل، يصح جسمه، ويسلم دينه، هذا فى طول حياة المسلم، فإذا جاء رمضان فعليه أن يكون فى هذا الموضوع أكثر لا يشغل نفسه كثيرا بالمطاعم والمشارب، لا بتوفير المال لها ولا بإعدادها، وليروض نفسه على قليل الطعام والشراب.

إن مسلمى اليوم يشغلون أنفسهم أول الشهر بإعداد المطاعم والمشارب ويشغلون أنفسهم فى وسطه بإعداد ملابس العيد، ويشغلون أنفسهم فى آخره بإعداد أطعمة انتهاء رمضان من كعك وبسكويت وغير ذلك، أما اللهو واللعب فقد أخذ الكثير من وقتهم، والله الكريم يقول «وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون» (سورة الذاريات آيه ٥٦). ويقول (ﷺ) «لاتزول قدما ابن آدم يوم القيامة من عند ربه حتى يسأل عن خمس: عن عمره فيم أفناه، وعن شبابه فيم أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه، وفيم أنفقه، وماذا عمل فيما علم» (٧).

إن كل لحظة فى العمر سنحاسب عليها، وسيسألنا الله فيم قضيناها، فما بالك إذا كانت من رمضان، هذا الشهر الذى تضاعف فيه الحسنات، والمسلم فيه مدعو للاجتهاد فى الطاعات. بدهى أن عليه ألا يضيع الوقت، وعليه أن يغتنم العمر، فلا الطعام يشغله، ولا اللعب يلهيه، وإنما هو مشغول بالعبادة، مجتهد فى الطاعة.

والله سبحانه أساله أن يوفقنا فى طاعته، وأن يرزقنا صوما صحيحا مقبولا، وألا يجعل الدنيا أكبر همنا، ولا مبلغ علمنا، ولا إلى النار مصيرنا، وأسأله وهو الكريم أن يجعل الجنة دارنا.

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين والحمد لله رب العالمين.

---

(١) أى يكفى ابن آدم لقمات تحفظ عليه قدرته على الحركة
(٢) أى إن كان سيزيد على لقمات حتما
(٣) أخرجه الترمذى فى الزهد باب ما جاء فى كراهية كثرة الأكل ٥١/٧ تحفة الأحوذى وقال: حسن صحيح.
(٤) التجشؤ: خروج غازات مع صوت من الفم حالة امتلاء المعدة، ويسمى فى عرف المصريين حاليا «تكريعة».
(٥) أخرجه البزار كذا فى مجمع الزوائد ٣٢٣/١٠
(٦) أخرجه أحمد والطبرانى كذا فى مجمع الزوائد ٣١٢/١٠
(٧) أخرجه الترمذى

دروس وعبر من فتح مكة المكرمة

د. صبرى عبدالرءوف محمد عبدالقوى

بين الحين والحين تمر بالأمة الإسلامية مناسبة عظيمة وذكرى طيبة نذكرها بما ينبغى أن تكون عليه لتأخذ العبر والدروس التى تفيدها فى دينها ودنياها، ومن هذه الذكريات العظيمة فتح مكة المكرمة، التى كانت فتحا للإسلام ونصرا للمؤمنين، والتى كانت درسا هاما فى بناء الدولة الإسلامية وقاعدة متينة ثابتة من خلالها انطلق الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى عالم أوسع فانطلق بدعوته خارج مكة والمدينة واستطاع أن يبعث الرسل والرسائل إلى الملوك والرؤساء يدعوهم إلى عبادة الله وحده والإيمان برسالته ـ صلى الله عليه وسلم ـ.

ومن هذه الدروس والعبر التى ينبغى علينا جميعا أن نتأملها ما يأتى:

أولا: **أن الله سبحانه وتعالى إذا أراد أمرا يسر أسبابه.**

فقد كان صلح الحديبية مقدمة لفتح مكة وكان غدر قريش سبيلا لإتمامه ونحن نعلم أن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد خرج إلى مكة ليطوف ببيت الله الحرام وأداء عمرة لكن المشركين منعوه من دخول مكة وأصروا على عنادهم وانتهى الأمر لصلح الحديبية وكان من بين شروط هذا الصلح أن من أراد أن يدخل فى حلف مع المسلمين دخل فيه ومن أراد أن يدخل فى حلف مع أهل مكة دخل فيه فدخلت قبيلة بنى خزاعة فى حلف مع المسلمين ودخلت قبيلة بكر فى حلف مع أهل مكة.

وكان بين القبيلتين حروب ومنازعات هدأت لفترة، ثم اعتدى جماعة من بنى بكر على جماعة من الخزاعيين وتدخل فريق من أهل مكة وعاونوا بنى بكر وناصروهم على الخزاعيين ووصل الخبر إلى سيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكان ذلك الحادث إيذانا بفتح مكة المكرمة.

ثانيا: **وفاء الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ مع حلفائه ومسارعته بنصرتهم.**

فحينما اعتدى بنو بكر على بنى خزاعة ذهب عمرو بن سالم إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأخبره بما حدث فقال له: نصرت يا عمرو بن سالم،

وأعد العدة من غير أن يعلم أحدا بما يريد لكى يرد للخزاعيين اعتبارهم وفاء للعهد الذى بينه وبينهم.

ثالثا : وفاء أم حبيبة وإيثارها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على أبيها.

حينما وقفت قريش بجوار بنى بكر ونقضوا عهدهم مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أرسلوا أبا سفيان بن حرب إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ليجدد العهد الذى بينه وبين أهل مكة وحينما وصل أبو سفيان إلى المدينة دخل على ابنته أم حبيبة زوجة سيدنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله - صلى الله عليه وسلم - طوته عنه فقال أبو سفيان لابنته ما أدرى أرغبت بى عن هذا الفراش أم رغبت به عنى؟ قالت : بل هو فراش رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأنت رجل مشرك نجس ولم أحب أن تجلس على فراش رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال لها : والله لقد أصابك يابنية بعدى شر فقالت : بل هدانى الله للإسلام. ثم خرج من بيت ابنته وانصرف الى سيدنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم.

وهذا الموقف من السيدة أم حبيبة يبين لنا مدى وفاء الزوجة لزوجها وإخلاصها له حتى فى غيبته.

رابعا : أخذ الحيطة فى إخفاء أخبار الجيش عن العدو.

لقد أراد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن يفاجئ أهل مكة حتى لا يكون هناك قتال فى بلد الله الحرام ولهذا فقد أمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أصحابه بأن يتجهزوا لمباغتة أهل مكة وقال : اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها فى بلادها وهذا يدل على حسن سياسته فى المحافظة على الدماء وعدم رغبته فى سفك الدماء وانتهاك حرمة بلد الله الحرام.

خامسا : التجاوز عن الهفوات إذا كان لصاحبها ماض مشرف

وهذا درس هام له أهميته فى حياتنا الاجتماعية فمن قدم لنا جميلا بالأمس وأساء إلينا فى هذا اليوم هل ننسى له جميله ومعروفه؟ فحينما علم حاطب بن أبى بلتعة بما يريده رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كتب كتابا يخبر أهل مكة بما عزم عليه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأعطاه لامرأة كانت مسافرة إلى مكة وأخبر الله عز وجل رسوله بما فعله حاطب.

فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لعلى والزبير والمقداد :

انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها فانطلقوا حتى أتوا الروضة فوجدوا المرأة فطلبوا منها الكتاب فأنكرت أن يكون معها كتاب فقالوا : لتخرجن الكتاب أو لتلقين الثياب؟ فأخرجته من عقاصها فأتوا به النبى - صلى الله عليه وسلم - فإذا فيه : من حاطب بن أبى بلتعة إلى أناس من المشركين يخبرهم بأمر النبى - صلى الله عليه وسلم - فقال النبى - صلى الله عليه وسلم : ما هذا يا حاطب؟ قال : لا تعجل علىّ يا رسول الله إنى كنت امرأ ملصقا ولم أكن من أنفسهم وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون بها أهليهم وأموالهم بمكة فأحببت إذ فاتنى من النسب فيهم أن اصطنع إليهم يدا يحمون قرابتى وما فعلت ذلك كفرا فقال النبى - صلى الله عليه وسلم - : إنه قد صدقكم فقال عمر : دعنى يا رسول الله أضرب عنقه فقال - صلى الله عليه وسلم - إنه شهد بدرا وما يدريك لعل الله عز وجل اطلع على أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد

غفرت لكم وهذا موقف كريم وخلق نبيل من سيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مع حاطب بن أبى بلتعة فإذا كان قد أخطأ اليوم فإنه قد أحسن بالأمس وأبلى بلاء حسنا يدل على إيمانه بالله وحبه للإسلام والمسلمين.

ولهذا رأينا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يتخلق بأخلاق الله القائل: «إن الحسنات يذهبن السيئات». ورحم الله من قال:

وإذا الحبيب أتى بذنب واحد

جاءت محاسنه بألف شفيع

سادسا: حسن سياسة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى الحرب

فحينما بلغ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن سعد بن عبادة أنه قال: اليوم يوم الملحمة اليوم تستحل الحرمة اليوم أذل الله قريشا. فقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ : اليوم يوم المرحمة اليوم أعز الله فيه قريشا ثم أخذ الراية من سعد ودفعها إلى ولده، وبهذا عالج خطأ سعد وضمن رضاه وهذا لون من ألوان حسن السياسة فى الحرب.

سابعا: العفو عن المسىء مع القدرة عليه

فحينما دخل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مكة وكسر أصنامها وطهر البيت الحرام جمع أهل مكة وقال لهم: «ما تظنون أنى فاعل بكم؟ قالوا: خيرا أخ كريم وابن أخ كريم فقال لهم: لا تثريب عليكم يغفر الله لى ولكم وهو أرحم الراحمين اذهبوا فأنتم الطلقاء».

فالعفو عند المقدرة من شيم الكرام وهو قد عفا عن أهل مكة وقد كانوا فى قبضة يده وتحت تصرفه لو أمر بطردهم من مكة لطردوا ولو أمر بسلب أموالهم لسلبت أموالهم ولكنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ نظر إليهم جميعا فرأى الذين قاتلوه بالأمس والذين أخرجوه من دياره أو أرادوا قتله. ولكنه مع هذا لم يعاملهم بصنيعهم وإنما عفا عنهم مع قدرته على الانتقام منهم فهو حقا كما وصفه ربه حينما خاطبه بقوله: «وإنك لعلى خلق عظيم».

ثامنا: تواضع الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ

وفتح مكة المكرمة أبرز للناس جانبا من جوانب خلقه العظيم وهو تواضعه ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى معاملته مع الآخرين.

فحينما جاء أبو بكر بأبيه يقوده حتى وقف بين يدى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فلما رآه الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: هلا تركت الشيخ فى بيته حتى أكون أنا آتيه فيه؟ فقال سيدنا أبو بكر: يا رسول الله هو أحق أن يمشى إليك من أن تمشى أنت إليه. فأجلسه النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومسح صدره ثم قال له: أسلم فأسلم.

ومن مظاهر تواضعه ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى فتح مكة ما روى أن صفوان بن أمية أراد أن يرمى بنفسه فى البحر فلحق به ابن عمه عمير بن وهب بعد أن أخذ له أمانا من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وبعد أن أخذ عمامته كعلامة تلقى فى قلبه الطمأنينة فلما أدركه طمأنه وأراه العمامة فرجع إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقال له: إن هذا يزعم أنك أمنتنى قال: صدق. قال: أمهلنى بالخيار شهرين قال: أربعة أشهر.

ولم يمض سوى زمن يسير حتى أسلم وحسن إسلامه.

وهذا التواضع من سيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ هو الذى جعل الناس يؤمنون برسالته ويساندون دعوته ويسيرون على منهجه لتواضعه مع الصغير والكبير والغنى والفقير.

تاسعا : احترام الإسلام لرأى المرأة واعتبار مكانتها فى الإسلام

الإسلام اهتم بالمرأة ورفع شأنها وأعلى قدرها وجعل لها من المكانة التى تجعلها تشعر بعزتها وكرامتها بعد أن كانت قبل الإسلام لا مكانة لها فلما جاء الإسلام احترم مشاعرها وأعطاها من الأجر والثواب مثلما يعطى الرجال تماما قال تعالى : **« فاستجاب لهم ربهم أنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض »** . فمادام الرجل بعضا من المرأة والمرأة بعضا من الرجل فلابد وأن يكون كل منهما مكملا للآخر ولا تفاضل بينهما إلا بالتقوى ولهذا رأينا أم هانئ حينما أجارت اثنين من المشركين وأراد سيدنا على أن يقتلهما أغلقت الباب عليهما وأسرعت إلى سيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ تخبره أنها أجارت اثنين من المشركين فقال لها ـ صلى الله عليه وسلم ـ : قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ. وكان هذا الموقف له أثره الطيب فى إسلام الرجلين بعد ذلك.

عاشرا : حب الأنصار لسيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

جاء فى صحيح مسلم من حديث أبى هريرة فى فتح مكة : قالت الأنصار بعضهم لبعض أما الرجل فأدركته رغبة فى قربته ورأفة بعشيرته قال أبو هريرة : « وجاء الوحى وكان إذا جاء الوحى لا يخفى علينا فإذا جاء فليس أحد يرفع طرفه إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حتى ينقضى الوحى فلما انقضى الوحى قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يا معشر الأنصار قالوا : لبيك يا رسول الله قال : قلتم أما الرجل فأدركته رغبة فى قربته قالوا : قد كان ذاك قال : كلا إنى عبد الله ورسوله هاجرت إلى الله وإليكم والمحيا محياكم والممات مماتكم فأقبلوا إليه يبكون ويقولون : والله ما قلنا الذى قلنا إلا الضن بالله وبرسوله فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إن الله ورسوله يصدقانكم ويعذرانكم » .

فهذا يدل على مدى حب الأنصار لسيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذين أحبوا سيدنا رسول الله أكثر من حبهم لأموالهم وأولادهم.

الحادى عشر : انتصار الحق وإن ظهر الباطل

فحينما ننظر إلى حياة سيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وإلى الوقت الذى خرج فيه من مكة وكيف خرج ثم كيف عاد وكيف دخل يتبين لنا أن الحق لابد وأن ينتصر فى النهاية وإن غلب على أمره فى البداية فلقد خرج رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من مكة ليلا لكنه دخلها فى وضح النهار وصدق الله سبحانه حين قال : « جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا » .

فهذه بعض الدروس والعبر نقتبسها من فتح مكة المكرمة وإننا لنأمل فى هذه الأيام المباركة أن يؤيدنا الله بروح من عنده ويهبنا القوة والعزة ويحفظ بلادنا من كيد المعتدين ويصون أرضنا من حقد الحاقدين لتظل بلد الأمن والأمان والطمأنينة والسلام كما قال جل شأنه : « ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين » .

من أمجاد التاريخ الإسلامى

فى حرب العاشر من رمضان ١٣٩٣هـ انتهت أسطورة خط بارليف

المؤرخ العسكرى/ جمال حماد

عندما تسلم الجنرال أريل شارون قيادة المنطقة الجنوبية في يناير عام ١٩٧٠ وجد نفسه في وضع يفرض عليه تقوية وتدعيم الخط الدفاعي الأمامي الذي اشتهر باسم خط بارليف برغم أنه كان من أشد المعارضين في إقامته في هذا الموضع علي خط المياه حينما كان رئيسا لإدارة التدريب برئاسة الأركان العامة كان هو صاحب نظرية الدفاع المتحرك التي كانت تتعارض مع نظرية الدفاع الثابت التي كان يتبناها الجنرال حاييم بارليف رئيس الأركان العامة وقتئذ والتي تم علي أساسها إنشاء حصون خط بارليف.

وكان الجو فى بداية عام ١٩٧٢ قد أصبح مهيئا للجنرال شارون لتنفيذ اقتراحه السابق بتخفيض عدد الحصون فقد أحيل معارضه العنيد الجنرال حاييم بارليف إلى التقاعد وخلفه فى منصبه الجنرال دافيد اليعازر كما أن حرب الاستنزاف التى أقيم خط بارليف بسببها كان قد توقفت تماما منذ ٨ أغسطس عام ١٩٧٠ إثر مبادرة روجرز وزير الخارجية الأمريكية فى ذلك الوقت وكان الانطباع الذى رسخ فى نفوس القادة الإسرائيليين أن القوات المصرية ليست لديها أية مقدرة عسكرية للقيام بهجوم واسع النطاق عبر المانع المائى الصعب للوصول إلى الدفاعات الإسرائيلية المقامة على الشاطئ الشرقى للقناة. وكانت سياسة تخفيض الحصون تتماشى فى نفس الوقت مع اتجاه الرأى العام الإسرائيلى الذى أثقلته الأعباء الاقتصادية بسبب التوسع الهائل فى ميزانية وزارة الدفاع.

ولهذه الأسباب تم تنفيذ اقتراح الجنرال شارون بإخلاء ١٤ حصنا من حصون خط بارليف واكتفت القيادة الجنوبية ببقاء ١٦ حصنا فقط تم اختيارها فى الأماكن الحيوية التى تقع على محاور التقدم وطرق الاقتراب الهامة داخل سيناء . وبهذا الحل الوسط الذى

اتخذه شارون للتوفيق بين نظامى الدفاع الثابت والدفاع المتحرك فقد خط بارليف توازنه إذ أصبح أقوى من أن يكون جهازا إنذاريا وأضعف من أن يكون خطا دفاعيا وكان هذا التميع فى مهمته من العوامل التى أدت إلى فشل الخط فى تأدية الدور المطلوب منه وعجزه التام عن صد الهجوم المصرى الكاسح بعد ظهر يوم ٦ أكتوبر ١٩٧٣. وكان عدد حصون خط بارليف ١٦ حصنا ممتدة على الشاطئ الشرقى للقناة ابتداء من جنوب بورفؤاد الواقعة على ساحل البحر المتوسط شمالا إلى بور توفيق الواقعة على خليج السويس جنوبا على مواجهة حوالى ١٦٠ كيلو مترا وبفواصل من ١٠ إلى ١٢ كيلو مترا. وكانت الحصون التى أطلق عليها الإسرائيليون أسماء كودية موزعة على ثلاثة قطاعات رئيسية وكان القطاع الشمالى يضم ٧ حصون منها أربعة تقع فى المنطقة الضيقة ما بين المستنقعات شرقا وقناة السويس غربا وكان حصن واحد منها يقع على شاطئ البحر شرق بورفؤاد بينما يقع حصنان آخران شرق مدينة القنطرة. أما القطاع الأوسط فكان يضم ٤ حصون بينما كان القطاع الجنوبى يضم ٥ حصون.

خطة (برج الحمام) للدفاع عن جبهة القناة

عندما نشبت الحرب فى ٦ أكتوبر ١٩٧٣ كان يتولى قيادة المنطقة الجنوبية فى مقرها بمدينة بئر السبع الجنرال شموئيل جونين الذى كان قد تسلم مسئولية هذه القيادة فى ١٥ يوليو ١٩٧٣ أى قبل حوالى ثلاثة أشهر من قيام الحرب خلفا للجنرال أريل شارون الذى كان قد أمضى أكثر من ثلاثة أعوام ونصف عام قائدا لهذه القيادة ثم تقاعد عن الخدمة العسكرية للعمل بالزراعة واشتغل بالسياسة بعد أن انضم إلى حزب الليكود.

وكانت الجبهة الإسرائيلية على قناة السويس التى تمتد على مواجهة حوالى ١٦٠ كم مقسمة إلى ثلاث قطاعات تمثل المحاور الرئيسية للتقدم وتتشكل قوتها من مجموعة عمليات (أوجدا) بقيادة الجنرال ألبرت ماندلر وتتكون من اللواء ١١٦ مشاة (القدس) وثلاث ألوية مدرعة وكانت الخطة الإسرائيلية للدفاع عن سيناء (شوفاخ يونيم أى برج الحمام) قائمة على أساس أن تتولى الألوية المدرعة مسئولية الدفاع مؤقتا عن المحاور الثلاثة الرئيسية فى سيناء إلى حين وصول الفرق الاحتياطية بالطريقة التالية:

لواء العقيد (جابى) يتولى مسئولية الدفاع عن محور القنطرة ـ العريش.

لواء العقيد (آمنون) يتولى مسئولية الدفاع عن محور الاسماعيلية ـ أبو عجيلة.

لواء العقيد (دان) يتولى مسئولية الدفاع عن محور السويس ـ الممرين الجبليين متلا والجدى.

وكان الدفاع يتم فى نسقين فى الأمام واحتياط فى الخلف كما يلى:

● النسق الأول: خط بارليف وكان يحتله اللواء ١١٦ مشاة (القدس).

● النسق الثانى: على مسافة ٣ ـ ٥ كم خلف النسق الأول ويتمركز على طرق الاقتراب المهمة والمحاور الرئيسية المؤدية إلى العمق وتحتله ٣ كتائب مدفوعة إلى الأمام من الألوية المدرعة الثلاثة التى فى

الاحتياطى (كتيبة مدفوعة من كل لواء) وعند رفع درجة الاستعداد لتلقى الهجوم تندفع الدبابات التى تبلغ جملتها نحو ١٠٠ دبابة إلى الأمام لاحتلال المواقع السابق تجهيزها فى الخط الثانى من النسق الأول (حوالى ٣٠٠ - ٥٠٠ متر خلف خط بارليف) لإغلاق الثغرات الموجودة بين الحصون ولتدعيم الحصون ذاتها بدخول بعض الدبابات إلى داخلها فى مرابض معدة لها من قبل.

● **الاحتياطى:** غرب منطقة الممرات الجبلية على بعد حوالى (٢٥ - ٣٠ كم) شرق القناة ويتكون من ٣ ألوية مدرعة (عدا ٣ كتائب مدرعة مدفوعة للأمام فى النسق الثانى) وتبلغ جملة دباباته ٢٠٠ دبابة. وعند رفع درجة الاستعداد تندفع الألوية المدرعة الثلاثة التى فى الاحتياط إلى الأمام لاحتلال مواقع النسق الثانى استعدادا لشن الهجمات المضادة التكتيكية على القوات المصرية التى تنجح فى عملية عبور القناة.

وفى الصباح الباكر يوم ٦ أكتوبر ١٩٧٣ اتصل الجنرال جونين بالجنرال ابراهام ماندلر (ألبرت) قائد جبهة سيناء فى مقر قيادته وأبلغه أنه قد صدرت الأوامر برفع درجة الاستعداد وتعبئة الاحتياطى وأن هجوما عربيا على جبهتى القناة والجولان سوف يبدأ فى الساعة السادسة مساء (وفقا للانذار الذى بلغه العميل فى الساعة الرابعة صباحا يوم ٦ أكتوبر إلى المخابرات الإسرائيلية)، وكانت تعليمات جونين إلى ماندلر تقضى بسرعة إبلاغ جميع الوحدات والمواقع بالاستعداد لامتصاص القصف وألا تتحرك الدبابات إلى مواقعها الأمامية إلا فى الساعة الخامسة مساء كى لا يرى المصريون من وراء سواترهم حركة الدبابات وحتى لا تتاح لهم الفرصة لتغيير أوضاع نيران مدفعيتهم وحتى لا يكون لديهم إنذار بأن القوات الإسرائيلية قد رفعت درجة الاستعداد واعترض ماندلر على تأخر تحرك الدبابات حتى الساعة الخامسة مساء إذ أن الخطة الدفاعية (شوفاخ يونيم) كانت تتطلب توافر ساعتين على الأقل لتنفيذها واقتنع جونين بوجهة نظره ووافق على أن تتحرك الدبابات للأمام فى الساعة الرابعة مساء لاحتلال المواقع المحددة لها وفقا للخطة.

ولكن تحريك الدبابات للأمام لاحتلال مواقعها للاشتراك فى صد الهجوم المصرى المنتظر وللقيام بالهجمات المضادة - على المستوى المحلى - لم يتم تنفيذه فى التوقيت المحدد ففى الساعة الثانية ظهرا سمع الجنرال ماندلر وضباط مركز قيادته فجأة هدير الطائرات وعندما تطلعوا إلى أعلى شاهدوا طائرات ميج وسوخوى مصرية تهاجم مطار المليز وأدركوا أن الحرب قد بدأت قبل أربع ساعات من الموعد الذى تم إخطارهم به.

لماذا تمت تنحية الجنرال جونين عن منصبه؟

فى اللحظة التى دخل فيها الجنرال ماندلر إلى المخبأ فى قيادته فى منطقة (بير جفجانا) كان الجنرال جونين قد وصل إلى مقر قيادته فى بئر السبع ولم يكن قد عرف بعد أن الحرب قد اندلعت ولكنه بدافع الحرص والحذر اتصل هاتفيا بالجنرال ماندلر لتعديل أمره السابق وصاح جونين فى الهاتف: «ألبرت.. ينبغى تحريك الدبابات إلى الأمام الآن وعدم الانتظار إلى الساعة الرابعة مساء» ورد عليه ماندلر فى الحال ساخرا: «نعم ينبغى ذلك فإن الطائرات المصرية تضرب مطار المليز الآن». وأجرى ماندلر اتصالا لاسلكيا على

الفور بقادة ألوية الدبابات الثلاثة للإسراع بتحريك دباباتهم إلى الأمام لمواجهة العبور المصرى للقناة. وقد أثبتت التحقيقات الإسرائيلية التى أجريت بعد الحرب لتحديد مسئولية التقصير الذى وقع على الجبهة فى سيناء أن الأوامر التى صدرت إلى حصون خط بارليف بالتحذير من الهجوم وامتصاص القصف لم تصل إلى الجميع فقد أكد أفراد بعض الحصون أنهم لم يتلقوا هذه الأوامر واستمروا فى تصرفاتهم اليومية المعتادة وفوجئوا مفاجأة تامة بالهجوم المصرى إلى الحد الذى جعل أحد المهندسين الإسرائيليين (شيمون تال) الذى أرسل لإصلاح تجهيزات إشعال اللهب فى القناة يفاجأ بقصف المدفعية المصرية. ولما قام من على الأرض بعد رقاده وجد رجال الصاعقة المصريين يقفون فوق رأسه حيث وقع فى الأسر. كما أن جنود بعض الدشم كانوا خارجها وهم يرتدون المايوهات عند بدء القصف المدفعى المصرى. ولم يحاول أحد من قادة إسرائيل على جميع المستويات الافتراض بأن موعد بدء الهجوم ضدهم الذى تم إبلاغه لهم وهو السادسة مساء ربما يكون غير صحيح أو قد قصد به التضليل أو الخداع.

وقد ترتب على هذا الخطأ التكتيكى الفادح الذى جرى على جبهة قناة السويس بعدم تحرك الدبابات الإسرائيلية إلى الأمام فى الموعد الصحيح أن حوالى ١٠٠ دبابة مسلحة كل منها بمدفع من عيار ١٠٥ ملليمترات وبرشاشين ثقيلين - والتى كانت تحتل خط النسق الثانى - لم تنضم إلى قوة اللواء ١١٦ مشاة احتياط الضعيف القوة والتسليح والذى كان يحتل حصون خط بارليف والذى واجه وحده فى الساعة العصيبة الحاسمة من مرحلة العبور أقوى قصفة من التمهيد النيرانى التى استمرت لمدة ١٥ دقيقة. كما تلقى فى نفس الوقت آلافا من طلقات مدفعية الضرب المباشر من مرابضها الحصينة على الشاطئ الغربى للقناة ولم تكد تنقل المدفعية قصفها إلى العمق حتى فوجئ أفراد الحصون بمئات من قوارب الاقتحام وهى تنقل أفراد المشاة المصريين عبر القناة إلى الشاطئ الشرقى لها ووجد أفراد الحصون الإسرائيليون أنفسهم وسط طوفان من أمواج العبور المصرية المتدفقة.

وكان عدم تحريك الدبابات الإسرائيلية إلى مواقعها الأمامية فى النسقين الأول والثانى وفقا للخطة الموضوعة من قبل أحد العوامل المهمة فى ذلك النجاح الباهر والسريع الذى صادفته عملية العبور بعد ظهر يوم ٦ أكتوبر ١٩٧٣ وفى تقليل الخسائر المصرية إلى الحد الذى لم يكن يتخيله أحد، وقد حملت لجنة تقصى الحقائق التى شكلتها الحكومة الإسرائيلية فى ١٨ نوفمبر ١٩٧٣م برئاسة القاضى شمعون اجرانات رئيس المحكمة العليا الجنرال جونين مسئولية التقصير الذى وقع على الجبهة المصرية وأوصت بإعفائه من منصبه وعدم إسناد أى منصب قيادى له فى الجيش الإسرائيلى فقد ورد فى تقرير اللجنة أنه: «فى يوم الحرب وفى الأيام التى سبقتها لم يقم بشغل وظيفته كما يجب كما أنه يتحمل قسطا كبيرا من المسئولية عن الوضع الخطير الذى واجه القوات الإسرائيلية على جبهة القناة فى حرب يوم الغفران عندما هاجم الجيش المصرى المواقع الإسرائيلية».

المشاة المصرية تتمكن من سحق الدبابات الإسرائيلية

فى الساعة الثانية وعشرين دقيقة يوم ٦ أكتوبر وبمجرد أن انتقلت نيران تحضيرات المدفعية المصرية إلى

العمق انطلقت كتائب الدبابات الثلاث الإسرائيلية التى كانت محتلة خط النسق الثانى إلى الأمام بأقصى سرعة لكى تحتل المواقع المخصصة لها داخل حصون خط بارليف لتدعيمها ولاحتلال المصاطب المحددة لها فى الفواصل بين الحصون لسد الثغرات فى الخط الدفاعى الأول على حافة القناة وكان واضحا من تأخير تقدم هذه الدبابات حتى ذلك الحين أن القوات الإسرائيلية على جبهة القناة فضلا عن المفاجأة الاستراتيجية التى أصيبت بها قد لحقت بها أيضا مفاجأة تكتيكية فقد كان المفترض بعد أن علمت القيادة الجنوبية منذ الصباح أن هجوما مصريا كبيرا سوف يقع على طول القناة مما دفعها إلى إعلان حالة الاستعداد القصوى بين قواتها أن يجرى تنفيذ الخطة (شوفاخ يونيم) على الفور وأن يتم احتلال الحصون الأمامية بمشاة النسق الأول من لواء القدس وأن تتقدم لتدعيمها دبابات النسق الثانى التى يبلغ عددها نحو ١٠٠ دبابة وبذا كان العبور المصرى للقناة سيقابل بكمية هائلة من النيران. وتتعرض القوات المصرية لخسائر جسيمة، وقد تسبب تأخير تقدم الدبابات الإسرائيلية عن التوقيت المحدد فى الخطة إلى تغير كامل فى مجرى المعركة فقد تم عبور القوات المصرية قناة السويس بخسائر لم يكن يتصورها أكثر المخططين تفاؤلا فقد بلغت ٢٨٠ شهيدا و٢٠ دبابة وكان مقررا أن عملية العبور ستكلف قوتنا ٣٠ ألف ضابط وجندى منهم عشرة آلاف قتلى. وفى الوقت نفسه تعرضت الدبابات الإسرائيلية خلال تقدمها من الخلف للأمام لغابة من قذائف الصواريخ والقنابل الخارقة للدروع وكانت الصورة أمام كتائب الدبابات الثلاث الإسرائيلية رهيبة ومفزعة فقد انهالت عليها قذائف «آر بى جى» التى كان آلاف من جنود المشاة المصريين الذين عبروا القناة يحملونها ويوجهونها فى عزيمة وثبات إلى أبراج الدبابات وجنازيرها فتنفجر وتتعطل. وفى الوقت نفسه كانت الدبابات المصرية الرابضة على قمة الحاجز الرملى على الضفة الغربية للقناة ووحدات الصواريخ (مالوتكا) المضادة للدبابات تتصيد الدبابات الإسرائيلية واحدة وراء الأخرى كلما أخذت فى الاقتراب من شاطئ القناة وكانت أشد الصدمات تأثيرا عليها حينما اكتشفت الدبابات الإسرائيلية أن معظم المصاطب المعدة لها من قبل على طول خط الحصون والتى كانت تتيح لها الفرصة للاستتار من النيران المهلكة التى تتعرض لها قد سبقها رجال الصاعقة المصريون إلى احتلالها وراح هؤلاء يمطرونها بوابل من قذائف (آر بى جى) مما جعلها تهرول فى كل اتجاه بلا نظام للنجاة من هذا الجحيم.

ونتيجة للخطأ التكتيكى الذى ارتكبه الجنرال جونين قائد المنطقة الجنوبية بتأخيره إصدار تعليماته لدبابات النسق الثانى باحتلال مواقعها على خط الحصون قبل بدء العبور وبفضل شجاعة وعزيمة رجال المشاة والصاعقة المصريين الذين تصدوا للدبابات الإسرائيلية فى ثبات ونظرا لدقة وكثافة نيران الدبابات والصواريخ المضادة للدبابات والقنابل الخارقة للدروع من الشاطئ الغربى للقناة تم للقوات المصرية سحق وتدمير كتائب الدبابات الثلاث الإسرائيلية ولم تنج من الدبابات الإسرائيلية المائة من طراز باتون وسنتوريان من الدمار والوصول بعد ذلك إلى حصون خط بارليف سوى حفنة قليلة توزعت على بعض الحصون.

بسبب الغرور الإسرائيلى فشلت محاولات إنقاذ حاميات الحصون

مع غروب شمس يوم السبت ٦ أكتوبر كان فى إمكان القيادة الإسرائيلية أن تستغل فرصة حلول الظلام لإصدار تعليماتها الفورية لإخلاء حصون خط بارليف وكان ذلك حتى ذلك الحين أمرا سهلا ومتيسرا إذ أن الموجات الأولى من المشاة المصرية عقب عبورها القناة من بين الفواصل القائمة بين الحصون اندفعت فى طريقها إلى العمق لكى تحقق مهمتها المباشرة وهى إنشاء مناطق رؤوس الكبارى ولم تلق أهمية كبيرة لهذه الحصون التى تركتها وراءها إذ أن التعامل مع هذه الحصون ومحاولة اقتحامها كان كفيلا بتعطيل التقدم نحو العمق وبالتالى تأخير عملية انشاء رؤوس الكبارى ولذا كان واجب أفراد الموجات التالية من المشاة أن تتجه عقب عبور القناة صوب هذه الحصون لتطويقها وضرب الحصار حولها تمهيدا لاقتحامها. ولم يكن هناك فى الواقع أى واجبات رئيسية يمكن لأفراد هذه الحصون البقاء فى مواقعهم من أجل القيام بها عقب نجاح القوات المصرية فى اقتحام القناة والتقدم فى اتجاه العمق فلقد قدمت الحصون التغطية اللازمة لحمايتها أثناء عملية قصف المدفعية خلال فترة التمهيد النيرانى المصرى وقامت بواجباتها كنقاط ملاحظة للمدفعية الإسرائيلية ونقاط مراقبة للقيادات الخلفية لإبلاغها بتحركات القوات المصرية.

•

ولكن القيادة الإسرائيلية أضاعت الفرصة الثمينة التى كان فى إمكانها الاستفادة منها وهى استغلال ساعات الظلام لإخلاء هذه الحصون بسبب الغرور والثقة المفرطة فى النفس إذ لم يكن أحد من كبار القادة يجرؤ على إصدار الأمر بإخلائها إذ أن ذلك يعنى فى نظرهم الانسحاب وكانوا على ثقة من أن الحصون سوف تستطيع الصمود فى القتال فإن كل حصن منها كان مزودا بذخيرة وطعام ومياه وأدوية تكفى حاميته لمدة أسبوع ولم يجل فى خاطر أحد منهم أن الجيش الإسرائيلى سوف يعجز عن هزيمة المصريين وردهم على أعقابهم إلى الشاطئ الغربى قبل مرور هذا الأسبوع وفى الحصون الكبرى كان يوجد أطباء ووسائل إسعاف كافية ولذا كان الجرحى الذين يتم إخلاؤهم من الدبابات الإسرائيلية المصابة بالقرب من القناة يجرى نقلهم إلى الحصون الأمامية على خط بارليف وليس إلى مستشفيات الميدان الخلفية كما كان المفترض وذلك من فرط الثقة بأن الحصون آمنة وأنه لن تمضى سوى بضعة أيام إلا وتلتحم القوات الإسرائيلية التى ستقوم بطرد المصريين وإعادتهم إلى الشاطئ الغربى بهذه الحصون ثانية ويعود الحال إلى ما كان عليه من قبل.

وفضلا عن ذلك الغرور القاتل الذى أصبح سمة من سمات القادة الإسرائيليين عقب ذلك الانتصار الذى أحرزوه فى حرب يونيو ١٩٦٧ اتضح أنه لم تكن هناك أية خطة موضوعة من قبل لإخلاء الحصون بل إن التوجيهات التى تم إعدادها فى قيادة الجنرال ماندلر قائد جبهة سيناء فى بداية الحرب كانت تحدد وظيفة الحصون بواجبين: أولهما أن تكون بمثابة عائق لمنع تقدم المصريين إلى العمق.. وثانيهما هو أن تشكل بوجودها فى مؤخرة القوات المصرية قوة خلفية لإرباك تحرك هذه القوات وعزل أقسام كبيرة منها.

ولكن أحداث القتال أثبتت أن حصون خط بارليف لم تستطع تحقيق أى من هذين الواجبين وعلى العكس لم تكد قوات الجيش الثانى والثالث تثبت أقدامها على

الشاطئ الشرقى للقناة وفور أن تمكنت فرق المشاة الخمس التى عبرت من إنشاء مناطق رؤوس الكبارى كانت هذه الحصون قد فقدت تماما قيمتها الدفاعية إذ أصبحت مطوقة بالمصريين من كل جانب ومعزولة عن باقى القوات الإسرائيلية فى سيناء وبدلا من أن تلعب حاميات الحصون دورها المحدد لها فى الخطة الإسرائيلية (شوفاخ يونيم) وهو القيام بدور الصد الرئيسى ومنع أى عبور مصرى لقناة السويس والحيلولة دون تقدم أية قوات مصرية إلى عمق سيناء إذا بهذه الحاميات تجد نفسها سجينة فى مصيدة الحصار المصرى وأصبح إنقاذ هذه القوات مشكلة خطيرة أقلقت القيادة الجنوبية فى سيناء بل ورئاسة الأركان العامة فى تل أبيب.

بعد ٢٤ ساعة من الحرب.. تدمير ثلاثة ألوية مدرعة إسرائيلية

طوال الأربع والعشرين ساعة التى أعقبت عملية اقتحام القوات المصرية لقناة السويس منذ الساعة الثانية بعد ظهر السبت ٦ أكتوبر أسندت قيادة القطاعات الثلاثة الإسرائيلية على جبهة قناة السويس إلى قادة الألوية المدرعة التى كانت ترابط فى الاحتياطى فى مناطق المضايق الجبلية فى الخلف فتولى العقيد (جابى) قيادة القطاع الشمالى والعقيد (آمنون) قيادة القطاع الأوسط والعقيد (دان) قيادة القطاع الجنوبى وذلك بصفة مؤقتة لحين وصول قادة الفرق الاحتياطية على رأس فرقهم الثلاث ونظرا لأن كلا من هذه الألوية الثلاثة قد فقد الكتيبة المدرعة التى سبق له دفعها لاحتلال مواقع النسق الثانى أثناء تقدمها من مواقعها للانضمام إلى الخط الدفاعى الأول وفقا للخطة الموضوعة بعد أن انهالت عليها كل أنواع القذائف والصواريخ المضادة للدبابات من الشاطئين الشرقى والغربى للقناة بحيث لم يتمكن من الوصول إلى مواقع الحصون سوى عدد قليل من الدبابات لذلك أصبح كل لواء يتشكل فقط من كتيبتين مدرعتين مجموع دباباتهما حوالى ٧٠ دبابة.

ولو كانت القيادة الجنوبية الإسرائيلية قد فكرت تفكيرا منطقيا وواجهت الموقف المتحرج أمامها بتصرف تكتيكى سليم بعيدا عن تأثير العاطفة والغرور لكان الواجب عليها هو تركيز الدبابات التى كانت فى حوزتها وقتئذ والتى كان عددها يصل إلى حوالى ٢٠٠ دبابة أمام نقاط العبور الرئيسية للقوات المصرية والاشتباك معها بهدف عرقلة وإبطاء معدل تقدم هذه القوات إلى العمق لإنشاء مناطق رؤوس الكبارى إلى حين وصول الفرق الإسرائيلية الثلاث الاحتياطية التى كانت متقدمة وقتئذ على وجه السرعة وعلى عدة طرق من مركز تجميع الاحتياط فى بئر السبع إلى جبهة القتال.

ولكن الأمر الذى جرى كان مثيرا للدهشة إذ أن القيادة الجنوبية التى كان على رأسها وقتئذ الجنرال شموئيل جونين قائد القيادة الجنوبية والجنرال البرت ماندلر قائد جبهة سيناء وهما قائدان كانا معروفان أنهما على درجة عالية من الكفاءة استخدما الألوية المدرعة الثلاثة بطريقة خاطئة أدت إلى القضاء عليها ويبدو أن ذلك كان يرجع إلى عاملين مهمين: أولهما انصياعهما للأوامر الصادرة إليهما من رئيس الأركان العامة الجنرال دافيد اليعازر وعدم قدرتهما على مخالفتها والأمر الثانى كان يرجع إلى ناحية انسانية معنوية وهى ناحية أصبحت بمثابة عرف وتقليد فى الجيش الإسرائيلى منذ حرب فلسطين عام ١٩٤٨ وهو

عدم ترك القتلى والجرحى فى صفوف العدو وتحت رحمته وطوال الجولات العربية الإسرائيلية كانت القوات الإسرائيلية تشن هجمات ضارية لإنقاذ بضعة أفراد أو لاسترجاع بعض جثث فى الوقت الذى كانت تكلفها فيه هذه الهجمات أعدادا من القتلى والجرحى يفوق عددهم كثيرا أولئك الذين جرى الهجوم من أجل إنقاذهم أو إعادة جثثهم. وهكذا صدرت الأوامر لقادة الألوية الثلاثة للقيام بواجبين كانا من الصعب التوفيق بينهما: الأول هو الالتحام بدباباتهم بحصون خط بارليف الموجودة فى قطاع كل منهم لتدعيم هذه الحصون بعدد من الدبابات وإخلاء القتلى والجرحى وكان الواجب الثانى هو القيام بعمليات الصد ومنع القوات المصرية التى عبرت قناة السويس من توسيع وتعميق رؤوس الكبارى.

وطوال ليلتى ٦ و٧ أكتوبر انهمكت المجموعات المدرعة التى أخرجها قادة الألوية فى القيام ببعض الهجمات المضادة ضد رؤوس الكبارى المصرية وكذا فى عمليات قاسية ومريرة من أجل الوصول إلى بعض حصون خط بارليف وقد نجحت بعض هذه المجموعات فى عمليات الانقاذ ولكن بعد أن تكبدت خسائر فادحة كما نجحت حاميات بعض الحصون فى النجاة بأنفسها بمجهوداتها الخاصة ومن الوصول إلى المواقع الإسرائيلية ولكن بعض الحصون تحت وطأة الهجمات المصرية العنيفة لم تجد أمامها بدا من التسليم ووقع أفرادها أسرى فى أيدى القوات المصرية. ونتيجة لتكليف الألوية المدرعة بهذين الواجبين المتعارضين فقد كلٌ منها خلال المعارك التى خاضتها نحو ثلثى دباباته. وفى صباح يوم الأحد ٧ أكتوبر كان عدد دبابات كل لواء لا يزيد عن ٣٠ دبابة من أصل ١٠٠ دبابة بدأ بها القتال فى الساعة الثانية بعد ظهر يوم السبت ٦ أكتوبر ٧٣ وبذا تم للقوات المصرية تدمير ثلاثة ألوية مدرعة تدميرا يكاد يكون كاملا.

وقائع استسلام حصن لسان بورتوفيق

لم تلبث نهاية قصة حصون خط بارليف أن حلت بعد أسبوع واحد من بدء القتال وكان ذلك فى أقصى الجنوب عند الحصن المقام على لسان بورتوفيق فى المدخل الجنوبى للقناة (حصن كواى كما سماه الإسرائيليون) وكان حصنا منيعا ومحاطا بالمياه من جهات ثلاث ولم يكن هناك سوى طريق ضيق يؤدى إليه. وعندما انتهى قصف المدفعية يوم ٦ أكتوبر تمكنت أربع دبابات إسرائيلية من الوصول إلى ساحة الحصن ولكن ثلاثا منها كانت مصابة وكان أوائل الجرحى من رجال هذه الدبابات ثم انضم إليهم بالتدريج جرحى من حامية الحصن.

وقد تعرض الحصن لآلاف من القذائف والصواريخ التى سقطت فوقه ووصل الجنود المصريون حتى جدرانه وألقوا عشرات من القنابل اليدوية داخل سراديبه.

وقد أدرك قائد الحصن (شلومو أردينست) منذ الليلة الأولى أن الحصن محاصر ومعزول تماما من جميع الجهات ولكنه لم يكن لديه أى شك فى أن قوات الجيش الإسرائيلى ستأتى سريعا لمساعدته ولرفع الحصار المصرى عنه. ولكن بعد مرور بضعة أيام تحرج الوضع داخل الحصن فقد أخذت الذخيرة فى التناقص ونفد المورفين والأمصال والضمادات وراح الجرحى يتلوون من آلامهم وأخذ الدكتور (ناحوم فريين) طبيب الحصن فى علاج المصابين وإجراء العمليات الجراحية بدون تخدير.

وفى اليوم الخامس من الحصار وصلت إلى قائد الحصن رسالة لاسلكية من القيادة كان نصها: «إذا لم نستطع خلال ٢٤ ساعة إرسال التعزيزات إليكم يمكنكم الاستسلام» وكان داخل الحصن ٤٢ فردا منهم ٥ قتلى و٢٠ جريحا أحدهم مصاب بجروح خطيرة.

وفى صباح يوم السبت ١٣ من أكتوبر ظهر ممثلو الصليب الأحمر على الشاطئ الشرقى للقناة وفى اثر ذلك دار بين القيادة الإسرائيلية وقائد الحصن عن طريق اللاسلكى الحوار التالى:

القيادة: هل تستطيع الصمود؟

قائد الحصن: أخشى ألا أستطيع.. وضعنا صعب للغاية.. أريد الاستسلام.

القيادة: إذا قررت الصمود فسوف نساعدك على قدر ما نستطيع.

قائد الحصن: هذا لا يكفى.

القيادة: هذه هى الشروط التى قدمناها إلى الصليب الأحمر والأمر يعود إليكم.

قائد الحصن: أخشى ألا أستطيع الصمود.. سأستسلم حسب الشروط التى وضعتوها سنضطر إلى الافتراق.. آمل أن أراك قريبا.. سلامى إلى البيت.

القيادة: هل تريد شيئا ما؟

قائد الحصن: العودة إلى الوطن.

القيادة: هل حالتنا معروفة لك؟

قائد الحصن: أبدا.

القيادة: حالتنا جيدة... لقد تم الأمر لأنه إلى حين نستطيع الوصول إليكم سيكون ذلك متأخرا.

قائد الحصن: تقبلنا كل شىء بروح طيبة وإلا لكان يوجد هنا مسادة ثانية (مسادة قلعة يهودية مشهورة فى التاريخ اليهودى القديم انتحر كل المحاربين فيها بعد حصارها ونتج عنها عقدة مسادة فى الشخصية اليهودية).

القيادة: سنراكم على الشاشة مرفوعى الرأس. اعط توجيهات بأن تكون الرؤوس مرفوعة وأن تكون هناك ابتسامة.. هل لديك ما تضيفه؟

قائد الحصن: إبلاغ الأسر وتعزية الآباء.. إنهم ينقلون الجرحى والموتى وقد وعدوا بالتصرف وفقا لاتفاقية جنيف.

وباستسلام حصن لسان بور توفيق انتهت من التاريخ أسطورة حصون خط بارليف إلى الأبد.. فقد أصبحت الأعلام المصرية تخفق فى شموخ فوق جميع حصون خط بارليف وأثبت الجنود المصريون أنهم حقا خير أجناد الأرض وأن هتافهم أثناء تقدمهم بعبارة «الله أكبر» التى دوت فى الفضاء كدوى الرعد كان لها مفعول السحر فقد أمدتهم بالقوة الروحية الجبارة التى مكنتهم من عبور قناة السويس التى كانت تعد من أصعب الموانع المائية فى تاريخ الحروب ومن اقتحام حصون خط بارليف التى كان الإسرائيليون يتفاخرون بمنعتها ويظنون أن من المستحيل لأى جيش اختراقها. أما أولئك الذين سقطوا فوق رمال سيناء من جنودنا الأبطال فداء لوطنهم فهنيئا لهم بالشهادة وصدق الله تعالى وهو أصدق القائلين فى كتابه الكريم: «**من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا**» سورة الأحزاب: آية ٢٣.

من الذكريات البعيدة في الشهر الكريم

بقلم: الدكتور رمضان عبدالتواب

كان يوم مولدى فى منتصف شهر رمضان فى الصباح الباكر من يوم الجمعة. وحكت لى الوالدة، رحمها الله تعالى، أن الأسرة ترددت بعض الوقت، فى تسميتى برمضان، أو صباح، أو جمعة. غير أن الوالد، عليه رحمة الله، حسم الأمر واختار اسم الشهر المعظم، ليكون اسما لى، برجاء أن تنالنى بركته.

وكلما جاء شهر رمضان من كل عام، تسرى فى جسدى قشعريرة خفيفة، وأنا أتذكر هذا الموقف. وأظن أن اسم «رمضان» قد أضفى على شخصيتى منذ الصغر، نوعا من الالتزام والشعور بالمسئولية.. ومن يدرى، فلربما كنت الآن مطربا في شارع الهرم، لو وقع اختيار الأسرة على الاسم: «صباح» !!.

ومع اقتراب شهر رمضان من كل عام، وعلى صوت الأغانى التى تتردد هنا وهناك: «رمضان جانا بعد غيابه.. أهلا رمضان!» ينتابنى شعور غريب بأننى كنت مسافرا لمدة أحد عشر شهرا.. وأننى على وشك العودة من جديد!.

وقد عرفت صيام الشهر الكريم، منذ عهد الطفولة المبكر، وكان الوقت صيفا، ودرجة الحرارة توقد نار العطش، منذ الساعات الأولى من النهار، والبراعم الصغيرة في الأسرة، تحاول جاهدة اللحاق بركب الكبار فى إتمام الصيام، حتى غروب الشمس.

ولكن الكبار، وقد راعهم ذبول الوجه وجفاف الشفاه، يزعمون لنا أن صيام الصغار، يكفى فيه الساعات الأولى من النهار، ويضعون أمام هؤلاء الصغار، بواكير ما أعد من طعام الإفطار.. ويقنع الصغار، وبهذه الفتوى، التى تتكرر في كل يوم، مصحوبة بشهى الطعام، وأطايب الحلوى!، ويتجمع الصغار للعب.. ويأخذ النوم منهم من يأخذ، ولكن الحركة تدب فيهم من جديد قبل الغروب، ليذهبوا جماعات تتلوها جماعات إلى المسجد الكبير فى القرية وعيونهم الصغيرة معلقة بشرفات المئذنة، تتردد بينها وبين قرص الشمس، الذى بدأ فى الاحمرار إيذانا بالرحيل... ويظهر المؤذن، ويهلل الأطفال، ولكن المؤذن ينتظر بعض الوقت، حتى تتوارى بالحجاب. وهنا ينطلق صوته بالأذان مجلجلا فى الأفق البعيد.. الله أكبر.. الله أكبر.

ويعود هذا الجمع الحافل من الصغار، فى شبه مظاهرة، إلى بيوت القرية، وهم يهتفون: ياصايم قوم افطر.. على قمر الدين والماء المعطر.. نعم.. قمر الدين.. الذى كانت تزدان به واجهات المحلات فى القرية وأمام المحلات تقف شامخة جوالات الجوز، واللوز، والبندق،

والزبيب، والصنوبر، والبلح المجفف.. وأذكر أن الوالد، رحمه الله تعالى، كان يملأ بيتنا مع مطلع الشهر الكريم، بالأرطال الكثيرة، والأقق الوفيرة، من هذه الأصناف كلها، بأقل من جنيه مصرى واحد.. ورحم الله أيام زمان!

وما أن ينتهى الناس فى القرية من الإفطار، وتقام صلاة التراويح هنا وهناك.. حتى يتجمع صغار القرية من جديد، وقد أضاءوا شموع الفوانيس، قبل أن يعرف الناس البطاريات، وفوانيس البلاستيك، ولست أنسى أننى كنت وصغار الأسرة، نذهب عند السمكرية، الذين كانوا يجمعون قطع الفانوس الواحد، من الصفيح والزجاج الملون، فى مهارة وحذق، ويؤلفون بين هذه القطع بلحام القصدير، فى مقابل قرش واحد لكل فانوس .. يا بلاش!!

ويجوب الصغار بتلك الفوانيس شوارع القرية، وأهازيجهم تشنف الآذان : وحوى ياوحوى إيوحا.. حالو ياحالو، رمضان جه ياحالو.. رمضان جانا يالله الغفار! ولم يعرف الصغار آنذاك أن بعض هذه الألفاظ مصرى قديم، بمعنى القمر أو الشهر فى وقت لم تكن فيه تلك البراعم البريئة، قد لوثت بهذا السيل الجارف من الأغانى الهابطة، والإشارات الماجنة من فتيات الإعلانات، فى هذا الجهاز البغيض، المعروف بالتليفزيون .. الذى كان من الممكن أن يكون أداة تثقيف عالية، لنشر الفضيلة والأخلاق الحميدة، فأصبح لعبة فى أيدى الرغبات الجامحة، للشباب الطائش!

وكانت بيوتات القرية تتبارى فى (التسهير)، وهى كلمة كانت تعنى فى هذا الزمان البعيد، سهر أحد مشاهير قراء الناحية، عند هذه الأسرة أو تلك من كبار الأسر، يقرأ ما تيسر من آيات الذكر الحكيم.. والناس تتوافد زرافات ووحدانا، تسمع هذا المقرئ أو ذاك.. وصاحب الدار يرحب بهم، ويأمر لهم بأكواب القرفة والزنجبيل.. والمقرئ يرتل كتاب الله بصوت ندى، حتى إذا فرغ من قراءة بعض الآيات، قام شيخ هنا، أو شيخ هناك، ممن كانوا يدرسون بالأزهر الشريف آنذاك، ليفسر هذه الآيات، ويستخرج مكنوناتها، بأسلوب عربى سلس، يصل إلى القلوب مع العقول.

وكم كان لهذه المجالس العلمية، فى رحاب كتاب الله وسنة رسوله (ﷺ)، من آثار طيبة فى تربية الصغار على حب الخير للناس، والتفقه فى الدين الحنيف بغير تعصب!

فانظر إلى تبدل الحال فى زماننا الأغبر هذا، حين يتجمع صغار الأسرة حول الفوازير الراقصة، والمسلسلات المشبوهة، ومسابقات (الهجص) بين الفنانين والفنانات، من كل لون!

ويسمع الصغار فى ذلك الزمان البعيد عن المسحراتى، ويتمنون رؤيته ويحاول منهم من يحاول، ويغلب النوم أكثرهم. وقد أفلحت ذات ليلة فى إدراك هذه الأمنية، وبلوغ هذا الأمل العظيم، حين غالبت النوم مع بعض صغار الأسرة، وسمعنا دوى طبلته من بعيد، وكدنا نهرع إليه، لولا أن خاف علينا الكبار أن نضل فى طرقات القرية، وسط الظلام الدامس، فانتظرناه أمام الدار، وأهلّ علينا بزيه المتواضع، وبيده طبلة غريبة الشكل، ليست كالطبلة التى رأيتها فى فرح «ونيسة» بنت عمى عبدالعاطى، إذ كانت تلك طبلة كبيرة، ولها رقبة طويلة، أما طبلة المسحراتى، فكانت صغيرة مستديرة بلارقبة، وهو يدق عليها دقات منتظمة بجلدة فى يده، وينادى على سكان القرية واحدا بعد الآخر ومعه زوجته تحمل فانوسا كبيرا به مصباح مضاء بالجاز (الكيروسين)، الذى لم تكن القرية تعرف غيره فى النصف الأول من هذا القرن العشرين!

وقد تعودت منذ نعومة أظفارى، ألا أنام فى شهر رمضان بعد الإفطار، إلى أن أصلى الصبح حاضرا.. وقد ساعد على ذلك اجتماع إجازات الصيف وحلول الشهر

المعظم، وأنا موغل فى صيامه فى فترة الصبا، فكانت تلك فرصة نادرة، لكى يجتمع الأصدقاء، من الطلاب، بعد صلاة التراويح فى مسجد القرية، نتذاكر شيئا من علوم الدين والدنيا، ونقرأ لكبار الكتاب، من أمثال المنفلوطى، وطه حسين، والعقاد، والرافعى، والزيات، وغيرهم.

وكان لنا صديق يعمل فى مكتب مهندس منطقة السكة الحديد .. ولهذا المكتب حديقة جميلة يلفها سور حديدى أنيق.. وعلى الحشائش الخضراء فى حديقة هذا المكتب الخالد، ترى كل ليلة أكثر من عشرين شابا، يتناقشون، ويتفكهون، ويقولون الشعر وينشدونه، ويحتسون أكواب الشاى الساخن.. حتى إذا حل وقت السحور، قام كل واحد منهم ليوقظ أسرته، ويتناول معهم طعام السحور.

وقد لازمتنى هذه العادة.. السهر إلى الفجر فى رمضان حتى بعد أن دارت الأيام، وجاء الشهر الكريم فى أيام الدراسة، إذ كان يكفى لتعويض السهر، نوم ساعات بين صلاة العصر وأذان المغرب، من كل يوم رمضانى.

وسافرت فى بعثة إلى ألمانيا للحصول على الدكتوراه، وتفرقنا فى معاهد (جوته) المنتشرة فى ألمانيا، لنتعلم الألمانية.. وكانت الدراسة فى المعهد صارمة، ومواعيد الطعام والنوم بحساب.. وجاء شهر رمضان، واتفقت مع بعض المصريين من الزملاء على صيامه.. وقد توافق مغيب الشمس فى ألمانيا، مع موعد العشاء فى المعهد، فى الأيام الأولى من الشهر.. غير أن الشمس بدأت تتأخر فى المغيب يوما بعد يوم، وأخذ (هر شنايدر) مدير المعهد يتململ، وهو يرى الطلاب جميعا قد تناولوا عشاءهم، ما عدا جماعة الصائمين، التى تجلس فى انتظار موعد الغروب.. وثار المدير، لأننا خربنا له النظام، وأخرنا العمال فى المطبخ أكثر من نصف ساعة، بعد أسبوع واحد.

وطلب مدير المعهد من مكتب البعثات فى (بون)، ضرورة تأجيل صوم رمضان ونشرت بعض الصحف المصرية خبرا مثيرا يقول «معهد جوته فى (فولفراتس هاوزن) يطلب فتوى بتأجيل شهر رمضان!!» .. واتفقنا أخيرا على تناول إفطارنا فى أحد مطاعم البلدة، بعد خصم التكاليف من المبالغ التى تدفع للمعهد.

ولم تنقطع عندى عادة السهر فى رمضان حتى مطلع الفجر.. وأثمرت تلك السهرات الروحية المباركة، ثمرات يانعة فى حياتى العلمية، إذ أنجزت كثيرا من مؤلفاتى، فى بعض هذه السهرات.

ومن العجب مالاحظته من بركة الوقت فى هذه السهرات، فإن النتاج العلمى الذى أنجزه، يكثر رغم كثرة الزوار من الزملاء والتلامذة، يتسامرون، ويحتسون أطباق الخشاف، وأكواب قمر الدين المثلج والشاى الأحمر والأخضر، فى عصر عرفناه باسم «عصر الانفتاح الاستهلاكى»، بعد سنوات من الحرمان والتضييق، منعت فيها سيدة من اصطحاب سلسلة ذهبية رفيعة، ومصحف صغير من الذهب، فى سفرة لها إلى الخارج!

وتمر الأيام ويستدير الزمن.. وأذهب إلى قريتنا فى الشهر الكريم، فلا أجد مظهرا واحدا من المظاهر التى كنا نعرفها، حتى المؤذن تحول إلى ميكروفون.. والكنافة ضاع طعمها، يوم أن غاب عن القرية السمن البلدى، والمكسرات، وبهجة النفوس.. ومازلنا نجتر الذكريات!!

ربنا أنعم على عبادك بنعمة الرخاء، وادفع عنا الكرب والبلاء، واجعل أيامنا كلها أعيادا فى أعياد.

ملف العدد

الزكاة بين العبادات

- مكانة الزكاة بين العبادات وأهميتها في التشريع الإسلامى
- العدل في العطاء بين الأغنياء والفقراء

مكانة الزكاة بين العبادات وأهميتها في التشريع الإسلامى

للدكتور نصر فريد محمد واصل
مفتى الديار المصرية

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد بن عبد الله الهادى الأمين وعلى آله الطيبين الطاهرين وأصحابه جميعا ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.. وبعد،،

فإن الزكاة ركن من أركان الإسلام التى يقوم عليها ولا غنى لكل مسلم عنها لتحقيق دينه عمليا فى هذه الحياة وقد صرح بذلك النبى ﷺ فى حديثه الشريف فقال: بنى الإسلام على خمس شهادة ألاّ إله إلاّ الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا».

ولذلك شرعت الزكاة فى الإسلام وجعلت عبادة دائمة من عبادات الإسلام التى فرضها الله على المسلمين جميعاً إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ولأهميتها فى حياة المسلمين وتحقيق أركان الدين لله رب العالمين فقد ارتبطت فى تشريعها دائماً والأمر بفرضيتها من الله ورسوله إلى الناس بالصلاة التى هى عماد الدين والتى من أقامها فقد أقام الإسلام ومن تركها فقد هدم الدين كما فى قوله تعالى: ﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وماتقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله إن الله بما تعملون بصير﴾ (البقرة ١١٠).

وقد فرضها الله تعالى على المسلمين وطالبهم بها وأمرهم بأدائها فى آيات كثيرة تكررت فى القرآن الكريم أكثر من ثلاثين مرة، وقد جاء الأمر بها مقرونا بالصلاة فى معظم هذه الآيات الكريمات المحكمات مما يؤكد علو منزلة الزكاة وعظم أجرها تماماً كما فى فريضة الصلاة التى تولى الله سبحانه وتعالى بنفسه فرضها على رسوله محمد ﷺ وأمته من فوق سبع سموات من غير واسطة حيث تشرف النبى ﷺ بتلقى الأمر بها مباشرة من رب العزة جل وعلا فى معراجه إليه سبحانه ليلة الإسراء والمعراج.

والزكاة مع أنها عبادة إسلامية أخذت هذا الشرف العظيم وهى ارتباطها غالبا بالصلاة التى هى منحة رب العالمين لعباده المسلمين فهى فى نفس الوقت تنمية لمال المسلم المزكى وزيادة له فى الحس والمعنى لأنها حفظ للمال من هلاكه أو التعدى إليه من الغير الذى سوف يصونه ويحرسه إذا علم أنه شريك فيه بأمر الله عند السراء والضراء وهو قريب منه دائما عند الحاجة إليه بل يصل إليه هذا المال حيثما كان بأمر الله ممن تحت يده وممن يكون حائزا له بطريق مشروع أحله الله، وبهذا يحفظ المال لصاحبه ومالكه ويصان ولا يهان حيث يزيد بالإنفاق منه والتنمية دائما ويبارك الله فيه فقد قال ﷺ «ما نقصت صدقة من مال» رواه مسلم.

ولذلك نجد أن المحسنين لأنفسهم وأموالهم الخيّرين الذين ينفقون ويؤدون زكاة أموالهم طيبة بها نفوسهم فى وجوه الخير يبارك الله لهم دائما فى أموالهم وتجارتهم وأولادهم وأرزاقهم و عمارهم.

وكان ﷺ إذا أرسل رسله يدعون إلى الإسلام أوصاهم بدعوة الناس إلى عبادة الله ثم أداء الزكاة التى تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم.

وقد بين الله تعالى فى كتابه الكريم أن الله يضاعف للمصدقين والمنفقين أموالهم أضعافاً مضاعفة فى الدنيا مع الأجر العظيم فى الآخرة وذلك فى كثير من النصوص القرآنية ومن ذلك قوله تعالى ﴿مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم﴾ سورة (البقرة) آية ٢٦١.

والزكاة مع أنها عبادة مالية مفروضة على المسلم حفظاً لماله ونماءً له وزيادة فيه من الناحية المادية والحسية فهى كذلك طهرة للقلب والروح معاً من الشح والبخل وقسوة القلب والتعلق بالدنيا ونعيمها الزائل. وهذه صفات خلقية ذميمة نهى عنها الإسلام لأنها تناقض عقيدة المؤمن وشريعة الإسلام. ولذلك كان إخراج الزكاة من المسلم دليلاً على صدق الإيمان وحسن الإسلام والإخلاص فى العبادة لله رب العالمين ولهذا قال ﷺ «الصلاة نور والصدقة برهان»، أى إخراجها من المزكى أو المتصدق دليل على صدق إيمان صاحبها ومخرجها.

ثم إن الزكاة أيضا بالنسبة للفقير والمسكين ومن يستحقها ممن هم من أهل مصارفها طهرة لقلبه من الحقد والحسد والبغض والغل الذى قد يتحول بسببه إلى نار تحرق وتدمر أموال الأغنياء الممسكين والمانعين أموالهم والمنفقين منها على المحتاجين وغير القادرين.

وبذلك تصبح الزكاة والصدقات دارئة لهذا الشر ومطفئة لنار الحقد والحسد والبغض بين الفقراء والأغنياء فتسود الألفة بين الناس جميعا وتنتشر المحبة بين الأغنياء والفقراء ويصير المجتمع كله أسرة واحدة كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا وكالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى كما قال ﷺ فى وصف المسلم مع المسلم، وشرع الله دائما نور وهدى وخير للناس جميعا. والله يقول الحق وهو يهدى السبيل.

العدل فى العطاء بين الأغنياء والفقراء

فضيلة الشيخ / إبراهيم الدسوقى مرعى

«عن على - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ - فرض على أغنياء المسلمين فى أموالهم بقدر ما يسع فقراءهم ولن يجهد الفقراء إذا جاعوا أو عَروا إلا بما يصنع أغنياؤهم ألا وان الله يحاسبهم حساباً شديداً ويعذبهم عذاباً أليماً».

رواه الطبرانى فى الأوسط والصغير وما تفرد به ثابت وقال الحافظ وثابت ثقة صدوق. روى عنه البخارى وغيره وروى موقوفاً عن على - رضى الله عنه - الترغيب والترهيب ص ٣٣٤.

الكلمات:

الزكاة: مصدر زكا إذا نما وزاد وزكا فلان إذا صلح.

فالزكاة: هى البركة والنماء والطهارة والصلاح.

وقال فى لسان العرب: وأصل زكا فى اللغة: الطهارة والنماء والبركة والمدح وكله قد استعمل فى القرآن والحديث.

والنماء والطهارة ليسا مقصورين على المال، بل يتجاوزانه إلى نفس المعطى. كما قال تعالى ﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها﴾. سورة التوبة آية ١٠٣.

وقال الأزهرى إنها تنمى الفقير، وهى لفتة جميلة إلى أن الزكاة تحقق نمواً مادياً ونفسياً للفقير أيضاً بجانب تحقيقها لنماء الغنى نفسه وماله.

والزكاة الشرعية قد تسمى فى لغة القرآن والسنة صدقة حتى قال الماوردى الصدقة زكاة والزكاة صدقة يفترق الاسم ويتفق المعنى. قال تعالى: ﴿ومنهم من يلمزك فى الصدقات﴾ سورة التوبة آية ٥٨.

وكذلك قوله تعالى: ﴿إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها﴾ سورة التوبة آية ٦٠.

وفى الحديث قال - ﷺ - «ليس فيما دون خمسة أوسق صدقة وليس فيما دون خمس زود صدقة وليس فيما دون خمس أذاق صدقة» رواه الشيخان.

ومادة الصدقة مأخوذة من الصدق. قال ابن العربى: إن ذلك يعنى أن الصدقة مساواة الفعل للقول والاعتقاد. وهى على هذا دليل الصدق فى الإيمان

والتصديق بيوم الدين ولهذا قال - ﷺ - «والصدقة برهان» مسلم فى صحيحه.

وقد وردت كلمة الزكاة فى القرآن الكريم ثلاثين مرة منها سبع وعشرون مقترنة بالصلاة فى آية واحدة. وفى موضع آخر ذكرت فى سياق واحد مع الصلاة وإن لم تكن فى آيتها وهى قوله تعالى: ﴿**والذين هم للزكاة فاعلون**﴾ سورة المؤمنون آية ٤.

أما كلمة الصدقة فقد وردت فى القرآن الكريم اثنتى عشرة مرة كلها فى المدنى فقه الزكاة ج ١ بتصرف.

مقدمـــــــة:

المجتمعات البشرية أمام مطالب الحياة وضرورات العيش مختلفة كل الاختلاف، فواحدة تعيش فى رغد من العيش وأخرى تعيش فى بؤس وفاقة وشذف وقد أثار ظهور الطائفة الثانية بجانب الطائفة الأولى مشكلة الفقر منذ أقدم العصور فاتجهت إليها الأنظار وحاول المفكرون وهداة البشر فى كل زمان ومكان أن يجدوا لها حلاً كما استهدفت رسالات السماء كذلك العلاج. وقد تفنن الناس فى ابتداع الحلول وكان من أقدم الحلول التى أحس بها الضمير الإنسانى أن الغنى الموسر لا يمكن أن يكون خالى الذمة من أى واجب إزاء الفـقـيـر المعـدم وبدأ ذلك الواجب فى صورة الإحسان ثم تطور إلى فكرة الضريبة ثم بدت فكرة الحق، إلى جانب الواجب الأمر الذى وجه الأنظار إلى ضرورة إيجاد حل حاسم لتحقيق الأوضاع الاجتماعية العادلة، إذ أنه من السهل أن يتجاهل الغنى واجبه ولكن ليس من السهل أن يخفق الفقير فى الوصول إلى حقه، ولا بد أن نشير إلى أن فكرة الإحسان كانت أقدم الوسائل التى جاءت بها الرسالات السماوية علاجاً لمشكلة الفقر فى المجتمع. إلا أن هذا المبدأ مع سموه وحسن أثره لم يكن كافياً فى النهوض بجميع العجزة والمعوزين إلى مستوى الحياة الإنسانية الكريمة مما دعا إلى البحث عن أسباب ذلك للقضاء عليها لنجنب بذلك المجتمع من شرور الفقر والفاقة وعلى فرض الإحسان واجب فإنه لا يمثل حقاً للفقير فيجب أن يطالبه به والإحسان فى أغلب الأحيان يمثل واجباً لاحقاً ومن ثم استطاع الأغنياء أن يهملوا الإحسان دون أن يطالب به الفقراء أو تقوم الدولة بتحصيله لهم ودفعه إليهم وعلى هذا فقد ظل الإحسان مجرد واجب، وفقد ما كان يمكن أن يتمتع به من قوة لو أنه وصل إلى مرتبة الحق وعينت مقاديره فتمكنت الدولة من جبايته وتوزيعه.

بين يدى ما شاب مبدأ الإحسان من عجز فى مكافحة الفقر كان لابد من تلافى جميع الأسباب التى شابت هذا المبدأ والبحث عن حل آخر يرقى بهذا الواجب إلى درجة الإلزام وعدم الاكتفاء به وأن نرقى به إلى مرحلة النظم العامة التى تدخل فى اختصاص الدولة وحدود سلطتها ومن ثم فإنه لابد من ضريبة تفرضها الدولة وتجمعها.

مثالية التشريع الإسلامى

والحق أن فريضة الزكاة التى فرضها الإسلام قد حققت كل الأهداف فضمنت للفقير من مال الغنى مورداً كافياً مضموناً تقوم الدولة على جبايته حتى قاتل أبو بكر مانعى الزكاة، كما قاتل المرتدين. ولم تترك الدولة جباية الزكاة وتوزيعها فى مصر إلا منذ عهد السلطان قلاوون أحد السلاطين المماليك حين شكا إليه التجار من عبث الجباة فأمر بإلغاء جبايتها.

وقد كان لهذا التطور الذى جاء به الإسلام أثره البعيد فى إصلاح حال الفقراء لا فى العالم الإسلامى وحده، بل لقد تأثر به الغرب فأدركوا أنه لابد من ضريبة اجتماعية للقضاء على هذا المرض الاجتماعى الخطير.

وكان ذلك حين سطعت شمس الإسلام بتشريعاته الحكيمة ومبادئه العادلة الكفيلة بحفظ حق الفقير في مال الغني. وقد كانت الملكة اليزابيث ملكة انجلترا أول من شعر بضرورة إصدار قانون بهذه الضريبة أطلق عليه قانون الفقراء تنويها بمهمته الاجتماعية وقد صدر هذا القانون سنة ١٦٠١م، ويستطيع من ينظر إلى المعالم الكبرى لهذا القانون أن يرى أثرا للتشريع الإسلامي فيه واضحاً فقد اقتبست المبادئ الأساسية لفريضة الزكاة الإسلامية خاصة فى الأساس الذى قام عليه القانون وهو الاعتراف بحق الفقراء في أموال الأغنياء. ولم يلبث النور الإسلامى أن سطع على الدنيا فقد اقتبسته الولايات المتحدة من انجلترا.

والحق أن فكرة الضريبة كعلاج للفقير وهى الفكرة التى تضمنتها الزكاة قد دخل عليها من التطوير ما منحها القدرة على اقتلاع جذور الشرور الاجتماعية المختلفة التى تنبثق من أصل واحد هو جرثومة الفقر الرهيبة، ولم تكن الزكاة إذن مجرد شريعة خاصة لأمة خاصة ولكنها كانت تطوراً للأوضاع الاجتماعية التى تتصل بالفقر والفقراء، ولم يلبث هذا التطور أن تخطى حدود البيئة التى ظهر فيها حتى أصبح تطوراً إنسانياً عاماً أوحى به ذلك التشريع الإسلامى الإنسانى الذى جاء لإصلاح أمر البشرية أنا وجدت، وتحت أى سماء استظلت فهو التشريع العام للناس كافة وهو التشريع الخاتم الذى كفل سعادة البشرية إلى يوم الدين. وصدق الله العظيم حين قال تعالى لنبيه.. ﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ سورة سبأ آية ٢٨.

وانطلاقاً من مبدأ الأخوة الإنسانية وكفالة ضروريات الحياة لبنى الإنسان فقد أولت الأديان كلها حتى الوضعية التى لم تعرف لها صلة بكتاب سماوى لم يغفل أى منها هذا الجانب الإنسانى الاجتماعى الذى لا يتحقق إخاء ولا حياة طيبة بدونه وهكذا نجد فى بلاد ما بين النهرين قبل أربعة آلاف سنة كيف أن «حمورابى» فى أول سجل للشرائع وجد حتى الآن قال: إن الآلهة أرسلته لمنع الأقوياء من اضطهاد الضعفاء وليرشد الناس ويؤمن الرفاهية للخلق» وقبل آلاف السنين كان الناس فى مصر القديمة يشعرون بأنهم يؤدون واجباً دينياً عندما يقولون قد أعطيت الخبز للجائع والكساء للعارى وحملت بزورقى أولئك الذين لا يستطيعون العبور وكنت أباً لليتيم وزوجاً للأرملة ووقاءً للمقرور من عصف الريح.

بيد أن الأديان السماوية كانت دعوتها إلى البر بالفقراء والضعفاء أعلى صوتا وأعمق أثراً من كل فلسفة بشرية أو ديانة وضعية أو شريعة أرضية. ولقد نادت كل الشرائع السماوية بالدعوة للأخذ بهذا الجانب الإنسانى الذى سماه القرآن «زكاة» ووجدناه يتحدث عن إبراهيم وإسحق ويعقوب ويقول ﴿**وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين**﴾ سورة الأنبياء آية ٧٣.

ويتحدث عن إسماعيل فيقول ﴿**واذكر فى الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولاً نبياً وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا**﴾ سورة مريم آية ٥٤، ٥٥.

ويتحدث عن ميثاق بنى إسرائيل فيقول ﴿**وإذ أخذنا ميثاق بنى إسرائيل لا تعبدون إلا الله وبالوالدين إحسانا وبذى القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسنا وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة**﴾ سورة البقرة: اية ٨٣.

وقال: ﴿**ولقد أخذ الله ميثاق بنى إسرائيل وبعثنا منهم اثنى عشر نقيبا وقال الله إنى معكم لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلى وعزرتموهم وأقرضتم الله قرضاً حسناً لأكفرن عنكم سيئاتكم ولأدخلنكم جنات تجرى من تحتها الأنهار فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل**﴾ سورة المائدة آية ١٢.

وقال على لسان المسيح عيسى فى المهد ﴿**وأوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت حيا**﴾ سورة مريم آية ٣١ .

وقال فى أهل الكتاب عامة ﴿**وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة**﴾ سورة البينة آية ٥ .

وإذا نظرنا إلى أسفار التوراة والإنجيل (العهد القديم والعهد الجديد) التى بين أيدينا الآن نجدها تشتمل على كثير من الوصايا والتوجيهات الخاصة بالعطف على الفقراء والمساكين والبر باليتامى والأرامل والضعفاء .

ففى التوراة فى الإصحاح ٢١ من سفر الأمثال ما نصه «من يسد أذنيه عن صراخ المسكين فهو أيضاً يصرخ ولا يستجاب له. الهدية فى الخفاء تطفىء الغضب» . وفى الإصحاح ٢٧ من سفر الأمثال «من يعطى الفقير لا يحتاج ومن يحجب عنه عينيه عليه لعنات كثيرة» .

وكذلك نقرأ فى الإنجيل فى الفقرة ٣٣ من الإصحاح ١٣ من إنجيل لوقا «بيعوا مالكم واعطوا صدقة» وفى الفقرة ١٠ ـ ١٤ من إنجيل لوقا «من له ثوبان فليعط من ليس له ومن له طعام فليفعل هكذا» .

هذه نماذج من كثير مما ورد فى التوراة والإنجيل خاصاً بالعطف على الفقراء والمساكين وذوى الحاجات وهى تمثل دعوة الكتب السماوية قبل القرآن الكريم إلى رعايتهم. والناظر فى جميع ما سبق يرى أن الدعوة إلى علاج هذا المرض الاجتماعى لم يرق إلى مرتبة الإلزام بالتصدى له لاستئصاله والقضاء عليه لأنه قد وكل إلى الأفراد وأريحيتهم وضمائرهم ولم يجعل لله وله سلطاناً عليهم إذ أنه لا يعدو أن يكون ترغيباً فى الإحسان وترهيباً من الأنانية والبخل كما أنه لم يحدد مقدار المال الذى تجب منه الصدقة والإحسان ولا شروطه ولا المقدار الواجب فيه خصوصاً وأن الأمر لا يعدو أن يكون التخفيف عن كاهل الفقراء والمعوذين لا استئصال الداء والقضاء عليه الأمر الذى كان به الإسلام خاتم الرسالات التى جسدت التكريم الذى خص به الحق سبحانه بنى الإنسان وأعلن به مساواتهم فى حق الحياة الكريمة. وأن الملك التام للمال ولكل ما يطلق عليه هذا الاسم إنما هو لله وحده وأنه فى يد الغنى عارية وكل إليه حفظها وتطبيق منهج مالكها وهو الله فى التصرف فيها والإنذار والوعيد لمن يخالف أمر مالكها إما بحرمانه من التمتع بها أو بذهابها فى الدنيا مع إكرام من يتقى غضب الله فيها بالمزيد من فضله سبحانه وهو القائل: ﴿**لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابى لشديد**﴾ سورة إبراهيم: آية ٧.

والقائل ﴿**وما آتيتم من ربا ليربو فى أموال الناس فلا يربو عند الله وما أتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون**﴾ سورة الروم آية ٣٩ والقائل ﴿**وما أنفقتم من شىء فهو يخلفه وهو خير الرازقين**﴾ سورة سبأ آية ٣٩ .

الإسلام والعلاج

والدعوة الإسلامية قد واكبها منذ بزوغ فجر الإسلام العناية بأمر الفقراء والمساكين والمعوذين والمحتاجين ففى سورة المدثر وهى من أوائل ما نزل من القرآن فقد صور القرآن مشهداً من مشاهد الآخرة مشهد أصحاب اليمين وهم يتساءلون عن المجرمين من الكفرة والمكذبين وقد أطبقت عليهم النار ﴿**ما سلككم فى سقر قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين وكنا نخوض مع الخائضين وكنا نكذب بيوم الدين**﴾ سورة المدثر آية ٤٢ : ٤٦ .

فجعل من لوازم الإيمان إطعام المسكين ومثل إطعامه كسوته وإبراؤه ورعاية ضرورياته وحاجاته ويقول فى سورة الحاقة المكية فى شأن أصحاب اليمين وأصحاب

الشمال ﴿وأما من أوتى كتابه بشماله فيقول يا ليتنى لم أوت كتابيه. يا ليتها كانت القاضية. ما أغنى عنى ماليه هلك عنى سلطانيه. خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه ثم فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه إنه كان لا يؤمن بالله العظيم ولا يحض على طعام المسكين﴾ الآيات ٢٥ ـ ٣٤.

يقول الشيخ محمد عبده: إنما ذكر الحض على الطعام ولم يكتف بالإطعام ليصرح بالبيان الجلى أن أفراد الأمة متكافلون وأنه يجب أن يكون لبعضهم على بعض عطف بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر معا وأساليب القرآن فى الدعوة إلى رعاية الفقراء وإتيانهم حقوقهم من المال حتى لا يضيعوا فى مجتمع المؤمنين قد توجت بأسلوب آخر هو إيتاء الزكاء ثناء على فاعليها وذماً لتاركيها ففى سورة الروم يقول الله تعالى: ﴿وما اتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون﴾ وفى سورة النمل قال سبحانه: ﴿تلك آيات القرآن وكتاب مبين هدى وبشرى للمؤمنين الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون﴾ سورة النمل آية ١ ـ ٤.

وفى سورة المؤمنين يقول فى أوصاف المؤمنين ﴿والذين هم للزكاة فاعلون﴾ سورة المؤمنون آية ٤.

وفى سورة الأعراف يقول سبحانه أثناء ذكره لقصة موسى ﴿ورحمتى وسعت كل شىء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة﴾ سورة الأعراف آية ١٥٦. والملاحظ فى حديث السور المكية عن الزكاة أنها لم توردها بصيغة الأمر الدال على الوجوب ولكنها أوردتها فى صورة خبرية باعتبارها وصفا للمؤمنين والمتقين والمحسنين. وإذا كان إيتاء الزكاة من الأوصاف اللازمة للمؤمنين المفلحين وتركها من الأوصاف اللازمة للمشركين فذلك يدل على الوجوب، إذ التحلى بصفات المؤمنين والخروج عن خصائص المشركين أمر واجب لا نزاع فيه يضاف إلى ذلك الأمر فى قوله تعالى ﴿وآتوا حقه يوم حصاده﴾.

متى فرضت الزكاة؟

ولما كان المعروف فى تاريخ التشريع الإسلامى أن الزكاة فرضت فى المدينة فكيف يتفق هذا وذكر القرآن لها فى آيات كثيرة من سوره المكية؟؟

والجواب أن الزكاة التى فرضت فى القرآن المكى لم تكن هى التى شرعت فى المدينة وحددت أنصبتها ومقاديرها وأرسل السعاة لجبايتها وصرفها وأصبحت الدولة مسئولة عن تنظيمها. فالزكاة فى مكة كانت مطلقة من القيود والحدود وكانت موكولة إلى إيمان الأفراد وأريحيتهم وشعورهم بواجب الأخوة نحو إخوانهم المؤمنين وقد يكفى فى ذلك القليل من المال وقد تقتضى الحاجة إلى بذل الكثير أو الأكثر. أما فى المدينة فقد اتخذت التكاليف الإسلامية صورة التحديد والتخصيص كما اتخذت صورة قوانين إلزامية بعد أن كانت وصايا توجيهية فحسب وأصبحت تعتمد فى تنفذها على القوة والسلطان مع اعتمادها على الضمير والإيمان كما حدد الشارع الأموال التى تجب فيها وشروط وجوبها والمقادير الواجبة والجهات التى تصرف لها وفيها والجهاز الذى يقوم على تنظيمها وإدارتها، ولقد جاء القرآن المدنى فأعلن وجوب الزكاة بصيغة الأمر الصريح ودعا بصورة واضحة إلى إيتائها. فقد جاء فى سورة البقرة ﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله﴾. الآية ١١٠.

كما جاء فى مطالع سورة التوبة ﴿فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم إن الله غفور رحيم﴾ سورة التوبة آية ٥.

فقد اشتملت الآية على ثلاثة شروط للكف عن قتال المشركين بعد مهلة الأربعة أشهر وهى التوبة

بالدخول فى الإسلام، وإقامة الصلاة المفروضة فى كل يوم وإيتاء الزكاة المفروضة فى أموال الأغنياء لذوى الحاجات ولمصلحة الأمة العامة وهى الرابطة المالية الاجتماعية السياسية بين جماعة المسلمين. ولقد درج القرآن الكريم على أن يقرن الزكاة بالصلاة وقلما تنفرد إحداهما عن الأخرى وقال عبد الله بن مسعود: أمرتم بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة جميعا لم يفرق بينهما ومن لم يزكّه فلا صلاة له - تفسير الطبرى ج ١٤ ص ١٥٣ ط المعارف وقال ابن زيد افترضت الصلاة والزكاة جميعاً لم يفرق بينهما وقرأ قوله تعالى: ﴿**فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم فى الدين**﴾ سورة التوبة آية ١١.

وأبى أن يقبل الصلاة إلا بالزكاة وقال رحمه الله «أبا بكر ما كان «أفقهه» يعنى بذلك قوله لا أفرق بين شيئين جمعهما الله.

من مقومات المجتمع الإسلامى

والزكاة إحدى مقومات المجتمع المسلم. قال تعالى: ﴿**والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة يطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله**﴾ سورة التوبة آية ٧١.

كما خاطب الله رسوله وكل من يقوم بأمر الأمة فقال: ﴿**خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم والله سميع عليم**﴾ سورة التوبة آية ١٠٣. وإنما قال من أموالهم ولم يقل من مالهم ليكون مشتملاً على جميع أجناس المال كلها، وقال المفسرون: المراد بالصدقة هنا الزكاة المفروضة وقوله من أموالهم تنبيه إلى أن الزكاة ليست كل المال وإنما هى جزء منه، «فقه الزكاة ج ١».

وإذا كان الشارع قد ناط بها المواساة لذوى الحاجات والبؤساء والمساكين فإن ذلك لا يكون إلا فى مال له بال: قال القاضى عياض: قال الماوردى: قد أفهم الشرع أن الزكاة وجبت للمواساة وأن المواساة لا تكون إلا فى مال له بال وهو النصاب ثم جعلها فى الأموال الثابتة وهى العين والزرع والماشية وفى عروض التجارة عند جمهور العلماء.

ولقد رتب الشرع مقدار الواجب بحسب المؤونة والتعب فى المال، فأعلاها وأقلها تعباً الركاز وفيه الخمس لعدم التعب فيه ويليه الزرع والثمر فإن سقى بماء السماء ونحوه ففيه العشر وإلا فنصفه ويليه الذهب والفضة والتجارة وفيه ربع العشر لأنه يحتاج إلى العمل فيه جميع السنة ويليه الماشية فإنه يدخل فيها الأوقاص بخلاف الأنواع السابقة.

ولقد اشترط الفقهاء فى المال الذى تجب فيه الزكاة أن يبلغ نصاباً وأن يحول عليه الحول وأن يكون المال نامياً بالفعل أو بالقوة بحيث يمكن أن يتخذه سبيلاً لتنمية ثروته ولا يعد ممن يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فإن كنز الذهب والفضة يعنى أن يجعله كنزاً مخفياً لا يعلم به أحد ولا يخرجه للتنمية والإسهام بماله فى بناء اقتصاد المجتمع الذى يعيش فيه ولذا لم تجب الزكاة فى الأموال التى تعد من الحاجات الأصلية كالذى يدخره لقوت نفسه وعياله وكالسكن الذى يسكنه والفراش الذى ينام عليه وكأدوات الصناعة التى يعمل بها لقُوته وكأدوات النجارة والحدادة التى يستخدمها فإنها ليست من رأس المال بل رأس ماله مهارته ونظراً لأنه قد جدت أنواع من الأموال صارت مستغلة تدر الخير الكثير ولم يفرض الفقهاء الأقدمون زكاة فيها كما لم يأت عن النبى - ﷺ - نصوص تمنع فرضية الزكاة فيها.

الأموال التى تجب فيها الزكاة

يقول الشيخ أبو زهرة فى بحث له فى الزكاة: «الأموال منقولة وثابتة فالأموال المنقولة أى كالنقدين «الذهب والفضة» تؤخذ من عينها أو تؤخذ من

قيمتها (لعروض التجارة) والأموال الثابتة تؤخذ من ثمراتها وغلاتها فزكاة الأرضين والثمار تؤخذ من الزرع والثمر ومثل ذلك العمائر التى شيدت للاستغلال والمصانع التى أقيمت للاصطناع ويمكن حصر الأموال التى تجب فيها الزكاة سواء منها ما ورد بها نص شرعى وما لم يرد فيه نص على النحو التالى:

(أ) أموال الزكاة التى ورد فيها نص:

إن الأموال التى يثبت فيها الزكاة بالسنة النبوية المطهرة خمسة:

١ ـ الأنعام وتشمل الأبل والبقر والغنم.

٢ ـ عروض التجارة وهى كل ما يعد للبيع والشراء بقصد الربح.

٣ ـ النقدان «الذهب والفضة».

٤ ـ الزروع والثمار وهى ناتج أو دخل الأرض الزراعية.

٥ ـ الركاز وهو كل ما فى باطن الأرض من معادن سواء كان مركوزا أو مدفوناً فى باطن الأرض بالطبيعة أو كان كنزاً دفنه القدماء فى الأرض.

(ب) أموال مستحدثة لم يرد بها نص: فقد ظهرت صنوف من المال لم تكن معروفة فى عهد الرسول ـ ﷺ ـ بل زادت أهميتها اليوم وأصبحت هى الغالبة ومن قبيل ذلك:

١ ـ الآلات الصناعية.

٢ ـ العقارات المستغلة كالعمارات والفنادق والمطاعم.

٣ ـ الأوراق المالية كالعملة الورقية والأسهم والسندات.

٤ ـ كسب العمل كالمرتبات والأجور وأرباب المهن الحرة.

٥ ـ الثروة المعدنية كالمناجم والبترول والثروة البحرية كالأسماك واللؤلؤ.

وعلى هذا فإن كل مال استجد ويقع فيه النماء حقيقة أو تقديراً أى بالتمكن من النماء فإنه تجب عليه الزكاة أياً كان. ثروة عقارية كالعمارات أو صناعية كالمصانع أو مالية كالعملة الورقية والأوراق المالية لعموم النص فى قوله تعالى: ﴿**خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها** ..﴾ سورة التوبة آية ١٠٣. كل ما يطلق عليه اسم مال «صدقة».

وقال: ﴿**وفى أموالهم حق للسائل والمحروم**﴾ سورة المعارج آية ٢٤ ,٢٥. فلم يفرق بين مال ومال. وكذلك قوله ـ ﷺ ـ «أدوا زكاة أموالكم» رواه الترمذى والطبرانى.

وقوله ـ ﷺ ـ لمعاذ حين بعثه إلى اليمن «أعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم» البخارى ومسلم. وقوله ـ ﷺ ـ «اتجروا فى مال اليتيم حتى لا تأكله الزكاة» رواه الترمذى.

وقال: «ما نقص مال من صدقة» رواه الترمذى وذلك لتعلقها بالأموال ذات النماء تحقيقاً أى بالفعل أو تقديراً أى بالتمكن من النماء.

متى تجب الزكاة؟

وإنما تجب الزكاة فى المال إذا بلغ نصاباً والنصاب فى الزكاة هو حد الاعفاء وهو ما عبر عنه الفقهاء بأنه هو الذى دونه عفو لا يتحقق به يسار فأمر الزكاة أنها لا تجب إلا من العفو أى مازاد عن الحاجة وبلغ النصاب لقوله تعالى: ﴿**خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين**﴾ سورة الأعراف آية ١٩٩.

وقوله سبحانه: ﴿**ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو**﴾ سورة البقرة آية ٢١٩.

والعفو هنا هو مازاد عن الحاجة وقول الرسول ـ ﷺ ـ «لا صدقة إلا عن ظهر غنى» رواه البخارى وعليه فإن نصاب الزكاة فى نظر الشارع هو الحد الأدنى للغنى الموجب للزكاة. فمن ملك النصاب أى قدراً معيناً من المال زائداً عن الحاجة أو الكفاية تجب عليه الزكاة.

وإلا كان ممن يستحقها بقدر ما يفى حاجته أى كفايته بمعنى المستوى اللائق به.

وقد ورد فى السنة أن نصاب الزكاة أدناه فى الإبل خمسة وفى البقر ثلاثون وفى الغنم أربعون وفى الذهب عشرون مثقالاً «أى عشرون ديناراً ذهبية» تزن ٨٥ جراماً من الذهب باعتبار المثقال أو الدينار الذهبى ٤,٢٥ جراماً أو خمسة أواق من الفضة أى «مائتا درهم نقوداً فضية أو خمسة أوسق أى خمسون كيلة مصرية أو نحو ٦٥٠ كجم من الحبوب والثمار والحاصلات الزراعية.

الركاز

ويأتى بعد ذلك الحديث عن الركاز ومقدار الزكاة فيه وقد بينه - ﷺ - «فى الركاز الخمس» و«يطلق» والركاز يعم المعدن والكنز لأنه من باب ضرب مراداً به المركوز فى الأرض أعم من أن يكون كنزاً من المال ثبته الإنسان فى الأرض أو هو فيها منذ خلقها الله عز وجل.

وأما كلمة «معدن» فإنها مأخوذة من «العَدْن» بمعنى الإقامة يقال عدن بالمكان أقام به وذكر ابن قدامة تعريفاً دقيقاً للمعدن وهو أنه كل ما خرج من الأرض مما يخلق فيها احترازاً من الكنز الذى يصنعه البشر فيها وقوله من غيرها احترازاً من الطين والتراب لأنه من الأرض وقوله مما له قيمة ليمكن أن يكون مالاً كالذهب والفضة وغيرهما من المعادن الجامدة وكذا المعادن الجارية كالقار والنفط ونحو ذلك.

فالمركوز فى الأرض من الذهب والفضة والآنية من الفضة والنحاس الخمس للحديث المتقدم وهو ما رواه الجماعة عنه - ﷺ - «فى الركاز الخمس».

وظاهر الحديث عدم اعتبار النصاب وأن الخمس فيما وجد قليلاً أو كثيراً خلافاً للشافعية كما لا يشترط مروراً لحول بل يجب إخراج الخمس فى الحال.

ولم يحدد الحديث مصرف الزكاة فذهب الشافعى وأحمد فى رواية عنه أن مصرفه يصرف الزكاة.. وقال أبو حنيفة وأحمد ومالك فى رواية عنه والجمهور قالوا مصرفه مصرف الفىء. قال فى المغنى: بناء على ما روى عن عمر - رضى الله عنه - وأنه أخذ من الكنز الخمس قال ولو كانت زكاة لخص بها أهلها حين قدمت إليه دنانير من رجل وجد مائتى دينار مدفونة خارج المدينة ودفعها إليه وقسمها على من حضر من المسلمين. فقه الزكاة جـ ١ ص ٤٣٦.

ويرى الشافعية صرف الخمس كالزكاة لما رواه أحمد والبيهقى فى أربعة آلاف درهم سقطت على رجل من دير قديم إذ قال لمن جاء بها اقسمها خمسة أخماس فأخذ على منها خمساً فلما أدبرت دعانى فقال فى جيرانك فقراء ومساكين قلت نعم قال فخذها فاقسمها بينهم.

وأما المعادن وحق الفقراء فيها فقد اختلف الفقهاء فيها فذهب أحمد أن كل ما خرج من الأرض مما يخلق فيها من غيرها مما له قيمة سواء كان جامداً كالحديد ونحوه أو من المعادن الجارية كالنفط والقار فيه الخمس وهو الراجح الذى تؤيده النصوص. وإن كان أبو حنيفةوأصحابه يلحقون ما يقبل الطرق والسحب بالذهب والفضة ووجوب الزكاة فيهما بالنص والإجماع قياساً عليهما.

واستدل صاحب المغنى لمذهبه بعموم قوله تعالى: «ومما أخرجنا لكم من الأرض» ولأنه معدن فتعلقت الزكاة بالخارج منه كالأثمان - الذهب والفضة ولأنه مال وجب عليه خمسه.

المال المستفاد

ومن استفاد حالاً مما يعتبر فيه الحول ولا مال له سواه وبلغ نصاباً أو كان له من جنسه ما يكمله انعقد عليه حول الزكاة من حينئذ فإذا تم حوله وجبت الزكاة

فيه.

وإن كان عنده نصاب وكان المال المستفاد من نمائه كربح التجارة وإنتاج الحيوان تبع الأصل فى حوله وزكاته وإن لم يكن متولداً عنه وكان من جنسه بأن استفاده من هبة أو ميراث أو شراء فقال أبو حنيفة يضم للنصاب ويكون تابعاً له. وإن كان المستفاد نصاباً استقبل بالمستفاد حولاً عند الشافعى وأحمد ويرى مالك رأى أبى حنيفة فى الحيوان ورأى الشافعى وأحمد فى النقدين، وإن كان من غير جنس ما عنده فهذا لا يضم إلى ما عنده بل إن كان نصاباً زكى وإلا فلا - فقه السنة ج ١ ص ٣١٤ - مطابع المدينة المنورة.

الأعيان المستغلة

وفى زكاة العمارات والمصانع وسائر الأعيان المستغلة كالسيارات والطائرات ونحوها فللفقهاء فيها رأيان:

أولهما: مع التسليم بأن الزكاة فى عائد استغلالها أنها تعامل كعروض التجارة متى بلغ العائد نصاباً وحال عليه الحول أى ٢,٥٪.

وإخراج الزكاة من غلتها هو رأى الإمام أحمد وبعض المالكية فى شرح الرسالة وهو مذهب جماعة من الصحابة والتابعين كابن عباس وابن مسعود ومعاوية كما روى عن عمر بن عبد العزيز والحسن البصرى والزهرى ومكحول والأوزاعى وحجتهم حديث «فى الرقة ربع العشر».

والرأى الثانى: هو أن الزكاة التى تؤخذ غلتها مقدارها العشر ونصف العشر قياساً على الأرض الزراعية وإليه ذهب من فقهائنا المعاصرين الأساتذة أبو زهرة وعبد الوهاب خلاف وعبد الرحمن حسن رحمهم الله فى محاضراتهم بدمشق سنة ١٩٥٢عن الزكاة على أن تؤخذ من صافى الغلة بعد التكاليف، والنفقات والديون وإعفاء الحد الأدنى للمعيشة بالنسبة للمالك وعياله.

زكاة الدين

وأما الدين فيزكى إن كان عيناً من قرض أو عروض تجارة لمحتكر بعد قبضه من المدين إذا كان المقبوض عيناً فإن كان عروض تجارة أخرج زكاته عند بيعه كما تجب إذا كان المقبوض نصاباً ويزكى عن عام واحد فور استلامه وقال الحنفية إذا كان قويا وهو دين القرض وعروض التجارة فإنه تجب زكاته عن كل ما يقبض منه إذا بلغ أربعين درهماً ويعتبر حولان الحول من وقت ملك النصاب لا من وقت القبض أما الدين المتوسط فلا تجب فيه إلا إذا كان نصاباً أو حال عليه الحول من وقت ملك النصاب. أما الضعيف فلا زكاة فيه إلا بقبض نصاب منه وبشرط أن يحول عليه الحول من وقت القبض. وهذا كله إذا لم يكن عنده مال يبلغ نصاباً سوى مال الدين وإلا ضم إلى ما عنده وأخرج الزكاة عند الجميع كان الدين قوياً أو متوسطاً أو ضعيفاً وقال الحنابلة إذا كان الدين ثابتاً فى ذمة المدين تجب زكاته ولو كان المدين مفلساً عند قبضه منه فيجب إخراج زكاته فوراً إذا بلغ ما أخذه نصاباً بنفسه أو بضمه إلى ما عنده من مال. وعند الشافعية تجب زكاة الدين إذا كان ثابتاً وكان من نوع الدراهم أو الدنانير أو عروض التجارة سواء كان حالاً أو مؤجلاً ولا يجب إخراج زكاة الدين على الدائن إلا عند التمكن من أخذ دينه فيجب حينئذ إخراجها عن الأعوام الماضية. أما الأوراق المالية من البنكنوت فإنها تقوم مقام الذهب فى التعامل فيجب فيها الزكاة متى بلغت قيمتها نصاباً. وعند الشافعية لا تجب زكاة هذه الأوراق إلا إذا قبض قيمته ذهباً أو فضة ومضى على هذه القيمة حول كامل. «الفقه على المذاهب الأربعة بتصرف».

زكاة الحُلى

وأما الحلى فقال الحنفية الزكاة واجبة فى الحلى سواء كان للرجال أو النساء، تبراً كان أو سبيكة أو آنية أو غيرها، ويعتبر فى زكاته الوزن لا القيمة.

وقال الحنابلة لا زكاة فى الحلى المباح المعد للاستعمال أو الإعارة لمن يباح له استعماله وإلا وجبت زكاته إذا بلغ نصاباً من جهة الوزن فإذا بلغ النصاب من جهة القيمة دون الوزن فلا تجب الزكاة أما الحلى المحرم فتجب زكاته متى بلغ نصاباً وزناً.

« وقال الشافعى : لا تجب الزكاة فى الحلى المباح الذى حال عليه الحول مع مالكه العالم به » ، أما الحلى المحرم كالذهب للرجل وكذا حلى المرأة إذا كان فيه إسراف كخلخال إذا بلغ مائتى مثقال فإنه تجب فيه الزكاة كما تجب فى آنية الذهب والفضة ويعتبر فى زكاة الحلى الوزن دون القيمة « الفقه على المذاهب الأربعة » ويرى المالكية أنه لا زكاة فى الحلى المباح كالسوار للمرأة وقبضة السيف والأنف والسن للرجل إلا فى الأحوال الآتية :

١ - أن يتكسر بحيث لا يُرجى عوده إلى ما كان عليه إلا بسبكه أو كان بحيث يمكن إصلاحه ولم ينو صاحبه إصلاحه أو يكون معداً لمن سيوجد للمالك من زوجة أو بنت.

٢ - أن يكون معداً لصداق من يريد أن يتزوجها أو يزوجها ولده.

٣ - أن يكون معداً للتجارة وأما المحرم كالأوانى فتجب فيه الزكاة والمعتبر فى زكاة الحلى الوزن لا القيمة. « الفقه على المذاهب الأربعة بتصرف » .

مصرف الزكاة

والمستحقون للزكاة هم بحسب ما ورد فى القرآن الكريم ثمانى فئات بقوله تعالى : ﴿**إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله**﴾ سورة التوبة آية ٦٠.

والمتأمل فى الآية يستشف منها أمرين : أولهما أن الآية حصرت المستحقين فى ثمانى فئات تجمعها صفة واحدة هى صفة الحاجة وفى مقدمتهم الفقراء والمساكين دلالة على أن الهدف الأول من الزكاة هو القضاء على الفقر والعوز حتى ان الرسول ﷺ خصهم بالذكر فى وصيته لمعاذ حين بعثه إلى اليمن قائلا : أعلمهم أن عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم ثم كانت الفئة الثالثة وهم العاملون عليها - أى الجهاز القائم عليها ـ دلالة على أن الزكاة ليست إحسانا موكولا إلى الفرد فحسب وإنما هى وظيفة من وظائف الدولة تتولى تحصيلها وتوزيعها كما تعطى منها رواتب العاملين فيها. كما أشارت الآية فى الفئات الأربع الأولى إلى أن الزكاة لهم يتصرفون فيها تصرف المالك فيما يملك وأما الأربع الأخيرة فإنها تصرف فى مصالح معينة لتحقيقها. فعبر فى الأولى بقوله للفقراء .. الخ وفى الثانية بقوله وفى الرقاب.. إلخ.

والمستحقون للزكاة هم الفقراء والمساكين وهم الذين لا يجدون كفايتهم ويقابلهم الأغنياء المكفيون ما يحتاجون إليه، والقدر الذى يصير به الإنسان غنيا هو قدر النصاب الزائد عن الحاجة الأصلية له ولأولاده من أكل وشرب وملبس ومسكن ودابة وآلة حرفة وغير ذلك مما لا غنى عنه. فكل من عدم هذا القدر فهو فقير يستحق من الزكاة. « والعاملون فى جمع الزكاة » ولو كانوا أغنياء ففى الحديث قال - ﷺ - : « لا تحل الصدقة لغنى إلا لخمسة لعامل عليها أو رجل اشتراها بحال - أو غارم فى سبيل الله أو مسكين تُصدّق عليه منها فأهدى منها لغنى. رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه والحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين « والمؤلفة قلوبهم » وقد قسمهم الفقهاء إلى قسمين مسلمين وكفار. فأما المسلمون فهم أربعة :

١ - قوم من ساداتهم وزعمائهم لمكانتهم فى قومهم كما أعطى أبو بكر عدى بن حاتم والزبرقان بن بدر مع حسن إسلامهما لمكانتهما فى قومهما.

٢ - زعماء ضعفاء الإيمان من المسلمين مطاعون فى قومهم يرجى باعطائهم تثبيتهم كمن أعطاهم رسول الله ﷺ من غنائم هوازن وهم بعد من الطلقاء من أهل

مكة وقد ثبت أكثرهم وحسن إسلامهم.

٣ - قوم من المسلمين فى الثغور وهم المرابطون كما ذكر صاحب المنار أن هؤلاء هم المرابطون الذين يدخلون فى سهم الغزاة فى سبيل الله. وأن أولى منهم فى زماننا قوم من المسلمين يتألفهم الكفار ليدخلوهم تحت حمايتهم أو فى دينهم.

٤ - قوم من المسلمين يحتاج إليهم لجباية الزكاة وأخذها ممن لا يعطيها إلاّ بقتال فتأليفهم أخف المصلحتين. وأما الكفار فهم قسمان:

١ - من يرجى بتأليفه إسلامه كصفوان بن أمية استعار منه النبى ﷺ سلاحه لما خرج لحنين كما شهد مع المسلمين القتال فى حنين قبل إسلامه. وكان - ﷺ - قد وهبه الأمان يوم فتح مكة وأمهله أربعة أشهر يختار فيها. وقد أعطاه - ﷺ - من الغنائم إبلاً كثيرة محملة فقال: هذا عطاء من لا يخشى الفقر والله لقد أعطانى النبى - ﷺ - وأنه لأبغض الناس إلىَّ ومازال يعطينى حتى إنه لأحب الناس إلىَّ.

٢ - من يخشى شره فيرجى بإعطائه أن يؤمن جانبه وكان ممن أعطاهم - ﷺ - أبو سفيان والأقرع ابن حابس، إلا أن عمر رضى الله عنه أسقط سهمهم وبه أخذ أبو حنيفة، وقال الشافعى لا تتألف كافرا وأما الفاسق فيعطى من سهم التأليف. «وفى الرقاب» ويشمل المكاتبين والأرقاء فيعانون ويشترى الأرقاء ويعتقون من مال الصدقة. يقول - ﷺ - «ثلاثة كلهم حق على الله عونه.. الغازى فى سبيل الله والمكاتب الذى يريد الأداء والناكح المتعفف» رواه أحمد والدارقطنى ورجاله ثقات. «والغارمون» وهم الذين تحملوا الديون وتعذر عليهم أداؤها وهم أقسام: فمنهم من تحمل حمالة أو ضمن ديناً فلزمه فأجحف بماله، أو استدان لحاجته للاستدانة، أو فى معصية تاب منها، ولا يشترط فى أخذ الزكاة فيها أن يكون عاجزا عن الوفاء بها، بل له الأخذ وإن كان فى ماله الوفاء «وفى سبيل الله» وهو الطريق الموصل إلى مرضاته من العلم والعمل. وجمهور العلماء على أن المراد به الغزو بحيث يعطى للمتطوعين. وفى تفسير المنار أنه يشمل سائر المصالح الشرعية العامة وأولاها بالتقديم الاستعداد للحرب ويدخل فى عمومه إنشاء المستشفيات عسكرية أو خيرية عامة وإشراع الطرق وتجهيزها.. ومن أهم ما ينفق فى سبيل الله فى زماننا إعداد الدعاة إلى الإسلام وإرسالهم إلى بلاد الكفار عن طريق جمعيات تمدهم بالمال الكافى كما يفعل غيرهم ويدخل فيه النفقة على المدارس والعلوم الشرعية وغيرها مما تقوم به المصلحة العامة ويعطى منها المعلمون لقاء عملهم الذى يقطعهم عن كسب عمل آخر ولا يعطى عالم غنى لأجل علمه وإن كان يفيد الناس به.

«وابن السبيل»: اتفق العلماء على أن المسافر المنقطع عن بلده يعطى من الصدقة ما يستعين به على تحقيق مقصده إذا لم يتيسر له شىء من ماله نظرا لفقره العارض. واشترطوا أن يكون سفره فى غير معصية، واختلفوا فى السفر المباح. والمختار عند الشافعية أنه يأخذ من الصدقة ولو كان السفر للتنزه والترويح عن النفس. والسفر المباح عندهم قسمان: من ينشىء سفراً من بلد مقيم به ولو كان وطنه، أو الغريب المسافر يجتاز بالبلد وكلاهما له الحق فى الأخذ من الزكاة ولو وجد من يقرضه كفايته وله ببلده ما يقضى به دينه، وعند مالك وأحمد ابن السبيل المستحق للزكاة يختص بالمجتاز دون المنشىء ولا يعطى من الزكاة من إذا وجد مقرضا يقرضه وكان له من المال ببلده ما يفى بقرضه. فإن لم يجد مقرضاً أو لم يكن له مال يقضى منه قرضه أعطى من الزكاة.

توزيع الزكاة

وتوزيع الزكاة على الأصناف الثمانية إن وجدوا وكان الموزع غير المزكى أو وكيله وإلا فعلى الموجودين منهم. وقال مالك يجتهد ويتحرى موضع الحاجة ويقدم الأولى فالأولى فيعطيها له وقال الأحناف

يضعها فى أى الأصناف شاء وهو مروى عن حذيفة وابن عباس وقول الحسن البصرى وعطاء بن رباح وقال أبو حنيفة وله صرفها إلى شخص واحد من أحد الأصناف.

قال ابن رشد والسبب معارضة اللفظ للمعنى، فإن اللفظ يقتضى القسمة بين جميعهم والمعنى يقتضى أن يؤثر بها أهل الحاجة إذ كان المقصود بها أهل الخلة فكان تعديدهم فى الآية عند هؤلاء إنما ورد لتميز الجنس، أعنى أهل الصدقات لإشراكهم فى الصدقة. فالأول أظهر من جهة اللفظ والثانى أظهر من جهة المعنى وحجة الشافعى ما رواه أبو داوود عن الصدائى أن رجلا سأل النبى ﷺ أن يعطيه من الصدقة فقال ـ ﷺ ـ: «**إن الله لم يرض أن يحكم نبى ولا غيره فى الصدقات حتى حكم فيها فجزأها ثمانية أجزاء فإن كنت من تلك الأجزاء أعطيتك منها**». ورأى الجمهور أرجح. قال فى الروضة الندية: أما صرف الزكاة كلها فى صنف واحد فهذا المقام خليق بتحقيق الكلام.

ولقد أجمع العلماء على أن الصدقة (الزكاة) لا تعطى للكفرة والملاحدة ففى الحديث تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم (يعنى المسلمين) ويستثنى من ذلك المؤلفة قلوبهم كما تقدم ويجوز أن يعطوا من صدقة التطوع قال تعالى: ﴿**ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً**﴾ سورة الإنسان: آية ٨. وفى الحديث قوله ـ ﷺ ـ لعائشة «صلى أمك وإن كانت مشركة». وبنو هاشم، والمراد بهم آل على، آل عقيل، آل جعفر، آل العباس، وآل الحارث وقد قال ـ ﷺ ـ: «**إن الصدقة لا تنبغى لآل محمد إنما هى أوساخ الناس**». رواه مسلم. وعن أبى هريرة قال: «أخذ الحسن تمرة من تمر الصدقة فقال النبى ـ ﷺ ـ: «**كخ كخ (ليطرحها) أما شعرت أنا لا نأكل الصدقة**» متفق عليه. وكما حرم الصدقة على بنى هاشم حرمها على مواليهم لقوله ـ ﷺ ـ: «**إن الصدقة لا تحل لنا وإن موالى القوم من أنفسهم**» رواه أحمد وأبو داوود والترمذى وقال حسن صحيح.

صدقة التطوع

وأما صدقة التطوع فقد حرمها ابن حزم والخطابى وبعض الشافعية والحنفية وعقب على ذلك ابن قدامة فى المغنى قائلا: وأما آل النبى ـ ﷺ ـ فقد قال أكثر الحنفية وهو الصحيح عند الشافعية والحنابلة وكثير من الزيدية أنها تجوز لهم صدقة التطوع دون الفرض لأن المحرم عليهم إنما هو أوساخ الناس وذلك هو الزكاة لا صدقة التطوع. قال فى البحر: إنما خصص صدقة التطوع بالقياس على الهبة والهدية والوقف ولما كانت العبادات فى الإسلام أقوى السبل لتوثيق العلاقة بالله عز وجل ومظهر الولاء للمنعم المتفضل على عباده بأنعمه التى لا تعد ولا تحصى وكان ذلك على مدار العام بدءا من اليوم بالصلوات الخمس التى تعد الإنسان لتلقى فيوضات الحق سبحانه بأن تضفى على المصلى من الطهارة الحسية والمعنوية وكانت الجمع والجماعات تقوية للروابط بين أبناء المجتمع وتأتى فريضة الزكاة طهرة للمرء من أقبح الرذائل وهى الأثرة والأنانية والبخل والشح كما هى طهرة للمال من اختلاطه بحق الفقراء وأضرابهم إذا منعوه وما يورثه من إثارة الأحقاد فى دخيلة الفقراء على الأغنياء وتمزيق عرى الألفة والمودة فيما بينهم وتأتى فريضة الصيام ترأب ما تصدع من حبال الود بين العبد وربه وما شاب علاقاته به من فتور وضعف والنبى الكريم ـ ﷺ ـ يقول: «**من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه ـ كما يقول ـ ورمضان إلى رمضان كفارة لما بينهما**». ذلك إلى واسع رحمته وسابغ مغفرته وجزيل مثوبته وإعداده بالكمالات التى بها ينعم بنظر الله إليه وفى أولها صفاء القلوب وطهارتها والجوارح وسلامتها واستقامتها والأبدان وعافيتها، الأمر الذى حقق الله به للإسلام أعظم الانتصارات فى بدر وفى مكة ومن ثم فقد كان الصيام بمثابة الجهاد الأكبر: فالمرء مادام قادراً فى ميدان الجهاد لنفسه

ومنتصراً فى هذا الميدان فهو جدير بأن يكون النصر حليفه فى جميع الميادين ولئن كان ما سقناه لوناً من الرياضة للفرد والمجتمع على مكارم الأخلاق فقد كان شهر الصيام الوعاء لما فيه خير الإنسانية فى حاضرها ومستقبلها، فى معاشها ومعادها. إنه الذى يضىء الطريق لها والدليل الذى يرشدها من ابتغى الهدى فى غيره ضل ومن رام العزة فى سواه شقى وذل. اختار له الحق سبحانه خير ليالى العام فى أفضل الليالى والأيام. وحق لمن وفقه الله لصيام هذا الشهر والقيام بحقوقه أن يكون سخى الكف بما أعطاه الله، رضى النفس بالبذل ابتغاء مرضاة الله فقد كان - ﷺ - أجود الناس وكان أجود ما يكون فى رمضان وشاء الحق سبحانه أن يعيش الصائمون فى نهايته تغمرهم فرحة التوفيق ويستقبلون أول يوم بعده بالاجتماع على صلاة جامعة فى عيد يهنىء بعضهم بعضا بأفضل ما يتمنى المسلم حيث الملائكة تصافحهم وتهنئهم بعد الصلاة بالمغفرة عن الله بقوله سبحانه: « **ارجعوا عبادى مغفورا لكم** » وقضى الحق أن ينعم فيه جميع المسلمين بما حرموا منه فى شهر رمضان وحرم عليهم صيامه.

زكاة الفطر

وفى هذا المقام يأبى الله إلا أن نذكر إخوة عضهم الفقر بأنيابه وربما عكر عليهم صفو هذا اليوم فذكّر بهم الصائمين وعلق صيامهم وثوابه على البر بهم فى صدقة يقدمها الصائمون من أنفسهم وعن جميع من يعولونهم صغاراً وكباراً. إنها زكاة الفطر التى قال - ﷺ - فيما رواه البخارى « فرض رسول الله - ﷺ - زكاة الفطر من رمضان صاعا من تمر أو صاعا من شعير على العبد والحر والذكر والأنثى والصغير والكبير من المسلمين ».

وكان ذلك فى شعبان من السنة الثانية من الهجرة طهرة للصائم وعونا للفقراء والمساكين كما روى أبو داوود وابن ماجه والدارقطنى عن ابن عباس قال: « فرض رسول الله - ﷺ - زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث وطعمة للمساكين من أداها قبل الصلاة فهى زكاة مقبولة ومن أداها بعد الصلاة فهى صدقة من الصدقات » والواجب إخراجها صاعاً من قمح أو شعير أو تمر ونحو ذلك مما يعتبر قوتاً. وجوز أبو حنيفة إخراج القيمة وقال إذا أخرج المزكى من القمح فإنه يخرج نصف صاع ويخرجها من يملك مقدار صاع يزيد على قوته وقوت عياله ومن تلزمه نفقته، وتجب بغروب شمس آخر يوم من رمضان وهو رأى الشافعى فى الجديد وقال أبو حنيفة والليث وإحدى الروايتين عن مالك أنها تجب بطلوع فجر يوم العيد. ويجوز تعجيلها عن وقت الوجوب بيوم أو يومين وعند الشافعى يجوز تقديمها من أول الشهر. وقد اتفق الأئمة على أنها لا تسقط بالتأخير بعد الوجوب، بل تصير دينا فى عنق من لزمته حتى تؤدى ولو فى آخر العمر ومصرفها مصرف الزكاة وأول الأصناف منهم الفقراء لقوله - ﷺ -: « **اغنوهم فى هذا اليوم وفى رواية البيهقى اغنوهم عن طواف هذا اليوم** » وأجاز الزهرى وأبو حنيفة ومحمد إعطاء الذمى من زكاة الفطر لقوله تعالى: ﴿**لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين**﴾ سورة الممتحنة آية ٨ وقد أجمع الفقهاء على جواز نقل الزكاة إلى من يستحقها من بلد إلى آخر إذا استغنى أهل بلد المزكى عنها. وقال الأحناف يكره نقلها إلا إلى قرابة محتاجين أو جماعة هم فى أمسٍ حاجة من أهل بلده أو كان نقلها أصلح للمسلمين أو إلى طالب علم أو كانت الزكاة معجلة قبل تمام الحول. فى هذه الصور جميعاً لا يكره النقل وقال الحنابلة يجب صرفها فى موضع الوجوب أو قربه إلى ما دون مسافة القصر وقال الشافعية يجوز النقل إذا افتقر المزكى من يستحقها فى موضع الوجوب.

وظيفة المال فى الإسلام

والإسلام ينظر إلى المال نظرة واقعية ويعتبره

عصب الحياة وقوام الأفراد والجماعات قال تعالى: ﴿**لا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياما**﴾ سورة النساء آية ٥ وهذا يقتضى أن يوزع توزيعاً عادلاً يكفل لكل فرد كفايته من الغذاء والكساء والمسكن وسائر الحاجات الأصلية التى لا غنى عنها حتى لا يبقى فرد مُضيّع ولا قوام له.

وأفضل وسيلة وأمثلها لتوزيع المال وللحصول على الكفاية وسيلة الزكاة. فهى فى الوقت الذى قد يضيق بها الغنى ترفع مستوى الفقير إلى حد الكفاية وتجنبه شظف العيش وألم الحرمان والزكاة ليست منة يهبها الغنى للفقير وإنما هى حق استودعه الله يد الغنى ليؤديه لأهله وليوزعه على مستحقيه، الأمر الذى يؤكد أن المال ليس وقفاً على الأغنياء دون غيرهم وإنما المال لجميع الأغنياء والفقراء على السواء.

يوضح هذا قوله تعالى فى حكمة تقسيم الفىء: ﴿**كى لا يكون دولة بين الأغنياء منكم**﴾ سورة الحشر آية ٧. أى أن هذا التقسيم لئلا يكون المال متداولاً بين الأغنياء، بل يجب توزيعه على الأغنياء والفقراء.

فى المال حق سوى الزكاة

والزكاة هى الحق الواجب فى المال متى قامت بحاجة الفقراء، فإن لم تكف ولم تقم بحاجة المحتاجين وجب فى المال حق آخر سوى الزكاة. وهذا الحق لا يتقيد ولا يتحدد إلا بالكفاية فيؤخذ من مال الأغنياء القدر الذى يقوم بكفاية الفقراء.

قال القرطبى فى قوله تعالى: ﴿**وآتى المال على حبه**﴾ استدل به من قال إن فى المال حقاً سوى الزكاة وبها كمال البر وقيل الزكاة المفروضة والأول أصح لما أخرجه الدارقطنى عن فاطمة بنت قيس قالت: قال رسول الله - ﷺ - «**إن فى المال حقاً سوى الزكاة**» ثم تلا ﴿ **ليس البر**﴾ البقرة آية ١٧٧. وما أخرجه ابن ماجه فى سننه والترمذى فى جامعه. والحديث وإن كان فيه مقال دل على صحته معنى ما فى هذه الآية نفسها من قوله تعالى ﴿**وإقام الصلاة وآتى الزكاة**﴾ فذكر الزكاة مع الصلاة وذلك دليل على أن المراد بقوله ﴿**وآتى المال على حبه**﴾ ليس الزكاة المفروضة فإن ذلك يكون تكراراً والله أعلم.

واتفق العلماء على أنه إذا نزلت بالمسلمين حاجة بعد أداء الزكاة فإنه يجب صرف المال إليها وقال مالك رحمه الله: يجب على الناس فداء أسراهم وإن استغرق ذلك أموالهم وهذا إجماع أيضاً وهو يقوى ما سبق «وفى تفسير المنار فى قوله: ﴿**وآتى المال**﴾ هذا الإيتاء غير إيتاء الزكاة الآتى فى الآية وهو ركن من أركان البر وواجب كالزكاة وذلك حيث تفرض الحاجة إلى البذل فى غير وقت أداء الزكاة أو قبل تمام الحول وهو لا يشترط فيه نصاباً معيناً بل هو على حسب الاستطاعة».

ومشروعية البذل للأصناف الواردة فى آية البر من مال الزكاة لا تتقيد بزمن ولا امتلاك نصاب محدود إنما هو أمر مطلق بالإحسان موكول على أريحية المعطى وحال المعطى. وروى أبو سعيد الخدرى أن رسول الله - ﷺ - قال: «**من كان عنده فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له ومن كان له فضل من زاد فليعد به على من لا زاد له» فذكر من أصناف المال ما ذكر حتى رأينا أنه لا حق لأحد منا فى فضل**».

والنصوص فى هذا الباب من القرآن والأحاديث الصحاح كثيرة جداً ولهذا قال عمر - رضى الله عنه -: «لو استقبلت من أمرى ما استدبرت لأخذت فلول أموال الأغنياء وقسمتها على فقراء المهاجرين».

ذلك فضلا عن دعوة الإسلام إلى البذل والحض عليه فى أسلوب يستهوى الأفئدة ويبعث فى النفس الأريحية ويثير فيها معانى الخير والبر والإحسان ونحن لو أكثرنا القول وسردنا النصوص التى تهدف إلى

تكريم الإنسان لتبين لنا ما فى الإسلام من رحمة وحنان وأنه سبق المذاهب الحديثة سبقاً بعيداً وإنها فى جانبه كالشمعة المضطربة أمام الضوء الباهر والشمس الهادية. فقه السنة/ج ١.

إن وظيفة الزكاة الأساسية ليست مجرد الإعالة العارضة أو المؤقتة وإنما تمكين المحتاج من الاكتفاء ومن إغناء نفسه لنفسه بحيث يكون له مصدر دخل ثابت يغنيه، فمن كان من أهل الاحتراف ولم يجد ما يشترى به الآلة اللازمة لحرفته أو كان من أهل التجارة ولا يجد رأس المال الذى يتاجر فيه ... إلخ. له أن يأخذ من صندوق الزكاة ما يحتاجه من مال بالقدر الذى يمكنه من مزاولة مهنته ويعود عليه بدخل يكفيه بل يتم كفايته وأسرته على الدوام وفى هذا المعنى يقول الإمام النووى: فإن كانت عادة الفقير الاحتراف أعطى ما يشترى به حرفته أو آلات حرفته قلت قيمة ذلك أو كثرت ويكون قدره بحيث يحصل له من ربحه ما يكفى بكفايته غالباً تقريباً. ويختلف ذلك باختلاف الحرف والأزمان والبلاد والأشخاص وإن كان من أهل الضياع «الزراعة» يعطى ما يشترى به صنعة أو حصة فى ضيعة تكفيه يسد بها على الدوام فإن لم يكن محترفاً ولا يحسن صنعة أصلاً ولا تجارة ولا شيئاً من أنواع الكسب أعطى كفاية العمر الغالب لأمثاله فى بلاده ولا يتقيد بكفاية سنه. ويعلق على ذلك الإمام شمس الدين الرملى فى شرحه المنهاج للإمام النووى: ليس المراد بإعطاء من لا يحسن الكسب إعطاءه نقداً يكفيه بقية عمره المعتاد بل إعطاؤه ثمن ما يكفيه طيلة عمره كأن يشترى له به عقاراً يستغله ويغتنى به عن الزكاة ليملكه ويورث عنه (الإسلام والضمان الاجتماعى ص١١).

كما جاء فى كتاب فقه الزكاة ما يأتى (وتستطيع الدولة المسلمة أن تنشىء من أموال الزكاة مصانع وعقارات ومؤسسات تجارية ونحوها وتملكها للفقراء كلها أو بعضها لتدر عليهم دخلاً يقوم بكفايتهم كاملة ولا تجعل الحق فى بيعها ونقل ملكيتها وتظل شبه موقوفة عليهم).

وقال الشيخ أبو زهرة فى بحثه المقدم للمؤتمر الثانى لمجمع البحوث سنة ١٩٦٥ م:

وإن من الصرف على الفقراء الصرف على المؤسسات الخيرية كمؤسسة طبية لمعالجة الفقراء أومؤسسة لتعليمهم أو مؤسسة لإيواء اليتامى والفقراء والشيوخ والعجزة وإذا كانت الدولة لا تجمع الزكاة فإنه يجوز إعطاؤها هذه الجماعات على أنها نائبة عن الفقراء الذين تعمل لهم. وقد نص رد المحتار حاشية ابن عابدين على ما ينفق فى علاج الفقراء والمساكين وتعليمهم هو إنفاق عليهم وإعطاء لهم.

وبعد فهذه عجالة فى الزكاة ضمت الكثير من المسائل التى يهم المسلم معرفة الحكم فيها خاصة فى بعض الأموال التى لم يرد فيها نص وكذا الخدمات المتنوعة التى تقوم بها المؤسسات وتقدمها للفقراء والمحتاجين انطلاقاً من مبدأ المساواة فى النشأة والمعاش وفى الحقوق والواجبات سواء منها ما يتعلق بالله وحق العبودية له بأن يطاع فلا يعصى ويذكر فلا ينسى ويشكر فلا يكفر بحقه فى العيش آمناً على دينه ونفسه وماله وعرضه وعقله أو فى الحياة وعمارتها وإثراء الخير فى ربوعها.

وإنا لنضرع إلى الله أن يلهم الجميع الرشد وينزعوا إلى مرضاة الله بإقامة نظام اجتماعى معتمدا على تطبيقها حتى لا يطغى فى ظلاله الأغنياء ولا يظلم بتجاهله الفقراء وليتخذوا به الدرع القوى لدفع الغارات المدمرة التى إن انتصرت لم تبق بناء خلقيا إلا قوضته ولا مجتمعاً متماسك البناء إلا مزقته ألا أنه لا ملجأ ولا منجى من الله إلا إليه.

وعلى الله قصد السبيل - وصلى الله على سيدنا محمد ﷺ.

الدعـوة والـدعـاة

- من أحـداث شـهـر رمـضـان المبـارك
- غـــزوة بـدر الـكـبــرى
- التحـدى السـيـاسى فى العـالم الإسـلامى

من أحداث شهر رمضان الكريم

د/ أحمد شلبى

فى رمضان من العام الماضى سجلت لقارىء منبر الإسلام مجموعة من الأحداث التى وقعت فى رمضان عبر التاريخ، وابتدأت بما تعوّد المسلمون أن يفعلوه بمناسبة رؤية الهلال وبدء الشهر المبارك، وسرت بعد ذلك أسرد الأحداث التى وقعت فى الأيام الأولى لرمضان حتى وصلت للحديث عن أحداث العاشر من رمضان وانتصارات المسلمين على إسرائيل فى ذلك اليوم الأغر.

وفى هذا العام نقدم بعض أحداث غير تلك التى أوردناها فى العام الماضى، ونختار لذلك وقفةً لصلاح الدين الأيوبى - غفر الله له وأثابه - فى رمضان سنة ٥٨٤ هـ، فبعد الجهود المضنية التى قام بها صلاح الدين الأيوبى فى موقعة حطين والتى قضى فيها على الجيش الصليبى، ثم استمر فى انتصاراته حتى حرر بيت المقدس.

نقول : إن رمضان دخل بعد ذلك، وأشار رجال صلاح الدين عليه أن يستريح خلال هذا الشهر مما لاقاه من جهد، وأن يتفرغ للعبادة ولكنه قال :

« إن العمر قصير، والأجل غير مأمون، والسماح للمغتصبين بالبقاء فى الأرض الإسلامية يوماً واحداً مع القدرة على استخلاص الأرض منهم عمل منكر لا أستطيع حمل مسئوليته أمام الله وأمام الناس » .

وواصل صلاح الدين نشاطه خلال رمضان، ففتح الله عليه وأسقط مجموعة من الحصون كان يعتصم بها المعتدون، فهدّ ذلك من كيانهم وأضعف همتهم، مما جعلهم يتجهون للأفول بعد ذلك.

وهكذا مع جهود صلاح الدين الواسعة حقق الله سبحانه وتعالى صورة من النجاح لهذا البطل فى هذا الشهر الكريم.

موقعة عين جالوت:

حدثت موقعة عين جالوت بين المغول والجيش المصرى فى ١٥ من رمضان سنة ٦٥٨ هـ، والحديث عن عين جالوت يستلزم أن نعود للوراء قليلاً قبل هذه الموقعة.

كان المغول قبائل همجية وحشية تتنقل فى الهضبة الآسيوية الشاسعة التى تمتد من أطراف الصين إلى أواسط آسيا باحثين عن الرزق والمراعى، ويبدو أن المراعى الحرة التى لا يملكها أحد لم تف بحاجتهم، فعمدوا إلى الاستيلاء على المراعى والمزارع المملوكة للآخرين، بل أخذوا يعتدون على أصحاب هذه المراعى ويسلبون أمتعتهم وممتلكاتهم، فقد كان العدوان والنهب طبيعة فيهم.

هذا مظهر من مظاهر حياة المغول فى حركاتهم الأولى، ومظهر آخر أنهم كانوا مدمرين، يأتون على كلٍ ما يقابلهم من مظاهر الحضارة، فقد كانوا يرون الحضارة وسيلة للقضاء عليهم، فأخذوا يهدمون المبانى ويحرقون الكتب ويقتلون المفكرين والعلماء.

وفى أوائل القرن الثالث عشر الميلادى استطاع «جنكيز خان» أحد زعماء هذه القبائل أن يكوّن منها وحدة أصبحت آنذاك خطراً على الحضارة الإنسانية، وقُدّر له النجاح فبسط نفوذه على بلاد خوارزم وبلاد ما وراء النهر، وعلى خراسان، وأجزاء من بلاد فارس والصين والهند، وعلى جزء كبير من أراضى روسيا الجنوبية، وتوفى «جنكيز خان» سنة ٦٢٤هـ بعد أن سيطر على أرض تمتد من البحر الأصفر إلى البحر الأسود، وكانت تضم بلادا وقبائل تنتمى إلى الصين والأفغان وإيران والترك.

واقتسم أولاد «جنكيز خان» هذا الملك الواسع واستطاع هذا الجيل أن يضيف لفتوحات المغول روسيا وبولندا والمجر، ووصل إلى أبواب «فيينّا»، وكانت الأرض الإسلامية حتى إيران نصيب «تولوى خان» ابن «جنكيز خان» ووالد «هولاكو»، وآلت السلطة على هذه المنطقة إلى هولاكو الذى زحف بجيوشه الجرارة حتى وصل بها إلى بغداد، وقبض على الخليفة وأباح العاصمة لرجاله مدة أربعة أيام، ثم الخليفة وأسرته، وزالت بذلك الخلافة العباسية من بغداد سنة ٦٥٦ هـ (١٢٥٨ م).

ومن بغداد زحف هولاكو إلى الشام فاحتل حلب وأعمل السيف فى خمسين ألفا من سكانها، ثم احتل حماة ودمشق، وعقب احتلال دمشق تقدم المغول بسرعة فاحتلوا نابلس ثم تقدموا إلى غزة، وأصبحوا بذلك بالقرب من حدود مصر، وأرسل «هولاكو» إلى «قطز» سلطان مصر رسالة قاسية جاء فيها:

«سمعتم أننا قد فتحنا البلاد، وقتلنا معظم العباد فعليكم بالهرب، وعلينا الطلب، ولكن أى أرض تأويكم؟ وأى بلاد تحميكم؟ خيولنا سوابق، وسيوفنا صواعق، وقلوبنا كالجبال، وعددنا كالرمال».

وتلقت مصر هذه الرسالة، وأحسّت بمسئوليتها تجاه الإسلام والمسلمين، واتفق السلطان «قطز» وقائد الجيوش «بيبرس» وكل القادة المصريين على قتل سفراء المغول الذين حملوا التهديد، وكان ذلك إيذانا بقيام الحرب.

ولم يقنع الجيش المصرى بموقف الدفاع من داخل الحصون، ذلك النظام الذى كان يلجأ له أمراء البلاد المختلفة التى هاجمها المغول، بل قرر المصريون الهجوم، فزحف بيبرس واقتحم غزة وقضى على حاميتها من جنود المغول، ثم زحف قطز بجزء آخر من الجيش ليتعاون مع بيبرس.

وجاءت بعد ذلك موقعة (عين جالوت) ومكانها بين بيسان ونابلس، وهى معركة من أخطر معارك التاريخ فقد اتجه لها «كيتو بوقا» مزمجراً عندما وصلته الأنباء عن اندحار جيشه فى غزة، واتجه لها كذلك الجيش المصرى اللجب، وكان اللقاء فى يوم ١٥ رمضان سنة ٦٥٨ هـ، وقد أعد «قطز» خطته للمعركة إعدادا عبقريا، فقدّم بعض جيشه بقيادة بيبرس، وعندما حميت المعمعة برز «قطز» من مكمنه فأحاط بجيش المغول، وكانت معركة هائلة بدأت من الفجر، وظلت حتى منتصف النهار ويقال: إن «قطز» أحسّ باضطراب فى جيشه والمعركة تدور، فخلع خوذته استعدادا للموت وألقاها على الأرض وصرخ: «وا إسلاماه» واندفع يضرب فى استماتة وقوة حتى هُزِم المغول هزيمة كاملة، وسقط الجيش المغولى كله بين قتيل وأسير وجريح، ولما اتضح النصر للمصريين عرض بعض المغول على قائدهم أن يهرب بحياته ولكنه رفض، وظل يصارع حتى سقط جواده فأخذ أسيرا، وعندما وقف بين يدى «قطز» أطلق لسانه بكلمات قذف وتهديد، فصدر الأمر بالقضاء عليه.

بعد عين جالوت:

وبعد عين جالوت أوقع المصريون بالمغول هزيمة أخرى فى «قيسارية» بآسيا الصغرى.

وأدرك المغول صعوبة انتصارهم على مصر، فعقدوا مع سلاطين مصر صلحاً سنة ٧٢٢ هـ (١٣٢٢م) وكان المغول يعللون هزائمهم أمام المصريين بأن المصريين لديهم سيف الرسول ﷺ، ومن يضرب بهذا السيف لا تعرفه الهزيمة.

•••

ونلتقى بعد هذه الموقعة التاريخية العظيمة مع موضوع يشدّ كل العلماء والباحثين فى هذا الشهر المبارك وهو موضوع «القرآن الكريم». فنأخذ من هذا الموضوع الفسيح المعجز معلومات مهمة عن القرآن الكريم.

للقرآن الكريم امتيازات على كل كتاب وأبرز هذه الامتيازات هى:

أولاً: أن القرآن الكريم نزل من عند الله بلفظه ومعناه، وكانت الكتب السماوية المقدسة قبل ذلك تنزل بالمعنى، وكان الأنبياء يصوغون هذه الأفكار بأساليبهم.

ثانياً: القرآن الكريم سُجلَ آية آية عقب نزوله وكان التسجيل أولاً بواسطة الرسول ﷺ الذى كان يحفظ القرآن عقب تلقيه، ثم ثانيا بواسطة الحفظة الذين كانوا يحفظون القرآن عن ظهر قلب عندما يتلقونه من الرسول ﷺ، ثم يُسجل بواسطة كتبة الوحى الذين كانوا يدونون ماينزل من القرآن عقب نزوله.

ثالثاً: القرآن الكريم حفظه الله من التحريف والنقص والزيادة، قال تعالى: ﴿**إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون**﴾ (سورة الحجر الآية التاسعة) وقال: ﴿**وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد**﴾ (سورة فصلت الآيتان ٤١ - ٤٢).

وقد نزل القرآن الكريم على الرسول ﷺ منذ بدء البعثة إلى قبيل وفاته، فاستغرق نزوله اثنتين وعشرين سنة وثلاثة شهور تقريبا.

وقد ابتدأ القرآن الكريم بالآيات الكريمة من سورة العلق ﴿**اقرأ باسم ربك الذى خلق. خلق الإنسان من علق. اقرأ وربك الأكرم. الذى علّم بالقلم. علم الإنسان ما لم يعلم**﴾ (سورة العلق الآيات ١ - ٥).

وخُتم القرآن الكريم بالآية الكريمة: ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا**﴾ (سورة المائدة الآية الثالثة) ونزل القرآن كله بين ذلك الافتتاح وتلك الخاتمة.

ومما سبق يتضح أن بعض القرآن نزل فى مكة والبعض الآخر نزل فى المدينة، وهناك ملامح خاصة لما نزل هنا، ومانزل هناك نبرزها فيما يلى:

أولاً: ما نزل فى مكة من القرآن الكريم يُقدّر بنحو ثلثيه، ويسمى المكى، وما نزل فى المدينة يُقدّر بنحو الثلث ويسمى المدنى، والسور التى نزلت بالمدينة هى: البقرة - آل عمران - النساء - المائدة - الأنفال - التوبة - الحج - النور - الأحزاب - الفتح - الحجرات - الحديد - المجادلة - الحشر - الممتحنة - الصف - الجمعة - المنافقون - التغابن - الطلاق - التحريم.

أما باقى سور القرآن الكريم فقد نزلت بمكة، مع ملاحظة أن بعض آيات القرآن نزلت فى أمكنة أخرى غير مكة والمدينة، كالآية رقم ٢٨١ من سورة البقرة وأولها: ﴿**واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله**﴾ فقد نزلت بمنى فى حجة الوداع، والآية رقم ٣ بسورة المائدة وأولها: ﴿**حرمت عليكم الميتة**﴾ فقد نزلت فى عرفات.

ثانياً: آيات السور المكية قصار فى الجملة، وآيات السور المدنية طوال فى الجملة فجزء «قد سمع» كله مدنى وعدد آياته ١٢٧ آية وجزء «تبارك» مكى وعدد آياته ٤٢١.

ثالثاً: خطاب الجماهير فى السور المكية يغلب أن يكون بقوله تعالى: ﴿**ياأيها الناس**﴾ لأن الله تعالى

قصد أن يخاطب الناس جميعا ليدعوهم لدخول الدين الجديد، أما فى السور المدنية فيغلب أن يكون الخطاب بقوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ لأن كثيرا من آيات القرآن التى نزلت بالمدينة كانت للتشريع، والتشريع الإسلامى من زواج وميراث وحدود وغيرها خاص بالمسلمين فاتجه الخطاب لهم.

رابعاً: إذا تتبعنا الآيات المكية نلاحظ أنها تكاد تخلو من الحديث عن التشريع فى المسائل المدنية والأحوال الشخصية والجنائية، وإنما تقتصر على أصول الشريعة والدعوة إلى هذه الأصول كالإيمان بالله ورسوله واليوم الآخر، والأمر بمكارم الأخلاق كالعدل والإحسان، والأمر بالمعروف، وتجنب مساوىء الأخلاق كالقتل، ووأد البنات، والتطفيف فى الكيل والميزان، بل إن ما شُرِع فى مكة من عبادات كالصلاة والصوم والزكاة، لم يكن على التفصيل والبيان الذى عرف بالمدينة.

وآيات القرآن الكريم وهى حوالى ٦٠٠٠ (هناك خلاف قليل فى عدد آيات بعض السور) منها ٣٣٠ آية تقريبا للتشريع موزعة على النحو الآتى تقريباً:

١٤٠ آية فى العبادات، ٧٠ الأحوال الشخصية، ٧٠ المجموعة المدنية، ٣٠ العقوبات والجنايات، ٢٠ القضاء والشهود.

تدوين القرآن الكريم فى عهد الرسول ﷺ:

كان إذا ما انتهى الوحى أخذ الرسول ﷺ يقرأ لأصحابه ما نزل عليه وأملاه على كتّاب الوحى الذين تخصصوا فى الكتابة له، ومن هؤلاء: عثمان بن عفان، وعلىّ بن أبى طالب، وزيد بن ثابت، وغيرهم.

وكان هؤلاء يكتبون القرآن على الجلد أو العظام أو الحجارة الرقيقة، وكانوا يكتبون نسخة تحفظ عند رسول الله ﷺ، ونسخاً أخرى تبقى معهم يقرأون منها ويعلمون الناس.

الحفــاظ:

ولكن الحرص على القرآن فى صدر الإسلام اعتمد أكبر اعتماد على ذاكرة الحفظ التى كانت قوية عند العرب، وكان الرسول ﷺ يحفظ ما ينزل عليه عن ظهر قلب، كما كان الصحابة أيضا يفعلون ذلك، وبخاصة الطبقة التى أُطلق عليها لقب الحفاظ مثل: زيد بن ثابت، ومعاذ بن جبل، وعبد الله بن مسعود، وغيرهم.

جمع القرآن وتدوينه:

توفى الرسول والقرآن على الوصف الذى ذكرناه، ففكَّر الخلفاء بأن يقوموا بجمعه فى مصحف واحد، وكان ذلك فى عهد أبى بكر إذ قُتل عدد كبير من الحفاظ فى حروب الردّة والمتنبئين، فذهب عمر إلى أبى بكر وقال له: «لقد مات عدد كبير من الحفاظ والقراء، وأخشى أن يموت آخرون فيذهبوا بما فى صدورهم من القرآن، فتردَّد أبو بكر ثم وافق».

وأسند أبو بكر القيام بذلك العبء إلى زيد بن ثابت، فاستحضر زيد ما كُتِبَ من القرآن وكتب ما لم يجده مكتوبا، ورتّب هذه الصحف، وكوّن منها مصحفاً واحدا مرتبا متتاليا، وظلت الصحف عند أبى بكر حتى مات، ثم عند عمر طيلة حياته، ثم عند حفصة بنت عمر وبهذا العمل تأكدت دقة القرآن ووحدته.

فلما جاء عهد عثمان بدأ يلحظ شيئا من الاختلاف فى بعض أحرف القرآن تبعاً لاختلاف اللهجات، وخشى عثمان أن تتسع الهوّة، وحذّره حذيفة بن اليمان من اختلاف المسلمين على نحو ما اختلفت اليهود والنصارى فى كتبهم، ولهذا جمع عثمان مع زيد بن ثابت عبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث وطلب النسخة من حفصة فكتب منها هؤلاء الصحابة نُسخاً أرسلت إلى مكة والمدينة والكوفة والبصرة ودمشق واحتفظ عثمان لنفسه بنسخة وكان ذلك سنة ٢٥ هجرية ويعتبر ذلك بمثابة نشرٍ للمخطوط الذى كتب فى عهد أبى بكر.

غزوة بدر الكبرى

الرؤية الخالدة لاستقبال شهر رمضان المعظم

دكتور إبراهيم أحمد العدوى

يقرر القرآن الكريم مكانة غزوة بدر فى حياة الإسلام والمسلمين بأنها «يوم الفرقان»، الذى دارت وقائعه فى ظل رعاية الله سبحانه وتعالى فى صبيحة يوم الجمعة السابع عشر من شهر رمضان المعظم من السنة الثانية للهجرة (١٦ مارس سنة ٦٣٤ م)، وهو الشهر الذى اصطفاه الله سبحانه وتعالى بالتكريم من بين الأشهر العربية القمرية لينزل فيه القرآن المبين، ليكون هدى للناس بآياته، وبينات من الهدى بشرع الله وسنته، وفرقانا بين الكفر والإيمان ببرهان الله وحجته، وذلك فى قوله تعالى: ﴿شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس، وبينات من الهدى والفرقان، فمن شهد منكم الشهر فليصمه﴾. (البقرة: ١٨٥).

وجاء الارتباط بين غزوة بدر وشهر رمضان المعظم سبيلا أتاح لها أن تنعم بالفضل الذى جعله الله سبحانه وتعالى الشهر المصطفى بنزول أول آيات القرآن الكريم فيه. فمن أجل هذا الفضل اختاره الله عندما فرض على عباده الصوم، قبل غزوة بدر، ليكون هو الشهر المبارك بهذه العبادة، وما تحمله من حكمة بالغة الأثر فى بناء المسلم، وأداء رسالة الإسلام التى تدعو لإخراج الناس بإذن ربهم من الظلمات إلى النور.

وجاء الصوم كما فرضه الله على المسلمين بصورته فى شهر رمضان إعدادا مثاليا لأداء المسلم لدوره المجيد الذى نهض به فى غزوة بدر، ودرسا يحتذى فى حياته خالفا عن سالف. فصوم رمضان، كما فرضه الله على المؤمنين هو حرمان يتحول بصدق الإيمان إلى زيادة، وانتصار على الضعف باتجاه يتحول به إعلاء سيادة الإيمان على وجهة الحياة، وغايات الحياة، إلى أقوى القوة، ومن ثم لتوجيه هذه القوة النفسية والتطهرية، والعقلية، والإرادية، بالصوم، إلى مواقف انتصار متجدد فى طاعة الله، وفى الأسوة الحسنة للمؤمنين. فالصوم يربى ضبط النفس، وينمى روح الصبر، ويعلى الإرادة، وهذه هى أدوات الجهاد النفسية، فإن عدة الجهاد هو الصبر.

وصارت غزوة بدر بوقوعها فى شهر رمضان المعظم سبيلا لدوام تذكير المؤمنين مع دوام هذا الصوم بهذه الآية الكبرى لله فى تاريخ المسلمين، وهى أول انتصار لهم على المشركين، وأنها غزوة صارت جديرة بأن تكون، كما سماها القرآن الكريم «يوم الفرقان»، حيث تم فيه إعلاء كلمة المسلمين أصحاب الإيمان بالله، وخذلان المشركين الغارقين فى دروب الجهالة والظلمات. فأصبح «يوم الفرقان» تأكيدا لسيادة الدولة الإسلامية التى أقامها الرسول الكريم فى المدينة المنورة عقب هجرته إليها، وأن هذه الدولة الفتية أخذت تمارس رسالتها السامية فى سبيل نشر الإسلام، والقضاء على تيار المعارضة الوثنية التى كانت قريش فى مكة ترفع لواءها عن عصبية وجهالة عمياء.

وكانت أولى أعمال الدولة الإسلامية التى أدت إلى «يوم الفرقان» هو شن حرب اقتصادية على قريش، وذلك بالترصد لقوافلها الذاهبة إلى الشام فى رحلات الصيف، حيث كان يقود إحدى تلك القوافل، زعيم مكة نفسه، وهو أبو سفيان بن حرب وكانت عدة تلك القافلة وحمولتها تبلغ ألف بعير، ويتولى حراستها نفر كبير من الحراس، حيث اشتمل رأسمالها على مساهمات أهل مكة كلهم، كبيرهم وصغيرهم، غنيهم وفقيرهم، رجالهم ونسائهم، بحيث صارت أية ضربة لتلك القافلة أمرا خطيرا يصيب كل فرد فى مكة، ويشعرهم بالقوة الإسلامية، ودولتها الجديدة فى المدينة المنورة، وأن تلك الدولة الفتية غدت قادرة على ردع المعتدين الباغين بالإسلام وأهله.

وحين تحين الرسول الكريم موعد عودة قافلة قريش، تحت قيادة أبى سفيان، أرسل طلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد لترصد أخبارها، فنزلا فى خباء بالروحاء التى تبعد عن المدينة بنحو ثلاثين ميلا، وعندما لاحت لهما أخبار العير أسرعا إلى المدينة ليخبرا المسلمين بقدوم القافلة. ولكن الرسول الكريم كان قد غادر المدينة على رأس قوة من المهاجرين والأنصار، إذ كان قدر أن تكون القافلة قد بلغت الروحاء، وندب الرسول الكريم المسلمين إلى الخروج لاعتراض العير، وهو لم يبيت نية على قتال، وكانت دعوته المسلمين حين ذلك للخروج بقوله لهم: «هذه عير قريش فيها أموالهم فاخرجوا إليها لعل الله أن ينفلكموها».

وكان الهدف من الاستيلاء على القافلة هو قطع طريق القوافل بين مكة والشام، كى يمكن للمسلمين القضاء على قوة مكة الاقتصادية، التى كانت أول الأسباب فى طغيانها وجحود أهلها، مما قد يرغمها على التفاهم مع المسلمين. وكان أبو سفيان بدوره، حين اقترب من الروحاء قد شعر أن عيوناً تترصده، فاستأجر «ضمضم بن عمرو الغفارى، وبعث به إلى مكة يستصرخ أهلها لمناصرة العير، فلما بلغ بطن الوادى قطع أذن بعيره وجدع أنفه، وحول رحله، ووقف وهو عليه وقد شق قميصه، وأخذ يصيح: «يا معشر قريش: اللطيمة، اللطيمة (أى المال والتجارة)، أموالكم مع أبى سفيان قد عرض لها محمد فى أصحابه... الغوث، الغوث».

وانتهز أبو جهل، عدو الإسلام الألد، هذه الفرصة، فمضى يخطب فى جموع قريش التى احتشدت عند الكعبة حتى يخرجوا لإنقاذ القافلة. ودعت قريش كل قادر على القتال إلى الخروج، ومن كان له عذر فى التخلف عليه أن يبعث برجل بدله. وخرج المشركون من مكة فى ألف رجل تقريبا، يقودون مائة فرس وسبعمائة من الإبل، وعلى رأسهم أبو جهل، ومضى الجيش على طريق القوافل متجها إلى الشمال لإنقاذ القافلة، وقد ضم صناديد قريش وخير مقاتليها وفرسانها، وتزود بكل ما أمكن وقتئذ من سلاح

ودروع ومؤن، وقد زين لهم الشيطان أن لا غالب لهم وأن النصر حليفهم.

وكان المسلمون، من المهاجرين والأنصار، قد غادروا المدينة تحت قيادة الرسول الكريم، فى اتجاه القوافل بين مكة والشام. ولم يكن مع المسلمين من الخيل إلا فرسان، وسبعون بعيرا يعتقبونها، وكان جيشهم يتألف من نيف وثلثمائة مسلم مؤمن. وذلك على حين استطاع أبو سفيان أن يغير طريق سير القافلة، وأن يصل مكة دون أن يعلم بذلك أهلها الذين وصلت جحافلهم إذ ذاك عند «بدر»، ونزلوا بالعدوة القصوى منها، وهى كثيب من الرمل المرتفع. وكان المسلمون قد بلغوا بدورهم «بدر» ونزلوا بالعدوة الدنيا منها.

وأصبح الموقف بعد هذه الأحداث يتلخص فى أن يلتقى الطرفان دون القافلة. ولم يكن يخطر على بال المسلمين أنهم وهم على تلك الحال التى خرجوا فيها على غير أهمية واستعداد على اضطرار لقتال جيش جرار، جمع كل بطون قريش، وقد زود بكل ما تحتاج إليه الجيوش فى ذلك الحين من مؤن وسلاح. واستشار الرسول الكريم أصحابه، ليتعرف على حال جنده مهاجرين وأنصارا. واستيقن الرسول الكريم من عزم المهاجرين على القتال، دون أن يهابوا الموقف، وبقى أن يطمئن إلى رأى الأنصار، حيث قال: «أشيروا علىَّ أيها الناس»، يريد بهم الأنصار.

وقال كبير الأنصار، وهو سعد بن معاذ: «والله لكأنك تريدنا يا رسول الله؟، قال ﷺ: أجل». فقال سعد: «لقد آمنا بك وصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة، فامض يا رسول الله لما أردته، فنحن معك، فو الذى بعثك بالحق، لو استعرضت بنا هذا البحر، فخضته لخضناه معك، ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا، إنا لصبر فى الحرب، صدق عند اللقاء، لعل الله يريك منا ما تقر به عينك، فسر بنا على بركة الله».

وأوضحت الآيات الكريمة هذا الموقف، بين المسلمين والمشركين من قريش، وأن اختيار مكان المعركة عند «بدر» إنما جاء بالتالى بتوفيق الله سبحانه وتعالى، وليس بإرادة أحد، ولو كان هذا اللقاء بإرادتهم وأمرهم لاختلفوا فى المكان والزمان، ولكن الله سبحانه وتعالى دبر الميقات، فجعله فى هذا الزمان، ودبر المكان فكان هذا المكان، وذلك فى قوله تعالى:

﴿وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شىء قدير، إذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى والركب أسفل منكم ولو تواعدتم لاختلفتم فى الميعاد ولكن ليقضى الله أمرا كان مفعولا ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حى عن بينة﴾. (الأنفال: ٤١ ـ ٤٢).

وشرحت الآيات الكريمة أيضا فى إسهاب فضل الله ونعمته على المسلمين، وهم يستعدون للمعركة، حيث جعلهم فى قلتهم، وكانوا نحو ثلثمائة وتسعة أفراد، فى مقابل تسعمائة وخمسين فردا من مشركى قريش، يشعرون بضآلة عدوهم، فقال تعالى مخاطبا الرسول الكريم:

﴿إذ يريكهم الله فى منامك قليلا، ولو أراكهم كثيرا لفشلتم ولتنازعتم فى الأمر، ولكن الله سلم إنه عليم بذات الصدور، وإذ يريكموهم إذ التقيتم فى أعينكم قليلا ويقللكم فى أعينهم، ليقضى الله أمرا كان مفعولا وإلى الله ترجع الأمور﴾. (الأنفال: ٤٣ ـ ٤٤).

وتوضح الآيات الكريمة كذلك فضل الله على المسلمين، برفع روحهم المعنوية، وذلك على حين هدم

روح أعدائهم المعنوية، قال تعالى:

﴿**إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أنى ممدكم بألف من الملائكة مردفين، وما جعله الله إلا بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم، إذ يغشيكم النعاس أمنة منه، وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام، إذ يوحى ربك إلى الملائكة أنى معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقى فى قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان، ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاقق الله ورسوله فإن الله شديد العقاب**﴾ (الأنفال: ٩ - ١٢).

وكان الرسول الكريم دائم التضرع إلى الله سبحانه وتعالى، وهو يراقب سير المعركة فى غزوة بدر، داعيا قائلا:

«اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها، تحادك وتكذب رسولك، اللهم فنصرك الذى وعدتنى، اللهم أحنهم (من الحين والهلاك) الغداة».

وكان نفر من جند المسلمين يطوفون حول الرسول الكريم، وهو دائم الضراعة والدعاء إلى الله، وذلك على نحو ما رواه على بن أبى طالب، حيث قال: «كان رسول الله ﷺ يكثر الابتهال والتضرع والدعاء، ويقول فيما يدعو: اللهم إن تهلك هذه العصبة لا تعبد بعدها فى الأرض، وجعل يهتف بربه عز وجل ويقول: اللهم أنجز لى ما وعدتنى، اللهم نصرك، ويرفع يديه إلى السماء حتى سقط الرداء عن منكبيه، وجعل أبو بكر يلزمه من ورائه، ويسوى عليه رداءه، ويقول مشفقاً عليه من كثرة الابتهال، يا رسول الله: بعض مناشدتك ربك، فإنه سينجز لك ما وعدك. وكان الرسول الكريم فى اشتداده بهذا الدعاء إلى الله يجتهد فى بث العزيمة على القتال فى جيشه، لتجتمع له ولجيشه قوة العمل، وقوة الاعتماد على الله تعالى الذى لا يغير أمراً إلا بأمره.

وصارت غزوة بدر أول معركة فى الحرب النبوية مثالا خالدا للمسلمين فى صدق الإيمان بالله وبالقيادة، والتنافس بهذا الصدق فى بذل المال والحياة، فوق النظر إلى أى مغنم. فاليقين بنصر الله حليف للمؤمنين، دون نظر لكثرتهم، وإيمانهم بنصر الله بقدر إيمانهم بالقضية التى يجاهدون من أجلها. ويحفظ القرآن الكريم للمسلمين على امتداد دولتهم هذا المبدأ المهم الذى تقرر فى «يوم الفرقان» يوم غزوة بدر فى قوله تعالى:

﴿**ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون، إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين، بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين، وما جعله الله إلا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به، وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم**﴾ (آل عمران: ١٢٣ - ١٢٦).

وبدأت مع غزوة بدر أفراح النصر عند المسلمين تقترن بشهر رمضان المعظم، وذلك على نحو ما سجله التاريخ الإسلامى فى «الفتح المبين»، وهو فتح مكة فى العام الثامن للهجرة، وفى معركة عين جالوت فى القرن السابع للهجرة الثالث عشر الميلادى، والانتصار الإسلامى المعاصر فى حرب رمضان المجيد ١٣٩٣ للهجرةأكتوبر ١٩٧٣ للميلاد، الذى أتاح للصحوة الإسلامية المعاصرة أن تنطلق فى ظل النداء الخالد «الله أكبر» إلى تحقيق ما يكفل للمسلمين العزة والكرامة، واسترداد سالف رسالتهم الخالدة لإخراج الناس بإذن ربهم من الظلمات إلى النور.

التحدى السياسى فى العالم الإسلامى

صعوبات أمام نموذج الدولة الإسلامية الواحدة

د/ الشحات محمد الجندى

لا ننكر وجود محاذير وعقبات، أمام تحقيق الدولة الإسلامية فى الواقع العملى، ويجب مناقشة القضية، فى ظل المعطيات الواقعية والعالمية الراهنة وخاصة على ضوء النظام السياسى المعاصر فى عالم اليوم، الذى يتبنى نظام تعدد الوحدات السياسية، ويجعل من كل منها وحدة مستقلة ذات سيادة يسبغ عليها مظلة الحماية وفقا للنظام الدولى المعاصر، ويجابه بالعداء كل من يخرج عليه، أو يتنكر له. ولعل حالة العراق والكويت تعبر جليا عن هذا النظام، فقد تحالفت كثرة من دول العالم، ضد العراق لإخراجها من الكويت فى مظاهرة حاشدة، غير مسبوقة فى سياق أحداث التاريخ.

ويكاد التنظيم الدولى الراهن، بزعامة القوى الكبرى المهيمنة على مقاليد الأمور فيه، يبنى أهدافه السياسية وخططه الاستراتيجية، على الوقوف كسد منيع أمام قضية الوحدة الإسلامية، انطلاقاً من خطورتها على كيانه وتوجهاته وفلسفة نظامه ومنظومته الشاملة فى الشئون الحياتية كلها. بالإضافة إلى الاختلاف العميق بين النظام المعاصر لهذه القوى وبين الإسلام كمقننة للسلوك وتنظيم شامل للحياة فى الدنيا والآخرة، الأمر الذى حدا بالغرب إلى أن يفرض وصايته على العالم الإسلامى، ويوجه سياسته، ويخط له الطريق الذى يتعين أن يسير فيه بما يتفق مع مصالحه وغاياته.

ولعل خير برهان على توجيهه لمصائر الأمور فى العالم الإسلامى، هو تفجر الصراعات المصطنعة وتأجج النزاعات بين دول العالم الإسلامى، وسريانها فى جسده المترامى كالسرطان الذى يتعذر إيجاد العلاج له، والخصومات التى قد يراها الناظر مستعصية على الحل بين قادته وزعمائه، ومحاكاته للغرب فى نظمه وأنماطه السياسية والقانونية والاقتصادية فى الغالب الأعم، وضعف المؤسسات الإسلامية، بل عجزها عن أداء الأدوار المنوطة بها فى إحداث التناغم والتجانس المطلوب بين وحداته، وتحقيق الأهداف العربية والإسلامية.

وبطبيعة الحال، ففى مثل هذا المناخ الضاغط، يئن عالمنا الإسلامى والعربى، من وقع التحديات التى أفقدته توازنه، وشلت تفكيره واثخنت جسده بالجراح، حيث بات يترنح بفعل عنف التحديات التى جابهها فى الوقت الراهن، وكما رصد البعض هذه التحديات فقسمها إلى خارجى عالمى واقليمى، وبعضها الآخر ذو مصدر داخلى محلى، وهى بأنواعها الثلاثة تتضافر لتضع الأمة فى مأزق لم تجد نفسها فى مثل خطره فى تاريخها الحديث، لأنه يهددها بالتفتت وضياع الهوية القومية، والتبعية السياسية والاقتصادية والثقافية بآن واحد، ونحن لا نقول (نص عبارته) هذا

القول من باب التهويل بقصد الإثارة، ونحن لا نقوله تحت تأثير الانبهار بالأحداث، وضعف الإيمان بالقدرات العربية، بل إنما نصدر فى هذا القول عن تحليل موضوعى متأن للمشهد على الساحة الدولية والساحة الإقليمية وكذلك المشهد داخل المحيط العربى. وحتى لا يستفحل أحد فيستخلص من هذه المقدمة أننا وقعنا ضحية اليأس من إصلاح أحوال أمتنا، نسارع إلى التأكيد أننا من الذين يعتقدون أن الشرط الأول لبقاء الأمة، أية أمة، هو إقصاء كلمة اليأس من مفردات لغتها السياسية، وأننا مع ذلك الفريق من المثقفين والمفكرين العرب الذين يزيدهم اشتداد الأزمة صلابة فى العقيدة، وإصراراً على تحرى السبل الكفيلة بتوجيه تيار الأحداث فى الاتجاه الذى يخدم مصالح الأمة ويصون وجودها.

وقد أورث هذا الوضع البائس هزيمة فكرية ونفسية، قادت وفقاً للمجرى العادى للأمور إلى هزيمة المؤسسات العاملة فى نطاق العالم الإسلامى، وقد تمثل هذا التداعى أولاً: بالنسبة للهزيمة الفكرية، فى انزواء تيار الوحدة العربية، فضلاً عن تيار الوحدة السياسية، فإن المجاهر بذلك يوصم بقاموس من المصطلحات مثل الأصولية والتحالف والرجعية وقد ينعت بوصف قوى الظلام والتطرف وما شاكلها.

وقد يأسى المتابع للأحداث من سيل الاتهامات المتبادلة بين عقول تنتمى إلى هوية واحدة وعقيدة واحدة، وأن تصل حدة الخصومة إلى نقطة اللاعودة بين دعاة الوحدة، ودعاة ما يسمى بالعصرنة والواقعية، أنصار السيادة والاستقلال، الذين يباركون الأوضاع القائمة ويدعون لها، وينافحون عنها.

وفى المقابل فقد ألقى الفريق الأخير، بمعاذير ومحاذير بل أقام المتاريس والحواجز والأسلاك الشائكة، أمام قيام الوحدة الإسلامية، مؤسساً مقولته فى هذا الصدد، على رؤية تحليلية، واعتبارات واقعية، يخلص من ذلك، إلى أن إنكار حقائق اثبتها التاريخ، بوصفه قضية الوحدة، بأنها خيالية، وغير عقلانية، وليس لها سند صحيح تتأسس عليه.

وخلاصة الحجج التى ساقها أصحاب هذا الرأى، ما أورده الدكتور جمال حمدان من انتقادات للدولة الإسلامية الواحدة، مؤداها أن هذه الدولة لكى تنشأ ولكى تستمر لابد أن تكون دموية أساساً، دولة الحروب الأهلية بانتظام، كما أن وجود هذه الدولة يؤدى إلى عنصرية جامدة إلى الأبد، وتنتهى إلى صراع جنسى بين شعوب الأمة، أى إلى صراعات بين القوميات المختلفة. ثم يقول: إنه إذا أمكن جدلا توحيد الدول الإسلامية - دول الأغلبية الإسلامية - فى هذه الدولة الفرضية، فماذا عن دول الأقليات الإسلامية، وهى التى تزيد عدداً عن نصف الدول التى تضم مسلمين وتحوى نسبة هامة منهم.

ويضيف إلى ذلك بأنه إذا افترضنا إمكانية مثل هذه الدولة الدينية الموحدة، فإنها تصبح دولة - كتلة من حجم ديناصورى خطير، وبقانون الفعل ورد الفعل، ستجد الدول الأخرى المهددة نفسها مرغمة على التكتل للبقاء، أو متناقضة معها بحكم الأيدلوجية. وأخيراً فإن منطق الدولة الإسلامية العالمية - فى رأيه - لا يتفق بالنظرية والفرض مع مبدأ عالمية الإسلام، فالإسلام أصلاً دعوة عالمية، وإذا كان الأمر كذلك فلا يجوز تحديد الإسلام وحصره فى منطقة جغرافية معينة.

وقريب من هذا، وسيراً فى نفس الاتجاه، ما ذهب إليه كاتب آخر، بقوله: بأنه إذا نودى بما يدعى القومية الإسلامية، فإن معنى ذلك سواء فهم المنادى والداعى أم لم يفهم - أنه يجعل من الإسلام حركة سياسية، تسعى لكى يكون المسلمون - فى الوقت الحالى - وحدة سياسية مستقلة، وبهذا فإنه يغلق الإسلام كدين، ويمنع عنه غير المسلمين، ولا يفتحه أمام الناس فى العالم كله، فضلاً عن أنه يختزل له فى شكل سياسى أياً ما كان وصفه، ويجعل منه عدواً لكل وطنية، خصماً لأية جنسية فيدعو إلى عدم الانتماء لأية جنسية وإلى الولاء لأى وطن.

إن مكمن الخطأ فى هذه النظرية، أنها تنطلق من نفس المسلمات المعيبة التى يتبناها الفكر الغربى، وهى وإن كانت لها مبرراتها، وتنطلق من المذهبية الغربية Western ideology، فـإنه ترتطم بأسس فى الفكر والتوجه الإسلامى، ومجملها:

١ - تجاهل الدين وتنحيته عن القيام بدور فاعل فى الشئون الحياتية، والصيغة السياسية، وإسقاطه من موقعه كأساس للبناء، وتشكيل الدولة والقانون والنظام، والاستعانة به فى تشكيل الأحداث العالمية والأممية، هذه النظرة إن جازت بالنسبة للأديان الأخرى، فلا تجوز فى منطق الإسلام.

٢ - اجتزاء التاريخ وابتساره بالاعتماد على الانتقاء من الأحداث التى وقعت فى الدولة الإسلامية فى عصور التخلف والانحطاط، ومصادرة الواقع الإسلامى فى عصر الراشدين، والدولة الأموية، والدولة العباسية فى عصرها الأول. الأمر الذى جسد الدولة الإسلامية العالمية فى الحقيقة والواقع، فى عصر الفهم والتطبيق الصحيح للإسلام، حتى فى الوقت الذى أطلت فيه الفتنة برأسها بين على ومعاوية، فإن الأمة قد تجاوزت هذه الأحداث، وسرعان ما وحدت صفها فى قوة وحيوية.

٣ - إن القول بتوحيد الدولة الإسلامية، لا ينفى الإسلام خارج هذه الدولة، ولا يعارض مبدأ عالمية الإسلام، لأن الإسلام كدين عالمى، يحتاج إلى كيان عالمى يحمل ملامحه، ويرسى نظمه، ويعمل بشريعته، وهو شأن الكيانات الكبرى فى كل العصور، فى الدولة الفارسية والرومانية، وحتى فى العصر الحديث، فهناك كيان الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبى.

٤ - إن أصحاب الرأى يستبدلون القوميات لتحل محل الإسلام، وهم بذلك يتناقضون مع الأساس الذى بنوا عليه نظريتهم، وهو التشكيك فى قيام الوحدة على سند من الإسلام. واعتمادهم الوحدة على سند من القوميات، كالقومية العربية والفارسية والطورانية وغيرها، وأخطر ما فى ذلك أنهم يثيرون خصومة مفتعلة بين الإسلام والعروبة، وينبشون فى تاريخ العصبية والطائفية المرفوضة إسلامياً، وهم فى ذلك يستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير.

٥ - وأخيراً وربما كان موضعه أولاً، لأننا نناقشهم بمنطقهم، فإن الواقع والبرهان، يؤكد ويؤصل على أنه لا توحد لهذه الأمة ولا نهضة لها، بمعزل عن الإسلام ونظريته، والسبيل إلى ذلك هو استلهام البيان القرآنى، واستلهام النموذج المناسب لفكرة الوحدة وغيرها، واستقصاء المسلك النبوى الذى كان فهما صحيحا وعميقا للقرآن. أما إنكار المبادىء وقسر النصوص على معين بذاته، وتجاهل الحقائق، فليس من المنهج العلمى فى شىء، إذ الحقيقة التى تدل عليها النصوص، ويشهد لها باحثون غير مسلمين. مثل الباحث الأمريكى ليمان هى أن المسلمين يشتركون فى التمسك بمعتقدات واحدة أخلاقية، وقانونية وإيمانية.

من مظاهر التداعى فى مسيرة المسلمين، هى هزيمة المؤسسات العاملة فى النطاق العربى والإسلامى المعاصر، فالجامعة العربية أو منظمة المؤتمر الإسلامى، تعكس قصوراً جلياً فى الأداء، وتمثل روح التفسخ والتشرزم السائدة حالياً فى الواقع العربى والإسلامى، وتبرهن على الفشل والتخبط فى تحقيق أهداف العرب والمسلمين، وتحقيق المشروع القومى العربى أو الإسلامى الواحد، الذى يلتف حوله الأفراد، من منطلق إيمانى، ليضع الأمة، على أعتاب النهضة، واستشراف آفاق المستقبل. فى نفس الوقت نجد أن الخصم لا يرضيه حتى الإبقاء على هذه المؤسسات شبه مشلولة، وإنما يعمل جاهداً لاجتثاثها، وتقويض بنيانها، عن طريق استحداث مؤسسات أخرى قادرة على تحقيق أهدافه، وما موضوع النظام الشرق أوسطى عنا ببعيد.

التصور المعاصر للوحدة الإسلامية:

يرفض الإسلام بمقتضى أصوله فكرة القومية والشعوبية، ويعترف برابط واحد هو الهوية الإسلامية لكافة أفراده وأقاليمه، والقول بغير ذلك

ينطوى على افتيات الإسلام، وفهم مغلوط لمقاصده ومبادئه، مما يزيد من تكريس للأزمة التى يعانى منها المسلمون فى العصر الحالى، وعدم اكتراث بالهم العام، وهو ما يوسع شقة الخلاف بينهم.

لذلك ليس صحيحا ما يدعيه البعض من تلك الضجة المفتعلة بوجود التناقض بين الإسلام والعروبة ووضع أحدهما فى مقابل الآخر، بحيث يتعين الاختيار بينهما، فإن التجربة التاريخية والإنسانية - كما يقول محمد حسنين هيكل - تؤكد أن المحتوى الحضارى للقومية العربية إسلامى، والغريب أن المفكرين المسيحيين أول من يعترف بهذه الحقيقة، فى حين ينكرها بعض المشتغلين بالفكر الإسلامى. كما أنه ليس صحيحا، التناقض بين معنى الأخوة الإسلامية، ومعنى الوحدة الإسلامية السياسية، من حيث أن الأولى مفهوم أخلاقى سلوكى، والثانية خطة سياسية ذات آثار فى الاجتماع والاقتصاد. لأن كلا منهما مكملاً للآخر، يصعب الفصل بينهما، فهما وجهان لعملة واحدة.

والصحيح هو أن يتبنى المفكرون والساسة، صيغة عملية معتمدها التوفيق بين مبادىء الإسلام فى الوحدة، ومراعاة الواقع الحالى للدول الإسلامية، بالتعاون فى المتفق عليه، مما هو لازم للإبقاء على تميز الأمة، والحفاظ على نسيجها الواحد، وتحقيق مصالحها العامة، والدفاع عن كيانها فى مواجهة المعتدين. ولن يكون ذلك إلا بالتخلص من عوامل الفرقة، وإزالة اللدد فى الخصومة، والتقارب فيما بين الحكومات، توطئة للتآلف والتقارب وربما الوحدة بالمعنى الشامل، وقد يمثل تلمس الخطوات على هذا الطريق، نقطة حيوية فى هذا السبيل، إذا ما كان رائدها الجدية والإخلاص، إذ يمكن أن تتعمق بواسطة الممارسة، والحرص على خوض هذا المسلك الحضارى، الذى يقرر مصير الأمة، ويضعها فى موكب الأمم المتقدمة.

وقد اهتم فقهاء الوحدة المحدثين مثل الأفغانى ومحمد عبده والكواكبى بالدعوة إلى الجامعة الإسلامية والانتصار لفكره، والذود عنها، ويعد الأفغانى رائد فكرة الجامعة الإسلامية، على رأس هؤلاء، وقد اعتمد بمشروعه للوحدة على ثلاث محاور:

١ - **المحور السياسى**: وقد دعا فيه المسلمين ليحافظوا على الشكل السياسى القائم فعلا رمزا للوحدة الإسلامية، أى المحافظة على الخلافة العثمانية.

٢ - **المحور الدينى**: وقد دعا فيه إلى الإفادة من موسم الحج لجمع القلوب والأفكار كمؤتمر سنوى عام يتبادل فيه مشارق الأرض ومغاربها، بحث الهم الإسلامى العام.

٣ - **المحور الشعبى**: عن طريق العمل على تأليف الأحزاب والجمعيات التى يمكن عن طريقها جذب الجماهير لمشروع الوحدة، وتشكيل جبهة إسلامية مؤثرة، لحفز الحكام للسير على دربها، وتجنيد الإمكانيات لتحقيقها.

ولم تكن نظرية الأفغانى فى الوحدة، تتسم بالتجريد أو الخيال، وإنما كان صاحب رؤية أقرب إلى الأسلوب العملى، فهو القائل: أنا لا أطلب أن يكون مالك الأمر فى الجميع شخصا واحدا، فإن هذا ربما كان غير يسير، ولكن أرجو أن يكون سلطان جميعهم القرآن، ووجهة وحدتهم الدين، وكل ذى ملك على ملكه، يسعى بجهده لحفظ الأمر ما استطاع، فإن حياته بحياته، وبقاءه ببقائه.

ومن دعاة الوحدة كذلك عبد الرحمن الكواكبى، وقد لخص نظريته على أسس مجملها:

١ - إقامة خليفة عربى قرشى، مستجمع للشرائط الشرعية فى مكة.

٢ - تتأسس الدولة الإسلامية على الشورى كقاعدة للحكم.

٣ - تقتصر سلطة الخليفة على الإدارة المركزية للدول، دون التدخل فى الشئون السياسية والإدارية للولايات الإسلامية.

٤ - يكون هناك جيش عام مشكل من الولايات

جميعاً يختص بمهام الدفاع، على أن يناط حفظ مقر الخلافة بقوة عسكرية تحت إمرة قائد من إحدى الولايات الصغيرة.

تنبىء هذه المحاولات، من هؤلاء الأقطاب، عن رؤية لا تعتمد على الإغراق فى أحلام - Utopia - المدينة الفاضلة، لأنهم لم يكونوا مجرد فقهاء مهتمين بالدراسات النظرية فقط، وإنما كانوا على علم بدروب السياسة ودهاليزها، وخاضوا غمارها، ولهم مواقف شجاعة معروفة، الأمر الذى يضفى على آرائهم أهمية فى هذه القضية الشائكة.

ومع التسليم بأهمية الواقع، واستقراء الظروف السياسية والدولية السائدة فإن مبدأ الوحدة ينبغى ألا يفرغ من مضمونه، وألا يتراجع أولو الأمر والنخبة فى الأمة عن اعتباره هدفاً استراتيجياً ورمزاً لوجود أمة وعالم له ذاتيته، فهو صاحب رسالة ودور فى عالم لا يحترم إلا الكيانات الكبيرة، ونحسب أن عصر الدولة القومية. إنما نجد ازدهاره والتركيز عليه، فى عالم الشعوب المتخلفة، والتى فى طريقها إلى الاضمحلال، بإثارة النعرات الوطنية، والصراعات العرقية، وهو أمر حاصل بقوة فى دول العالم الإسلامى، فى الوقت الذى تنحو فيه الدول المتقدمة إلى دعم كيانها، والاتجاه إلى التكتلات، لأنها تعى دروس التاريخ، فإن المستقبل للكيانات الكبرى.

وربما كان من الأهمية فى هذا الموضع، أن أقول إن الوحدة بالشكل الآحادى - أى فى دولة إسلامية واحدة - ليس هو التفسير الوحيد، الذى يتمتع بالشرعية وحده، وينتفى ما عداه، لأن الخطاب الإسلامى فى هذا الشأن، جاء مطلقا، ولم يقيد الوحدة فى صورة بعينها، كما أن الوحدة بين الولايات الإسلامية فى العصر الإسلامى الأول، كانت الولايات فى ظلها تتمتع بقدر كبير من الحكم الذاتى وتدبير شئونها، كما أنها فى الوقت الذى كانت الشريعة الإسلامية هى القانون العام فى هذه الولايات، وجدت بعض الولايات التى تتمتع بالاستقلال الكامل عن الخليفة وعاصمة الخلافة، حدث ذلك فى عصر الدولة الأموية، والدولة العباسية، فقد كانت هناك ولايات منشقة عن هاتين الدولتين، مع أنهما كانتا فى عنفوانها.

فإذا أضفنا إلى ذلك تنائى أطراف الدولة الإسلامية، وطبيعة الدين الإسلامى العالمى، والذى هو المحرك الأكبر لتنامى البقاع الإسلامية، بما له من قوة كامنة، باعثة على المد والانتشار والتى لا يمكن حصرها فى إقليم معين، كذلك وجود القوميات المتعددة التى طواها الإسلام تحت لوائه، فإن الدوران فى نطاق الشرعية، قد يتحقق فى صورة ملائمة من صور الوحدة بين المسلمين ولو كحد أدنى بالحفاظ على المصالح الإسلامية العليا من قبل كل الوحدات السياسية الإسلامية، كالدفاع عن الأراضى الإسلامية، وبروز التوجه الإسلامى فى المحافل الدولية، وانتهاج سياسة خارجية إسلامية، وغيره مما يعد من المصالح الإسلامية الجوهرية، فى إطار المقولة المعروفة: نتعاون فيما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه فى ظل الأخوة الإسلامية الجامعة، وتحقيق المقاصد الشرعية.

ولعل التطور الذى طرأ على الفكر السياسى الإسلامى، المتمثل فى ظهور الرأى القائل بجواز تعدد الدول الإسلامية، بسبب ظروف وأحوال تستدعى هذا التعدد، انطلق من اعتبارات واقعية، وحرص على الأخذ فى الاعتبار العوامل والمستجدات على الساحة الإسلامية، ولم يتنازل عن قضية الوحدة الشاملة من خلال وجود الدولة الإسلامية، لأن الجزء لا يجبُّ الكل، وما لا يدرك كله لا يترك جله.

إن من الآفات التى أصابت الشخصية المسلمة ككل، هى الإغراق فى ظلمات الجدال، والتراشق بالكلمات فى القضايا ذات الاهتمام، وحصر الجهود فى سباق كلامى، يكون ملهاة للمسلمين عن السير خطوة واحدة، نحو الإدراك الفعلى لهذا الهدف، على الرغم من جدواه وحيوته، وهو ملحظ يصادم صحيح الإسلام.

المكتبة الإسلامية

• مختارات من المحمديات
الرسول صلى الله عليه وسلم فى رمضان

• مختارات من المحمديات •

الرسول ﷺ فى رمضان

للدكتور على حسن الخربوطلى

عرض: فتحى الإبيارى

●● كان الرسول عليه الصلاة والسلام قبل البعثة النبوية، يعمل بالتجارة ويشارك فى الحياة العربية، ويقوم بالرحلات البعيدة مع القوافل. كان مغرما طوال حياته بالتأمل والبحث الدينى، واستفاد بالرحلات الكثيرة، كما كانت الصحراء العربية الواسعة بما تحويه من مظاهر طبيعية مختلفة تدعو إلى التأمل والتفكير فى الخالق العظيم، ونبذ محمد دائما عبادة الأوثان، وكان يؤمن بوجود قوى روحية، وأدرك أن الدين الحقيقى هو ما كان يقوم به آدم من عبادة خالقه وهو الدين الوحيد الذى بشر به جده إبراهيم عليه السلام، وهو عبادة الإله الواحد الحق.

آمن محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ قبل نزول الوحى أن الوقت قد حان لقيام حركة إصلاحية كبرى، كما رأى أن تعود الكعبة إلى ما كانت عليه زمن جده إبراهيم.

وكانت هذه الأفكار تتوارد على ذهنه دائما وأثرت فى أعماله وأفعاله، فقد كان كثيرا ما ينعزل عن المجتمع وينفرد بنفسه فى جبل حراء فى مكة، وكان يمضى شهر رمضان فى الغار الذى فى الجبل، وكان لا يشغل ذهنه إلا بموضوع واحد هو الروح، وكانت العناية الإلهية تحيط بمحمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ وتعده ليكون خاتم الرسل والأنبياء، غرس الله فى قلب محمد حب الوحدة، فأصبح شغوفا بفضاء الله الواسع، يسبح فيه فريدا، وكانت الخلوة لمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ أعظم مربٍّ، فقد خلصت قلبه من كل المشاغل فى هذا العالم، ولذا أطلقت عليه الآثار صفاء الصفاء، وتشربت روحه رويدا، رويدا، روح الصحراء فبصرته بعظمة الله اللانهائية.

البعثة النبوية فى رمضان

اعتاد محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ أن يقصد غار حراء فى شهر رمضان من كل عام يخلو إلى نفسه، ثم كانت الرؤيا الصادقة وهى أول تبشير بالنبوة وأن محمدا قد اصطفاه الله تعالى ليكون رسوله إلى العالمين، فقد شارف محمد الأربعين من عمره وذهب إلى غار حراء يتعبد كعادته فى شهر

رمضان، وقد امتلأت نفسه الكريمة إيمانا بما رأى فى رؤياه الصادقة، وقد أدبه الله فأحسن تأديبه، وقد اتجه إلى الله بكل روحه أن يهدى قومه بعد أن ضرجوا فى تيه الضلال، وقد وصف ابن هشام طلائع النبوة فقال «إن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حين أراده الله بكرامته، وابتداء بالنبوة كان إذا خرج لحاجته أبعد حتى تحسر، ويفضى إلى شعاب مكة وبطون أوديتها، فلا يمر رسول الله بحجر ولا شجر إلا وقال: السلام عليك يارسول الله فيلتفت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حوله وعن يمينه وعن شماله وخلفه فلا يرى إلا الشجر والحجارة فمكث كذلك يرى ويسمع ما شاء الله أن يمكث، ثم جاءه جبريل عليه السلام بما جاءه من كرامة الله وهو بحراء فى شهر رمضان.

ففى ليلة خالدة من ليالى شهر رمضان المعظم بدأ نزول القرآن الكريم وتوالى الوحى طيلة ثلاث وعشرين سنة، مرشدا وهاديا، مثبتا لقواعد الدين موضحا طريق انتصار الإسلام. وكانت السيدة خديجة رضى الله عنها ـ وزوجة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ أول من اعتنقت الإسلام، وأول من آمنت بالله، ورسوله، وكان بديهيا أن تسارع إلى الإيمان، فقد جربت على الرسول طوال حياته الأمانة والصدق وعلو النفس وحب البر والرحمة، وكان لإسلام خديجة، وإيمانها برسالة محمد، أثره الكبير فى نفسه.

ونعيش هذه الرحلة مع الدكتور على حسنى الخربوطلى فى كتابه «الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى رمضان».. ويلقى الأضواء على كثير من الأسئلة التى تتوارد فى أذهان المسلمين حول الرسول الكريم وحياته، وسلوكه، وأقواله، وسنته فى رمضان الكريم.

ليلة القدر

بدأ نزول القرآن الكريم فى ليلة القدر، هى من ليالى شهر رمضان المباركة، وقد وصف الله عز وجل هذه الليلة الخالدة بأنها خير من ألف شهر، إذ تنزل فيها الملائكة وجبريل بإذن الله من خالقهم العظيم من العالم الروحى. وتمضى هذه الليلة الميمونة المباركة فى خير وسلام حتى مطلع الفجر.

وقد أطلق على ليلة القدر هذا الاسم كما يقول الإمام محمد عبده لأن الله عز وجل ابتدأ فيها تقدير دينه، وتحديد الخطة لنبيه فى دعوة الناس إلى ما ينقذهم مما كانوا فيه، والقدر بمعنى العظمة والشرف لأن الله قد أعلى فيها منزلة نبيه وشرفه وعظمه بالرسالة.

فرض الصيام

فى السنة الثانية من الهجرة النبوية إلى المدينة وفى شهر شعبان على الأرجح فرض الله عز وجل على المسلمين صيام شهر رمضان، وكان ذلك قبل غزوة بدر ورغم صيف المدينة المنورة القائظ، فقد أقبل المسلمون جميعا على أداء فريضة الصيام فى خشوع وحماس.

وقد نتساءل: لماذا خص المولى عز وجل شهر رمضان المعظم بالصيام؟.. وللإجابة على هذا السؤال نقول إنه الشهر المبارك الذى أنزل الله عز وجل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان.

تفضيل رمضان وفضائله

شاء الله عز وجل أن يكون فى الناس، وفى سائر المخلوقات، فاضل ومفضول بما خصها الله من مميزات وصفات فى بعضها دون البعض الآخر، ويوم الجمعة هو أفضل أيام الأسبوع، فهو يوم اجتماع المسلمين لصلاة

الجمعة، وفيه ساعة يستجيب فيها الخالق العظيم دعاء المؤمنين فيقول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ «ما طلعت الشمس وما غربت على يوم خير من يوم الجمعة». وشهر رمضان هو أفضل الشهور فى العام، فهو الشهر الذى نزل فيه القرآن الكريم وخصه بصيام المسلمين وليلة القدر هى إحدى لياليه المباركة، وهو شهر العبادة والمحبة والمودة والرحمة والخير والإحسان، وهو الشهر الذى يؤدى فيه المسلم زكاة الفطر.

خمس فضائل فى رمضان

خص الله الأمة الإسلامية فى شهر رمضان بخصائص عديدة، يفصح عنها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيقول: «أعطيت أمتى خمس فضائل فى رمضان»:

الأولى: إذا كان أول ليلة فى رمضان نظر الله إليهم، ومن نظر الله إليه لم يعذبه.

والثانية: فإن خلوف أفواههم حين يمسون أطيب عند الله من ريح المسك.

الثالثة: فإن الملائكة يستغفرون لهم فى كل ليلة.

الرابعة: فإن الله عز وجل يأمر جنته ويقول لها: «استعدى وتزينى لعبادى الصائمين فقد أوشك أن يستريحوا من تعب الدنيا إلى دارى وكرامتى».

الخامسة: فإذا كان آخر ليلة فى رمضان غفر الله لهم جميعا. فقال رجل من القوم: أهى ليلة القدر يارسول الله؟ فقال الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ: ألم تر إلى العمال يعملون فإذا فرغوا من أعمالهم وفوا أجورهم!!

شهر الجهاد.. والانتصارات

كان شهر رمضان للرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ هو الجهاد فقد شهد إنفاذ الرسول لبعض أسراه (سنة ١ هجرية) ثم شهد غزوة بدر الكبرى (سنة ٢ هجرية) التى كانت أول انتصار للإسلام على الوثنية والجاهلية واحتفلت المدينة فى شهر رمضان بأعياد النصر وسط مظاهر الحمد والابتهاج، وشهد رمضان تعبئة المسلمين قواهم وحشد جيوشهم للقاء المشركين فى غزوتى أحد (سنة ٣ هجرية) والخندق (سنة ٤ هجرية)، ثم توج المسلمون انتصارات رمضان بفتح مكة (سنة ٨ هجرية). وشهد رمضان بالتالى (سنة ٩ هجرية) عودة الرسول منتصرا من غزوة تبوك وقدوم وفد الطائف إلى المدينة المنورة يعلن بيعة أهالى الطائف للرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ والطاعة، فسقط بذلك آخر معقل للوثنية فى الجزيرة العربية، وهكذا شاء الله أن يكرم رمضان، إذ شهد انتصارات الرسول وأمجاد الإسلام.

وقد شهد شهر رمضان المبارك أيضا انتشار الإسلام فى أرجاء الجزيرة العربية انتشارا واسع النطاق وذلك فى سنتى (٩و١٠ هجرية) وشهد أيضا قدوم وفود العرب من كل مكان على الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالمدينة، تعلن اعتناقها الإسلام ومبايعتها للرسول، وانضمامها إلى الدولة العربية الإسلامية.

سُنَّة الرسول فى رمضان

حَثَّ الرسول الكريم المسلمين على قراءة القرآن الكريم، وقد كان الرسول أشد مدارسة للقرآن فى شهر رمضان، روى أبو إمامة رضى الله عنه أنه سمع النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول: «اقرأوا القرآن فإنه يأتى يوم القيامة شفيعا لأصحابه»، كما روى ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ أنه سمع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول: «من قرأ حرفا من كتاب الله فله حسنة والحسنة بعشر أمثالها».

وقد قرن الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ الصيام بتلاوة القرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: أى رب منعته الطعام والشهوة فشفعنى فيه، ويقول القرآن: منعته النوم بالليل فشفعنى فيه، قال: فيشفعان.

حَثَّ الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ المسلمين على الصيام فى كثير من الأحاديث الشريفة، وكان الرسول يبشر أصحابه بقدوم رمضان ويقول: «**قد جاءكم شهر رمضان، شهر مبارك، كتب عليكم الصيام فيه، تفتح فيه أبواب الجنة وتغلق فيه أبواب الجحيم، وتغل الشياطين، فيه ليلة خير من ألف شهر**»، كما قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**لو علمت أمتى مافى رمضان من الخير لتمنت أن يكون السنة كلها رمضان**». كما قال الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ أيضا: «**من أفطر يوما فى رمضان من غير رخصة ولا مرض لم يعوضه صوم الدهر كله**»، وقال أيضا: «**إن الشيطان ليجرى من ابن آدم مجرى الدم، فضيقوا مجاريه بالجوع**».

آداب الصوم

رسم الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ آداب الصوم فعلى المسلم أداء الصلاة، إذ قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ «**الصلاة عماد الدين، ومن أقامها فقد أقام الدين، ومن تركها فقد هدم الدين**» ومن آداب الصوم التخلق بالأخلاق الفاضلة، وإلا كان الصيام غير مقبول.

فقال الرسول: «**كم من صائم حظه من صيامه الجوع والعطش**». كما قال: «**من لم يدع قول الزور والعمل به، فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه**».

ومن آداب الصوم السحور، فقد قال الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «**تسحروا فإن فى السحور بركة**»، وتأخير السحور أفضل من تعجيله، كما أن تعجيل الإفطار أفضل من تأخيره. وقال الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «**لاتزال أمتى بخير ما عجلوا الفطور وأخروا السحور**».

ومن آداب الصوم أيضا الإكثار من قراءة القرآن الكريم والصلاة على الرسول، والصدقة، والاعتكاف فى المساجد، ومن آداب الصائم أن يبيت نية الصيام، إذ قال الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «**من لم يبيت الصيام من الليل، فلا صيام له**» ومن آداب الصوم التى حث الرسول الكريم عليها الصبر والحكمة، والبعد عن الغضب، كان الرسول ينتظر شهر رمضان ليسعد ويحتفل به، وهو الشهر الذى يلقاه جبريل فيه لمدارسة القرآن الكريم وإعادة تلاوته وسماعه بالتناوب بينهما، كما كان يجتهد فى العشر الأواخر منه التماسا لليلة القدر حتى كان عليه الصلاة والسلام يدعو الله فى شهرى رجب وشعبان قائلا: «**اللهم بارك لنا فى رجب وشعبان وبلغنا رمضان**» فإذا شاهد هلال رمضان أبدى سروره وصبوره وقال: «**هلال رشد وخير آمنت بالذى خلقك**».

من هدى الرسول فى رمضان وصيام عاشوراء

روى عن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه صام فى المدينة بعد الهجرة يوم عاشوراء وهو يوم كان اليهود يصومون فيه باعتباره اليوم الذى نجى الله عز وجل فيه موسى وبنى إسرائيل من فرعون. فقد قال الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ لليهود «**أنا أحق بموسى منكم فصامه وأمر المسلمين بصيامه**» كما روى عن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه بعث مناديا فى يوم عاشوراء ينادى المسلمين: «**أن من كان أكل فليصم بقية يومه، ومن لم يكن أكل فليصم، فإن اليوم عاشوراء**».

الرسول وهلال رمضان

قال الله سبحانه وتعالى: «فمن شهد منكم الشهر فليصمه» ومعنى شهود الشهر الحضور فيه دون سفر أو مرض أو غيرهما، فالمريض والمسافر ونحوهما شاهدو الشهر ليس عليهم صيام رمضان، فالعبرة إذن فى شهود الشهر بتحقيق القدرة على الصيام، وقال الرسول - صلى الله عليه وسلم -: «صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته، فإن غم عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين يوما».

تعبد الرسول فى رمضان

اعتاد الرسول - صلى الله عليه وسلم - الاعتكاف فى شهر رمضان وخاصة العشر الأواخر منه، لالتماس ليلة القدر، ولإحياء الأيام الأخيرة من هذا الشهر الفضيل. وكان الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم - يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله عز وجل. وكان الرسول - صلى الله عليه وسلم - إذا اعتكف دخل قبته وحده، وكان لا يدخل بيته فى حال اعتكافه إلا لحاجة الإنسان والاعتكاف يرتبط بالصوم، فلم ينقل عن النبى - صلى الله عليه وسلم - أنه اعتكف مفطرا قط، بل قالت السيدة عائشة: لا اعتكاف إلا بالصوم، ولم يذكر الله سبحانه وتعالى الاعتكاف إلا مع الصوم، ولا فعله رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلا مع الصوم.

الرسول فى صيامه

لم يستكمل الرسول صيام شهر من الشهور غير رمضان، ولم يكن يصوم فى شهر أكثر مما يصوم فى شعبان، وكان يصوم عدة أيام من كل شهر. ولكن الرسول لم يصم الثلاثة أشهر (رجب، شعبان، رمضان) كما يفعل بعض الناس، ولم يصم شهر رجب ولم يستحب صيامه، بل روى عنه النهى عن صيامه.

وكان الرسول يتحرى الصيام يومى الاثنين والخميس، وكان يكره صوم يومى الجمعة والسبت، فقال - عليه الصلاة والسلام -: «إن يوم الجمعة يوم عيد فلا تجعلوا يوم عيدكم يوم صيامكم إلا أن تصوموا قبله أو بعده».

وقد نهى الرسول عن صيام يوم السبت لأن اليهود كان يعظمونه وقد نهى الرسول عن التشبه باليهود.

وحث الرسول - عليه الصلاة والسلام - على التراويح، أى صلاة القيام وهى تؤدى كل ليلة من ليالى شهر رمضان وهى سنة مؤكدة للرجال والنساء، يؤدونها بعد صلاة العشاء. وصلاة الجماعة فى التراويح سنة عن النبى ومستحبة ولكنها ليست واجبة.

وفى نهاية شهر رمضان المعظم وبعد أن يشهد شاهدان برؤية هلال شوال يبدأ الاحتفال بعيد الفطر، فيأمر الرسول المسلمين بالفطر ويصلى بهم العيد.

قال ابن عمر: فرض رسول الله - صلى الله عليه وسلم - زكاة الفطر من رمضان صاعا من تمر أو صاعا من شعير على كل حر أو عبد، ذكرا أو أنثى.

كيف كان الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم - يفطر ويتسحر؟

- كان الرسول - صلى الله عليه وسلم - يفطر قبل أن يصلى، وكان فطره على رطبات إن وجدها، فإن لم يجدها فعلى تمرات. ويذكر عنه - صلى الله عليه وسلم - أنه كان يقول عند فطره: «اللهم لك صمت، وعلى رزقك أفطرت، فتقبل منا إنك أنت السميع العليم».

ولنا فى رسول الله أسوة حسنة «يأأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما». سورة الأحزاب: آية ٥٦.

رمضان وافى

الشاعر الدكتور عزت شندي موسى

رمـضـان وافى .. قُم إلى المحراب — واخـفـضْ جناح الذل للتـوَّابِ
واسكب دموعك فى الصلاة لعلها — تنجـيك من نار ذكت وعـذاب
واهجر فـراشك فى البكور تقـربا — لكريم سـاح ، بل عليٍّ جناب
وأقم صلاة الفجر واقرأ فى الدجى — قـرآنه تظفـر بخيـر رحاب
واحفظ لسانك عن بذىء مقالة — أو من هراء فـاحش ومـعـاب

***

رمضان شهـر الصوم أكرم زائر — مـرحى بشـهـر فـضائل وثواب
يا ليـتـه دامت لنا أيامـه — نَهنأ بهـا عـمـرا بطول حقـاب
شهـر به تصفـو النفوس وترتقى — وتعف عن كـأس صـفت وكـعـاب
شهـر به تخلو الزكـاة إلى الأولى — فـاضت عليـهم أنعُم الوهاب
نزلت به آى الكتـاب ، كـرائمـا — أكْـرم بآى نُزلتْ وكـتـاب
وبه الصـيـام عـبـادة وهداية — ورعـايـة من ملهم الألبـاب
والصـوم فـيـه مـهـذِّب ومؤدب — ومـجنب لشـتـائم وسـبـاب
ومـخلص من تخـمـة ملعـونة — تدع البطون فـريسـة الأوصـاب
ولليلة القـدر التى يزهى بهـا — قـدر على الأزمـان والأحـقـاب
وهى التى من ألف شـهـر فـضلت — وبأصلهـا تعلو على الأنسـاب

عمل ابن آدم كله لحسابه ... والصوم كان لقاهر الأرباب
من صامه لله محتسبا وقد ... قام الليالى.. فاز يوم حساب
من صامه لله محتسبا فقد ... نال المرام.. وحاز حُسْن مآب

***

وبه أعز الله جند (محمد) ... فى الغزوة الكبرى على الأحزاب
وعلا لواء المسلمين مؤزرا ... يُزْجى «ببدْر» فرحة الأصحاب
وبه غزوا أم القرى فى عزة ... وقضوا على الأوثان والأنصاب

***

أسمعت صوتا للضمير مؤرقا ... سيفا يُسلُّ عليك فوق رقاب
فإذا صَمَمْت له وأنت مبارح ... أنحى عليك مؤنبا بإياب
أشعرت بالثاوى بصدرك راقبا ... لك فى الصيام بجيئة وذهاب
يقسو عليك إذا افتتنت بفتنة ... ويهبُّ لا يعفو وليس يحابى
فإذا أويت ففى طواياك اختفى ... وإذا صحوتَ فمنطوٍ بثياب
هو ذا الضمير له عليك وصاية ... فتحسها فى وخزة وعتاب
هى خشية الله العظيم تمثلت ... فى خير ما يسمو على الآداب
من ذا يراك إذا اقترفت جريمة ... وهربت من عين ترى وتباب
من ذا يراك وأنت تنظر خلسة ... لجمال «هند» أو لحسْن «رباب»!
«الله» جل جلاله هو من يرى ... ويعى دفين السر خلف حجاب

لأول مرة: قمر صناعى إسلامى

أصبحت تكنولوجيا الاتصالات وتطوراتها التى تبلغ حد الثورة العلمية سمة من سمات نهاية القرن العشرين.

أصبح العالم معها غير ما كان عليه من قبل، ولم تعد للحدود الجغرافية والسياسية سابق خطورتها، فلا حدود ولا حواجز سياسية أمام مئات الأقمار الصناعية التى تجوب سماءنا ليل نهار. تبث رسائلها ودعاياتها المذهبية والسياسية والعقائدية دون توقف. فهناك أقمار صناعية متخصصة تقوم بدور هائل فى بث رسائل تبشيرية لديانات أخرى.

بينما يفتقد المسلمون مثل هذا الدور الإعلامى الديني المؤثر.

الأمر الذى وجد صدى فى نفس فضيلة الدكتور نصر فريد واصل مفتى الجمهورية فبادر لتبنى فكرة مشروع قمر صناعى يخدم المسلمين وتعاليم الإسلام السمحة. «منبر الإسلام» التقت مع فضيلة المفتى لتتعرف على المشروع من قريب.

د. نصر واصل:

الفكرة بدأت فى رمضان قبل الماضى

الرؤية بالقمر لا تتعارض مع الشريعة الإسلامية

الإمارات - الأردن وتونس بادرت بالموافقة

الفكرة مقبولة من الجميع ولم يعترض أحد

ليس مقبولا أن نختلف فى عصر ثورة الاتصالات

تحقيق:

- بدر الدين السيد
- محمد كامل

بداية فكرة المشروع

قال الدكتور نصر فريد واصل ردا على تساؤلاتنا حول بداية التفكير فى مشروع القمر الصناعى:

فى رمضان قبل الماضى اجتمعت فى دار الافتاء المصرية لجنة علمية من علماء الشريعة والفلك والرياضيات والمراصد من الأساتذة فى جامعتى القاهرة والأزهر ومرصد حلوان وهيئة المساحة.

وتدارسنا ما يتعلق بقضية رؤية هلال رمضان من الناحيتين العلمية والشرعية، وكان ضمن ما تمت إثارته ومناقشته هو كيفية القضاء على الخلافات التى تحدث كل عام بين الدول العربية والإسلامية بسبب رؤية هلال رمضان سواء كان فى أول الشهر أو فى نهايته، ووجدت أن هناك خلافا فى المنهج فى مجال التطبيق بين الدول العربية والإسلامية من حيث اشتراط البعض أنه يكفى رؤية الواحد فقط واشتراط

القمر الجديد يحقق الرؤية للبلاد الإسلامية في وقت واحد

آخرين أنه لابد من اثنين واشتراط غيرهم أنه لابد أن تكون الرؤية بالعين فقط وعدم الاعتماد على العلم أو الحساب الفلكى.

فالحساب الفلكى لا تطمئن إليه بعض الدول وقد تعتبره من باب السياسة أو أنها رؤية سياسية وليست شرعية.

عندما أثرت ذلك الموضوع قلت: ماهو الحل بالنسبة لتلك الدول التى تتمسك بالرؤية بينما توجد عندها عوائق كسحب أو ملوثات أرضية لا تمكنها من ذلك؟.

إذن فهم قد يأخذون بظاهر الحديث وهو: «فإن غم عليكم فأكملوا العدة ثلاثين يوما» لكن هذا إذا حل القضية لبلد من البلاد فإنه قد لا يحلها لغيرها، لأنه قد تظهر الرؤية الحقيقية فى بلد أخرى وبالتالى تعمل بالحديث ويظل الخلاف بينهما رغم تجاورهما.

وتساءلت: أليست هناك وسيلة علمية مادية يمكن من خلالها أن يتمكن المختلفون فى هذا من الرؤية معا؟ فما هى الوسيلة التى تمكن هؤلاء الذين تتلبد فى أجوائهم سحب وملوثات أرضية من التحقق بأنفسهم من هذه الرؤية مع البلد الأخرى التى رأت ومن ثم يمنع الخلاف بينهما؟

جهاز اختراق بالأشعة

وماذا كان رد العلماء على تساؤل فضيلتكم؟

قالوا لى: إن هناك بالفعل جهازا يمكن من خلال اختراق الأشعة تحت الحمراء أن تتحقق الرؤية من خلاله. لكن لا يعلم هل هذا يمكن أن تجيزه الشريعة أم لا؟ لأن هذه أجهزة ظهرت حديثا فى العالم.

رؤية شرعية

وما مدى اتفاق ذلك مع الشريعة؟

بالنسبة لى شخصيا أرى أن هذا لا يتعارض مع الشريعة الإسلامية ولا مع الإسلام لأن العبرة بتحقق الرؤية فإذا ما تحققت بأية وسيلة تصبح رؤية شرعية لكن رأينا أن ندرس الفكرة. وخلال ذلك طرأت لنا فكرة أخرى إذ وجدنا أن ذلك الجهاز لن يحقق التوحد الكامل. حيث سيكون فى مكان معين وتصبح الرؤية من خلاله كأنها رؤية من مرصد أرضى واحد. إذن ستكون الرؤية فى بلد ما ثم يتم تبليغها للبلاد الأخرى وهذا لا يحل المشكلة وستظل قائمة ولهذا تم التفكير فى وسيلة أخرى تحقق الرؤية للجميع. وسيلة تنتقل من الأرض لما فوقها بحيث لا تغير من منازل القمر وبهذه الحالة تمكن الدول العربية والإسلامية من رؤية الهلال معا فى وقت واحد وفى زمن واحد. أى وسيلة تحقق الرؤية للجميع.

القمر الصناعى أفضل

وهذا ما أدى لاقتراح فكرة القمر الصناعى؟

نعم. فالقمر الصناعى يدور حول الأرض، وفى دورانه هذا يمكن من تحقيق الرؤية لكل البلاد العربية والإسلامية، وعندما تتم رؤيته فى بلد من البلاد فإنه فى مجال المحيط الذى هو فيه ـ وهو تقريبا يكاد يكون فى مساحات تأخذ نطاق العالم العربى كله وكثير من بلدان العالم الإسلامى. وهنا تتحقق لها جميعا الرؤية فى وقت واحد. مع أن مكان الهلال قد يكون فى موقع معين فيرى فى نفس البلد وفى ذات الوقت يستطلع ويرى فى البلاد الأخرى من خلال الجهاز المستقبل.

هذا الجهاز يحدد الرؤية أنها تحققت فى المكان الفلانى وعلى زاوية معينة وارتفاع محدد وبلد من البلاد. دون التأثر بالمعوقات الأرضية.

كما أنه يمكن إعادة بث الرؤية مرة أخرى للبلاد الأخرى التى لم تصلها الرؤية وذلك من خلال أجهزة مستقبلة. وحتى التليفزيونات العادية يتم البث إليها

القمر الجديد .. يتيح الرؤية ١٦ مرة فى البلد الواحد

مرة أخرى. وهنا تتحقق للبلدان الإسلامية فى العالم كله الرؤية فى وقت واحد.

حتى وإن كان الليل لم يدخل عند البعض؟

نعم، باعتبار أن الليل والنهار متداخلان. وحسب مراعاة فروق التوقيت، وهذا يعنى أن البلاد التى دخل عليها الليل وتمت لها الرؤية أو مقبلة على دخول الليل تأكدت من الرؤية الشرعية، أما البلاد التى قد يصل الفارق بينها ساعات قد تصل إلى ثمانى ساعات، فالجاليات الإسلامية والدول الإسلامية فى العالم كله تشترك فى جزء من الليل.

وهذا معناه أن تلك الدول التى تبقى على وصول الليل إليها ثمانى ساعات. قد أصبح من المؤكد لها ظهور الرؤية من خلال تلك الأجهزة بالتالى تكون مستعدة لاستقبال الشهر. وتصبح بداية الشهر موحدة فى العالم كله سواء فى رمضان أو غيره. بدءا من المحرم إلى ذى الحجة.

ونظرا لأن دورة القمر حول الأرض ستكون ستة عشر مرة فى اليوم الواحد. فمعنى ذلك أن كل بلد يمكنه أن يرى الهلال فى اليوم الواحد ١٦ مرة.

الفكرة مقبولة

هل تم عرض هذا الأمر على دول عربية أو إسلامية حتى لا يكون ثمة مجال للخلاف؟

نحن أرسلنا لكل الدول العربية والإسلامية ووزارات الشئون الدينية والمفتين وكذلك السلطات القضائية العليا عن طريق وزارة الخارجية. وللمراكز الإسلامية فى الدول غير الإسلامية. وحتى الآن وصلت إلينا بعض الردود من دول كالأردن، وتونس، والإمارات. وحازت الفكرة القبول والتأييد وإن كانت هناك استفسارات حول نقاط معينة، ونحن نقوم بالرد عليها. أما بقية الدول الأخرى فلم يتم الرد حتى الآن.

وأنا أعتقد أن عدم الاعتراض المباشر فيه موافقة ضمنية. خاصة أنه من خلال جولاتنا فى هذه الدول الإسلامية والعربية خلال بعض المؤتمرات وجدنا تشجيعا كبيرا جدا من الشعوب الإسلامية.. الكل حريص على ذلك لأنه سيحقق لأول مرة فى تاريخ العالم الإسلامى وحدة مطالع الشهور وهو مالم تتمكن منه أمتنا لعدم تقدم وسائل العلم فى الأزمان السابقة.

العالم قرية واحدة

ولهذا كان ذلك عمليا - من قبل - مقبولا. أما الآن وقد أصبح العالم كله بفضل تطور وسائل الاتصال كقرية واحدة ،فلا نتصور أبدا أن نظل نختلف بشكل يؤدى لبعض السلبيات على الأقل فى نظرة غير المسلمين لنا كمسلمين.

فهم يقولون: إننا متأخرون، وأن سبب تأخرنا - كما يزعمون - هو أن ديننا ليس دين تقدم ولا علم وهو ما يعد دعاية سيئة لديننا الذى هو دين العلم والتقدم والوحدة.

لهذا نحن نحرص كل الحرص على أن يخرج هذا المشروع إلى حيز الوجود - إن شاء الله - بمعاونة كل المسلمين فى كل مكان وبالمساهمة والمشاركة الشعبية فى كل العالم الإسلامى.

باب المساهمة مفتوح

هل يعنى ذلك أن هناك مشاركات تمويلية من بلدان إسلامية أو عربية؟

الباب مفتوح أمام تلك المشاركات ونحن فتحنا حسابين لهذا المشروع. أحدهما فى بنك فيصل الإسلامى المصرى فرع الأزهر برقم ٣٥٣٨٥، والآخر فى البنك الأهلى المصرى فرع ثروت برقم ١٠٠٢٢٠٦٠٠٦.

وبناء على ذلك يتم تلقى التبرعات كتبرعات عادية

استخدام القمر فى بث برامج للتوعية الدينية

أو أموال زكاة أو صدقات لا مانع فى ذلك لأن هذا عمل إسلامى يحقق توحيد المسلمين فى أمر هام من أمور دينهم ولهذا السبب رأينا ألا تنفرد جهة ما بهذا الأمر، فتركنا لكل مسلم شرف المساهمة ليشعر أنه كان من المشاركين فى تحقيق هذا التوحد ولو بجزء يسير من ماله.

وما الذى يمنع الاستفادة بالقمر الصناعى فى تحقيق التواصل الإعلامى مثل بث برامج دينية خاصة أننا ـ كمسلمين ـ نفتقد ذلك؟

صحيح أن هدف المشروع فى الأصل كان استطلاع الأهلة، لكن هناك فوائد أخرى كتحديد المواقيت المتعلقة بالصلاة واتجاهات القبلة والاستفادة بمسألة التنبؤ أو قياس التلوثات فى الجو أيضا من حيث الرياح وعوامل الجو الأخرى.

أيضا تم الاقتراح على أن تكون ثمة قناة أخرى تمثل جانبا إعلاميا فيما يتعلق بالقضايا الدينية وكل ما يمس حاجة المسلم كالإفتاء مثلا. فالقمر الصناعى يمكن أن يقوم بدور كبير فى الإعلام الدينى البحت كما يمكنه أن يصبح من خلال برامجه الدينية دعوة للسلام وتحقيق الرخاء للعالم كله بعيدا عن أية جوانب سياسية، فالإسلام دين السلام والأمن والعمل والتشجيع على تحقيق الرخاء.

●●●

وحول الجوانب الفنية للمشروع. كان لقاؤنا بالدكتورة : ميرفت السيد عوض أستاذ علوم الفضاء بقسم الفلك والأرصاد الجوية ـ كلية العلوم جامعة القاهرة.

قناة للإعلام الدينى

هل يوجد من الناحية الفنية ما يعوق تخصيص قناة لبث برامج دينية عبر القمر؟

المقصود بالقناة الدينية فى مشروع القمر الصناعى. ليست قناة تبث ساعة أو ساعات بل كل مافى الأمر أننا سنبث بعض التوعية الدينية لمدة خمس دقائق على الأكثر ويمكن لكل البلاد الإسلامية أن ترى هذا البث خلال دورة القمر. وستساعدنا فى ذلك وزارة الإعلام لإنتاج تلك البرامج. حيث سيقوم بالتوعية عبرها فضيلة شيخ الأزهر والمفتى ويتم التسجيل والبث بمعرفة وزارة الإعلام فى المدة المحددة وهى خمس دقائق.

وهل هذه مدة كافية لإعطاء جرعة توعية دينية؟

ولم لا؟.. هناك جاليات إسلامية فى العالم لا تعرف عن الدين كثيرا. وعندما أوفر لها جرعة يومية لمدة خمس دقائق فى صورة حديث شريف أو تفسير لآية أو تعلم فرض من الفروض، فهذا فى حد ذاته أمر جيد ثم إن هذه ستكون بداية لتكوين برامج إسلامية عالمية موحدة مستمرة. بما يؤدى فى النهاية إلى أن تتلقى كل المناطق الإسلامية فى العالم بثا يوميا، وعندما نبث فتوى مثلا على مستوى كل المراكز الإسلامية فى العالم الإسلامى ويأخذ بها الجميع فسوف تكون فى ذلك وحدة إلى حد ما.

هل يمكن زيادة المدة الزمنية ربع أو ثلث ساعة يوميا؟

لا.. فالقمر الصناعى الذى نحن بصدده. يدور حول الأرض كلها مرة كل ساعة ونصف إذن لن يتعدى تواجده فى كل منطقة دقائق قليلة. أما ما يزيد عن ذلك فهو إمكانات أقمار الاتصالات مثل «عربسات ونايل سات». لكن قمرنا له مهام أخرى من ضمنها تلك الجرعات الدينية الخفيفة.

نتساءل: هل هذه الجرعات تكفى؟

مبدئيا هى كافية لأننا للمرة الأولى نستخدم قمرا

بهذه المواصفات. كما أننا نحقق توحدا بين كل العالم الإسلامى فى بدايات الشهور الهجرية. وهو من الأهداف التى يعتبر تحقيقها أمرا عظيما جدا للبلاد الإسلامية. لأن الواقع الآن هو وجود تفاوت فى بدء الصيام من بلد إسلامى لآخر يصل لأيام أحيانا. بينما فى كل الأبحاث التى عملت وجدنا أن مكة هى مركز الكرة الأرضية، وفى الأبحاث حول المواقيت فى الدول الإسلامية نجد أنها ـ أى تلك الدول ـ تشترك فى جزء من الليل منذ بداية غروب الشمس وحتى شروقها بالنسبة لمكة.. إذن فبداية ظهور الهلال ستكون فعلا فى ليلة واحدة على كل هذه البلاد.

هناك قنوات تبشيرية تبث على عالمنا الإسلامى؟ فهل سيكون القمر الإسلامى قويا ليقضى على آثارها؟

نعم.. أعرف أنها تبث يوم الجمعة.. ولكن هى تبث يوما واحدا فى الأسبوع. أما القمر الإسلامى فسيتواصل بثه على العالم الإسلامى طوال أيام الأسبوع. ولو كان البث اليومى بمعدل عشرة دقائق ـ مثلا ـ لأصبحت ساعة فى الأسبوع. ساعة مكثفة لأنك وأنت تراها تتابع فى كل مرة معلومة واحدة. وتراها أنت وملايين المسلمين غيرك فى اللحظة الواحدة أو اليوم الواحد.

هل سيكون توقيت البث معلوما لدى المسلمين فى أى مكان بالعالم؟

نعم لأنه سيكون معروفا وقت مرور القمر على كل بلد. فالأرض تدور حول نفسها والقمر يدور حولها ووصوله سيكون لكل أنحاء العالم. وإلى أن تنتهى دورته حول الأرض تكون كل مناطق العالم الإسلامى كاملة قد تعرضت للبث.

وكم ستستغرق مدة إعداد القمر؟

حوالى اثنى عشر شهرا بإذن الله.

عربسات ونايل سات مختلفان

ما الفارق بينه وبين عربسات ونايل سات من الجانب الفنى؟

عربسات ونايل سات على ارتفاع لا يقل عن ٣٦ ألف كيلو متر. وعلى هذا الارتفاع لن يُرى الهلال كهلال وإنما سيُرى القمر كاملا. أضف إلى ذلك أن عربسات ونايل سات يكون مسارهما فيما يطلق عليه الزمن المتزامن. أى أنها تسير بسرعة دوران الأرض حول نفسها وبالتالى يكون موقع القمر تجاه منطقة محددة بعينها فهو والأرض يتحركان بنفس السرعة ولن يسبق أحدهما الآخر. بالتالى فكل ما يمكنه تغطيته هو تلك المنطقة الموجه إليها فقط.

أما القمر الإسلامى فهو يتحرك فى مداره حول الأرض كل ساعة ونصف بسرعة أكبر بكثير من سرعة دوران الأرض.

فالأرض تكمل دورتها حول نفسها مرة كل ٢٤ ساعة. أما قمرنا الإسلامى فيدور وفق حسابات دقيقة ليكون على ارتفاع معين من سطح الأرض. فهناك مدار نسميه بالمدار القطبى وفيه يكون عموديا على خط الاستواء. ولو وضع فى هذا المدار سيغطى منطقة واحدة فى كل دورة. ولكنه وفق الحسابات الدقيقة لن يكون عموديا وإنما يميل بحيث يكون له منطقة تغطية تصل إلى ٢٠٠٠ كيلو متر.

أضف إلى ذلك أنه سيمكنك ليلا رؤية الهلال فى كل لحظاته ليس فقط فى أول صورة بل ستظل صوره تصلك إلى أن ينتهى القمر من منطقة التغطية ويدخل فى منطقة أخرى تراه. ثم تعود مرة ثانية لتراه وتأتيك الصورة عن الهلال فى ارتفاع القمر المعين. وقد قمنا بتثبيت الأجهزة داخل القمر بحيث يكون توجيه التليسكوب به كما لو كان موجها من على سطح الأرض.

وماهو بعد القمر الحقيقى عن الأرض؟

القمر الطبيعى يبعد حوالى ٤٠٠,٠٠٠ كيلو متر عن كوكب الأرض. أما الأقمار الصناعية عربسات ونايل سات فتبعد عن سطح الأرض حوالى ٣٦ ـ ٤٠ ألف كيلو متر.

اشتراك كوادر مصرية فى تصنيع القمر أمر ضرورى

أما قمرنا الإسلامى فلا يبعد سوى ثلاثمائة كيلو متر. ولو قيس بعده بامتداد المسافة بين الأرض والقمر الحقيقى لأصبح كما لو كان من مرصد على سطح الأرض.. كل ما فى الأمر أننا رفعناه عن الغلاف الجوى الملوث والذى أصبحت معه الرؤية الواضحة أمرا صعبا، فحتى التليسكوبات أصبح من الصعب أن تحقق الرؤية الواضحة.

ونحن نقول لابد أن يمكث القمر ثمانى دقائق لنراه ولكن حتى مع البقاء ثمانى دقائق فى وقتنا هذا أصبحت رؤيته صعبة لأن الغلاف الجوى لم يعد كما كان من قبل.

وعلى سبيل المثال هناك دول فى الخليج العربى لم تر الهلال على مدى عشرين عاما. ويعتمدون فى تقرير بدايات الشهور إما على السعودية أو على مصر.

خدمات مجانية.. ولكن

وهل ستكون الخدمات التى يقدمها القمر الإسلامى بمقابل مادى؟

هناك بعض الخدمات التى ستكون بمقابل مادى لأن الشركات المصنعة ستضيف له أجهزة معينة تستخدم فى وقت عدم استطلاع الهلال بالتليسكوب - فهذا يتم أول الشهر - أما بقية الشهر فهناك البث الدينى بلا مقابل.

هذه الأجهزة ستمكن من دراسة التلوث البيئى ومكون الغلاف الجوى وهو أمر مطلوب على مستوى العالم كله. كما يمكن أن توجد كاميرات أخرى تستخدم لدراسة نحر الشواطئ وهى مسألة مهمة جدا فى البلاد العربية وغيرها. والكثيرون غير قادرين على دراستها الآن.

أيضا هناك شركات طلبت استخدام الكاميرا الأخرى فى عمل دراسات فلكية لبعض الظواهر سواء الشمسية أو النجمية أو القمرية أو غيرها. وهناك بعض مراكز الأبحاث والجامعات فى الخارج تهتم بمثل هذه الدراسات. عرض بعضها أن نقوم لهم بمثل هذه الدراسات كعلماء متخصصين فى هذا المجال. وهذه كلها مسائل يمكن أن تحقق دخلا للمشروع.

ماهو العمر الافتراضى للقمر؟

ليس أقل من ٤ - ٥ سنوات. أما أقمار الاتصالات مثل نايل سات فعمره الافتراضى حوالى سبع سنوات.

تكوين كوادر عملية

وهل سيكفى الدخل المتحقق من خدمات القمر لشراء آخر بعد انتهاء صلاحيته؟

تصنيع القمر ستشارك فيه كوادر مصرية من بداية التصنيع وحتى الآن وبالتالى فالقمر الثانى سيصنع إنشاء الله فى بلادنا. وهذا هدف أساسى لنا، أن نبدأ فى تكوين كوادر تكنولوجية وعلمية نستعين بها فى مراحل تالية.

أما إذا لم نقم بتكوين كوادر علمية وتكنولوجية فى مرحلة تصنيع القمر فسنضطر بعد ٤ - ٥ سنوات إلى شراء قمر آخر يتراوح ثمنه ما بين ١٠٠ - ٢٠٠ مليون دولار.. ونصبح وكأننا لم نفعل شيئا. وهذا هو ما جعلنا نشترط من البداية مع الشركات المصنعة للقمر أن تتحرك من عندنا مجموعة علماء ومهندسين تشارك فى التصنيع منذ بدايته وحتى إطلاق القمر.

أيضا مما سيجعل الجيل التالى من القمر الإسلامى أرخص تكلفة هو أن المرة الأولى ستتوفر خلالها القواعد الأساسية المطلوبة مثل محطات الإرسال والاستقبال والتتبع.

ندوة الشهر

الإمام محمد عبده

للدكتور : محمد عمارة

عقدت هذه الندوة فى إطار الموسم الثقافى للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية بمسجد النور بالعباسية.

وقد تحدث فى الندوة :

الأستاذ الدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف ورئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

والأستاذ الدكتور عبدالصبور مرزوق نائب رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

متابعة : سعيد صالحة

فكر الإمام محمد عبده المستنير ساهم فى الإصلاح وبناء الإنسان

أ. د. عبدالصبور مرزوق

قدم للندوة الدكتور عبدالصبور مرزوق

قال: الإمام محمد عبده واحد من عمالقة القرن السابق وخاصة من رجال الدين الذين كانت خطواتهم على الطريق يستمع إليها التاريخ ويحفظها وتتحدث بها الأجيال فيما بعد. لقد شغل الناس بفكره. بمعطياته، برؤاه فى الإصلاح الدينى، بمواقفه فى السياسة الوطنية فى مواجهة الاستعمار، فى التعامل الذكى البصير مع قوات الاحتلال التى كانت تسيطر على مصر قبل وبعد الثورة العرابية لكنه فى كل أحواله كان رجلا ذا فكر مستنير وذا بصيرة نفاذة لم يكن كثيرون من أقرانه ومن أهل زمانه يحسنون فقه ما يدعو إليه الإمام ولا تلتقى أفكارهم مع ما يدعو إليه. حتى استدار الزمن وجاء الوقت الذى أصبحنا فيه بعد عشرات السنين نعود من جديد إلى فكر محمد عبده وإلى توجهات محمد عبده فى السياسة وفى الإصلاح وفى بناء الإنسان وفى كل ما نحتاج إليه.

ثم أردف د. عبدالصبور مرزوق قائلا: عندما نتحدث عن الإمام محمد عبده نجد أن د. محمد عمارة كفيل بأن يحدثنا بذلك.

بدأ الدكتور عمارة فى دراسة الأعمال الكاملة للعمالقة ودرس الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده وحققها مقدما لها تقديما يناسب مستواها مثل جمال الدين الأفغانى وعلى باشا مبارك وقاسم أمين والشيخ رشيد رضا والطهطاوى والكواكبى ولكل عمالقة الفكر الإسلامى فى ذلك العصر وحسبك أن تحيط بهذه الأعمال لتصبح خلقا جديدا ونموذجا فريدا يعين الدارسين والفاحصين. حسبك أن تقف على هذه الأعمال فتحيط بقضايا عصرنا وبظروفه واتجاهات الناس فيه.

وأضاف الدكتور عبدالصبور لكن الدكتور عمارة لم يقف عند هذا فقد أدلى بدلوه الكبير والقويم فى معترك كل القضايا التى فجرها هؤلاء العمالقة فى تاريخهم الطويل.

محمد عبده رائد مدرسة الإحياء والتجديد

الدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف وعن يمينه د. محمد عمارة وعن يساره الدكتور محمد شامه

الأستاذ الإمام

استهل الدكتور محمد عمارة كلمته عن الأستاذ الإمام محمد عبده بقوله: يصعب بل يستحيل الحديث عن محمد عبده باعتباره مجرد عالم ومفكر ومفتى لأن «محمد عبده» مدرسة عندما يقال الأستاذ الإمام ينصرف الذهن إلى محمد عبده. فعندما نتحدث عن مدرسة الإحياء والتجديد فى فكرنا الإسلامى الحديث. فمحمد عبده هو المهندس الأول فى عقول هذه المدرسة وإذا أردنا أن نشير إلى هذه المدرسة فقد كان محمد عبده المهندس الأعظم فى بنيانها. تبدأ هذه المدرسة من الشيخ حسن العطار الذى عاصر الحملة الفرنسية وشاهد موقع التخلف الذى كنا نعيشه بإزاء الحضارة الغربية الغازية التى جاءتنا بالمدفع والبارود وبالكلمة وبالمطبعة أيضا فقال فى ذلك التاريخ كلمته التى أعتقد أنه افتتح بها العصر الذى كان محمد عبده علما عليه.

كانت له ريادة مدرسة التجديد والإحياء لأنه أراد تجديد دنيانا لا بالنموذج الغربى وإنما بالإسلام فهذا هو رائد مدرسة الإحياء والتجديد والشيخ رفاعة الطهطاوى الذى ذهب إلى باريس وهو تلميذ العطار والشيخ العطار هو الذى رشحه عندما طلب منه محمد على باشا إماما يؤم البعثة الذاهبة إلى باريس فى الصلاة سنة ١٨٢٦م لكنه - عليه رحمة الله - آثر أن

الشريعة الإسلامية منهج إلهى ثابت لا يتغير بتغير الزمان والمكان

يكون ليس فقط إماما للصلاة، بل كان إماما للعلم والفكر والمعرفة، ذهب إلى باريس لكنه لم يبهر ويدهش بالحضارة الغربية.

كيف تعامل مع الغرب؟

لم يتعامل مع الغربيين باعتبارهم نصارى وإنما رآهم اتباع المذهب الوضعى والفلسفة المادية الذين لا يؤمنون بأى دين ولا بأى كتاب وعوض نظريته المعرفية الغربية إلى معرفة الواقع المادى الذى هو المصدر الوحيد للمعرفة فى العقل والتجربة وقال: «لا عبرة بالتحسين والتقبيح بالعقل وحده وإنما لابد من الشرع»، إن الملكات الإنسانية من العقل والتجريب هى نسبية وما لا يستقل العقل بإدراكه لابد أن نلمسه فى نبأ السماء وفى وحى الله سبحانه وتعالى. بعد ذلك كانت الريادة المتميزة لجمال الدين الأفغانى الذى صاغ فكر هذه الأمة ومنهاجه عندما رفض الجمود والتقليد لأن الجمود والتقليد يوجد الفراغ الذى يملؤه الغرب والغزو الفكرى وفى نفس الوقت رفض المذاهب الغربية. ودعا إلى الوسطية الإسلامية التى ترفض جمود الجامدين والمقلدين وترفض تبعية وذوبان التغريب والمتغربين. نريد أن نحيا الحياة الإسلامية وتبعث الأمة الإسلامية بالوسطية الإسلامية وبالتجديد للفكر الإسلامى.

مدرسة محمد عبده وجمال الدين الأفغانى

تميزت هذه المدرسة بأن الإصلاح والتجديد بدأ يصحح بهما رسالة الأمة لأن قبل هذه المدرسة كانت الدولة فى عهد محمد على هى التى أتت بالمطبعة هى التى تؤلف وتترجم وهى التى تعلم وهى التى تصدر الصحف والمجلات إذن فهى الوسيلة الوحيدة للتجديد.

بميلاد محمد عبده وجمال الدين الأفغانى أصبح هنال التجديد الذى ينهض به الشعب وتنهض به الأم وينهض به العلماء وهنا أصبح للأمة دورها فى تجدي الفكر الإسلامى.

لماذا اختار محمد عبده هذه المدرس منهاج التجديد؟

لأن هذا هو المنهاج الوحيد الذى يرضى عن الإسلام فى التقدم أنتم تعرفون أن دعاة الحداثة الغربي يبشرون بها فى مواجهة الدين لماذا؟

لأن الحداثة الغربية تعنى فى تعريفها عند أصحابه إقامة قطيعة معرفية مع الموروث وخاصة الموروث الديني والجمود والتقليد يعيش على تجارب السلف بينم التجديد الإسلامى هو الذى يعود إلى المنابع الجوهري والتقنية للإسلام (الكتاب والسنة) دون التزام بمذاهب السابقين يستهدى بها ويسترشد بها ويستفيد منه لكن الملزم وحده هو الكتاب والسنة أى البلاغ القرآني والبلاغ النبوى ثم ينظر إلى هذه المنابع يجدد يطو يستشرف المستقبل مستصحبا ثوابت وأركان ومناهج الإسلام. إذن هو منهاج وسطى فى التجديد والتطو والتقدم ولا يَكُنْ قطيعة مع الموروث. وفى نفس الوقت لا يعيش فى زمن أهل التراث والزمن الماضى ولذلك علمنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن هذ الدين هو التجديد فهذا المعنى سنة وقانون من قوانين الله فى هذه الأمة التى لا تبديل لها ولا تحويل لماذ قبل رسالة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ كانت الشرائع محلية ومرحلية وعندما يتطور الواقع تنفسخ الشريعة يأتى رسول جديد بشريعة جديدة لكن أم وقد بلغت الإنسانية سن الرشد وشاء الله خت

جانب من العلماء والدعاة وطلاب الجامعات يتابعون الندوة

رسالات السماء إلى أهل الأرض جاءت الشريعة المحمدية لتقف فى الأحكام الثوابت عند فلسفة التشريع وليس تفصيل التشريع لتقف عند المبادئ والقواعد والكتب وتترك التجديد والتطور ومواكبة العصور والزمان والمكان للفقه الإسلامى الذى هو علم الفروع فالتجديد يصطحب الشريعة الإسلامية التى هى وضع إلهى ثابت لا يتغير عبر الزمان والمكان لكنه تجديد فى الفروع إذن هو منهج وسطى بين الجمود والتقليد وبين الحداثة التى تقيم قطيعة مع الموروث. علمنا المصطفى - صلى الله عليه وسلم - هذا المنهج باعتباره سنة وقانونا عندما قال: «يبعث الله لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها».

الأفغانى يرفض التغريب

رفض الأفغانى التغريب والامتدادات السرطانية للمذاهب الغربية فى فكر أمتنا وعقلها. بل لقد رأى أن المتغربين إنما هم علماء حضاريون يقيمون الثغرات فى جدار الأمن الوطنى والقومى والحضارى يدخل فيه الغزاة والأعداء ثم يثبتون أقدام الغزاة والأعداء فيقول الأفغانى: «إن المقلدين لتمدن الأمم الأخرى ليسو أرباب تلك العلوم التى ينقلونها والتمدن الغربى هو فى الحقيقة تمدن للبلاد التى نشأ فيها على نظام الطبيعة وسير الاجتماع الإنسانى وقد علمتنا التجارب أن المقلدين من كل أمة المنتحلين أطوار غيرها يكونون منها منافذ لتطرق الأعداء إليها وطلائع جيش الغازين وأرباب الغارات يمهدون لهم السبيل ويفتحون لهم الأبواب ثم يثبتون أقدامهم».

وتستطيعون أن تروا صدق هذه الكلمات إذا نظرتم فى واقعنا المعاصر إلى حرب إسرائيل وإلى المبشرين بالنظريات الغربية الذين يريدون أن يجعلوا أمتنا مسخا مشوها للفكر الغربى قال الأفغانى بصريح العبارة ما يمكن أن نسميه بالشعار المعاصر «الإسلام هو الحل» أى لا سبيل للإصلاح إلا بالإسلام انظروا إلى عبارته بنصها «إنا معشر المسلمين إن لم يكن نهوضنا وتقدمنا على قواعد ديننا وقرآننا فلا خير لنا فيه» نقول هذه الكلمات لأن كثيرا حتى من الشباب

المسلم يسىء الظن بالأفغانى ويسئ الظن بمحمد عبده.

ويضيف قائلا: لا يمكن التخلص من وصمة انحطاطنا وتأخرنا إلا من هذا الطريق. ثم ينتقد التحديث على النمط الغربى فيقول: «وإن ما نراه اليوم من حالة عامرة خيبة فينا من حيث الرقى والأخذ بأسباب التمدن هو عين التقهقر والانحطاط لأننا فى تمدننا هذا مقلدون الدول الأوروبية وهو تقليد يجرنا بطبيعته إلى الإعجاب بالأجانب والاستكانة لهم والرضى بسلطانهم علينا وبذلك تتحول صيغة الإسلام الذى من شأنه رفع راية السلطة والغلب إلى صفة خمول ودعه واستئناف لحكم أجنبى».

أدرك الصلة بين إعجاب المعجبين للغرب وبين الاستكانة لسلطان الاستعمار الغربى وهذا ما أدركه بعد سنوات طويلة الشيخ الخضر حسين - رحمه الله - وهو إمام جليل عندما قال وهو يرد على (على عبدالرازق) إنك حينما تقول إن الحكومة يمكن أن تكون ديمقراطية أو بلشفية أو نازية .. الخ. فمعنى ذلك أنك تدعو إلى الرضا بسلطة الأجنبى المحتل إنما الإسلام له نموذجه له عزته له الغلب والقوة فى بلاده فى مواجهة هذه المدارس جميعا).

إذن محمد عبده ابن هذه المدرسة نشأ وحدد أنه قد اتخذ موقفا وسطا بين المدرسة الجامدة المقلدة التى تقف عند ظواهر النصوص والتى مع الأسف تسمى نفسها السلفية وهى لا تستحق هذا الاسم العظيم قال محمد عبده عن مدرسة الجمود والتقليد: (إنها أضيق وأحرج صدرا من المقلدين لكنه انصفها لأنها تنقى العقيدة من البدع والخرافات). وقال وهى إن انكرت كثيرا من البدع ونحت من الدين كثيرا مما أضيف إليه وليس منه. فإنها ترى وجوب الأخذ بما يفهم من اللفظ الوارد أى تقف عند ظواهر النصوص ولا تدرك مقاصد الشريعة بدون التفاف إلى ما تقتضيه الأصول التى قام عليها الدين ولأجلها كانت الدعوة ولأجلها مُنحت النبوة فلن يكونوا للعلم أولياء ولا للمدنية أحياء) هذا نقده لمدرسة الجمود والتقليد.

كلمات شديدة الغرابة

فى هذا الميدان يقولون إن «محمد عبده» جاء من أوروبا فقال (رأيت هناك إسلاما ولا مسلمين ورأيت هنا مسلمين ولا إسلام) وهذا كذب لم يقل محمد عبده هذا ،لقد جلست فى دوريات دار الكتب خمس سنوات اقرأ دوريات قرن كامل حتى جمعت أعمال محمد عبده ولم أجد له كلمة بهذا المعنى لأن «محمد عبده» لم يكن معجبا بالحضارة الغربية حتى يقول هذا الكلام وإنما هو الذى يصف برده على هانوتو يقول: (إن هذه المدنية هى مدنية الملك والسلطان مدنية الذهب والفضة. مدنية الفخفخة والبهرج مدنية الختل والنفاق حاكمها الأعلى هو الجنيه عند قوم والليرة عند قوم آخرين ولا دخل للانجيل فى شىء من ذلك ودواؤها الرجوع إلى الدين الذى كشف الطبيعة الإنسانية. وعرفها إلى أربابها فى كل زمان) إذن محمد عبده لم يكن معجبا - كما يقول البعض - بالحضارة الغربية بل قد تدهشون وأنتم تعرفون الحديث الشائع عندما نسب إلى الخديوى إسماعيل (أنا أريد أن أجعل مصر قطعة من أوروبا) وهذا كذب على الخديوى إسماعيل. إن الخديوى إسماعيل جاءه الوزير الانجليزى والوزير الفرنسى وقدما إليه انذارا برهن أملاكه فى سداد الديون فنظر إلى الوزيرين الأجنبيين وقال (يبدو أن مصر لم تعد قطعة من أفريقيا وإنما أصبحت قطعة من أوروبا). أنظروا كيف حولت إلى (أريد أن أجعل مصر قطعة من أوروبا) مطلوب منا أن نعى قراءة التاريخ لا مجرد أن نقرأه دون وعى.

أهداف التجديد والإصلاح عند محمد عبده

يحدد محمد عبده أهداف التجديد والإصلاح فى مدرسته بأنه تحرير العقل المسلم من قيود التقليد لكن ليس بالمعنى التغريبى وهو (الانفصال عن الموروث وإنما يدعو إلى السلفية فى الدين).

الوسطية ليست اختيارا من المسلمين إنما إرادة إلهية

معنى السلفية

أنا أقول إن كل واحد منا سلفى حتى المتغربون سلفيون فإن سلفهم هو الغرب ماضيهم هو الغرب مرجعيتهم هى الغرب فهو يدعو إلى فهم الدين كما فهمه السلف قبل ظهور عصر وعهود الخلاف. ثم هو يدعو إلى تحرير اللغة العربية من الركاكة والمحسنات البديعية ثم يدعو أن نميز بين حق الحكومة على الأمة الطاعة وحق الأمة على الحكومة العدل يقول فى عبارته: (أدعو إلى تحرير الفكر من قيد التقليد وفهم الدين على طريقة سلف الأمة قبل ظهور الخلافة والرجوع إلى كسب معارفه إلى ينابيعه الأولى واعتبار الدين من ضمن موازين العقل البشرى وإصلاح أساليب اللغة العربية والتمييز بين ما للحكومة من حق الطاعة على الشعب وما للشعب من حق العدالة على الحكومة).

منهاج المدرسة التجديدية الإحيائية الوسطية عند محمد عبده

يحدد محمد عبده هذا المنهاج فى مدرسته هذه ويخالف بذلك الذين كانوا يسمون أنفسهم بطلاب علوم الدين وطلاب علوم الدنيا فى ذلك التاريخ فيقول: (ولقد خالفت فى الدعوة إلى ذلك طلاب علوم الدين ومن على شاكلتهم وطلاب علوم الدنيا. إذن الوسطية فى التجديد لم يتزعمها محمد عبده بل هذا هو الإسلام. لأن الله سبحانه وتعالى هو الذى جعل هذه الأمة أمة وسطا (وكذلك جعلناكم أمة وسطا) فالوسطية ليست اختيارا إنسانيا عند المسلمين إنما هى جعل الإله وإرادة الألوهية وبذلك تمايز الإسلام عن غيره.

الإسلام يتميز عن اليهودية والنصرانية

يرى محمد عبده أن الإسلام يتميز عن اليهودية المادية وعن النصرانية التى أغرقت فى الروحانية. ليس وسطا بمعنى أنه يرفض المادية ويرفض الروحانية وإنما بالمعنى الانسانى الوسطية الجامعة التى تأخذ قدرا من المادية وقدرا من الروحية فتؤلف بينهما فتصبح الوسطية الإسلامية موقفا جديدا ومغايرا للمادية والروحانية لكنه ليس مغايرا كل المغايرة. فالاسلام يختلف عن الوسطية عند أرسطو وعند العامة كما يفهمونها. يقول محمد عبده عن هذه الوسطية الإسلامية (ظهر الإسلام لا روحيا مجردا ولا جسديا جامدا بل إنسانية وسطا بين ذلك آخذا من كل القبيلين فيتوفر له من ملائمته الفطرة البشرية مالم يتوفر لغيره ولذلك سمى نفسه دين الفطرة وعرف ذلك خصومه اليوم وعدوه المدرسة الأولى التى يرى فيها البرابرة على سلم المدنية).

محمد عبده يدعو إلى تجديد حياتنا

يدعو محمد عبده إلى تجديد حياتنا الدنيا بتجديد فكرنا وليس بالنظريات المستوردة ولا بالشعارات. لأن الأمة لا تسمع للمؤذن إذا أذن من خارج السور بل لابد أن يكون من الداخل.

إن الشرع لم يدع «ما لقيصر لقيصر» بل من شأنه أن يحاسب قيصرا ويأخذ على يديه.

قضية العقل فى فكر الإمام محمد عبده

إن قضية العقل من أخطر القضايا التى تواجه الشباب فى العصر الذى نعيشه والموقف من العقل أو العقلانيين فنرى فى حياتنا المعاصرة أن بعض الإسلاميين يشهرون مسدساتهم إذا ذكرت كلمة العقل والحقيقة أن العقل نسبى الإدراك ومالا يستطيع العقل إدراكه علمنا إياه الشرع وهناك فرق بين علمنا النسبى وبين علم الله الكامل والشامل.

لقد اهتم الإمام محمد عبده بتنقية مصادر الثقافة بهدى واستنارة لمنهج القرآن

تعليق د. محمود حمدى زقزوق

استهل تعليقه قائلا: بعد هذه الجولة العظيمة الرائعة التى طوف بنا الدكتور محمد عمارة فى تيارات الفكر الإسلامى المختلفة وبدأ من الشيخ حسن العطار رائد التنوير إلى العصر الحديث ثم رفاعه الطهطاوى تلميذ حسن العطار ثم جمال الدين الأفغانى ثم محمد عبده. وأضاف:

أبدأ تعليقى أو تعقيبى من حيث انتهى الدكتور عمارة حين أراد أن يبين نقطة الضعف التى كانت لدى الشيخ محمد عبده فإن هذه النقطة تتمثل فى الجانب السياسى لدى الشيخ محمد عبده. والواقع أن الشيخ محمد عبده منذ البداية كان مرافقا لجمال الدين الأفغانى وكان معه فى السياسة وذهب معه إلى باريس وأصدرا معا مجلة (العروة الوثقى) وخاض غمار السياسة مع الأفغانى ولكن بعد هذه الجولات التى قام بها وجد أن العقبات كثيرة بجريدة (العروة الوثقى) فلم تعد تصل إلى القراء، فالاستعمار كان يمنعها أن تدخل إلى البلاد الإسلامية وأخيرا اقترح على جمال الدين الأفغانى وقال له: أليس الأجدر بنا أن نختار من أبناء المسلمين عشرات نربيهم التربية السليمة ثم ينطلق كل منهم إلى بلد إسلامى وبالتالى يكون هو نفسه مدرسة يستطيع أن ينشر هنا الفكر الذى نحن بصدده كان جمال الدين الأفغانى رجلا ثوريا فعندما سمع اقتراح الشيخ محمد عبده قال له هذه العبارة المعروفة (إنما أنت مثبط) أى مثبط الهمم والواقع أن الإمام محمد عبده لم يكن مثبطا للهمم على الاطلاق ولكن كان مجتهدا.

كان الإمام يتبع منهج الوسطية التى كانت تجمع بين العقل والنقل وهذا المنهج لم يخترعه محمد عبده اختراعا فهو المنهج الإسلامى الصحيح والذى سار عليه مفكرو المسلمين فى عصر ازدهار الحضارة الإسلامية وكذلك؛ الإمام الغزالى فى هذا المنهج الوسطى الذى يجمع بين العقل والنقل ويقول الإمام الغزالى فى أحد كتبه معارج القدس (العقل كالأساس والشرع كالبناء ولن يغنى أساس بدون بناء ولن يثبت بناء بدون أساس فالعقل شرع من داخل والشرع عقل من خارج وكلاهما متحدان متعاضدان».

كما يقول: «إن الذى يظن أن العلوم العقلية ناقضة للعلوم الدينية فهو ظن صادر عن عمى فى عين البصيرة نعوذ بالله منه).

وكان ابن رشد يفهم غالبا بأنه عقلانى صرف كان يقول (الحكمة صاحبة الشريعة والأخت الرضيعة وهما

المتصاحبتان بالطبع المتحابتان بالجوهر والغريزة).

هذا هو ابن رشد ومحمد عبده من هذه المدرسة التى جمعت بين العقل والنقل وبالتالى التجديد فى الفكر الإسلامى فالتجديد الحقيقى يقوم على هذين العنصرين الأساسيين والمسلم ليس فى مجال الخيار بين العقل والنقل ولكن التنوير الإسلامى يطير بجناحين هما العقل من جانب والنقل من جانب آخر وليس هناك أى تناقض على الاطلاق بين الجانبين والتناقض بينهما تناقض مصطنع يصطنعه البعض ولكن الإسلام أزال هذا التناقض تماما كما يقول الشيخ محمد عبده أيضا (العقل أثر من آثار الله والشرع أثر من آثار الله وآثار الله لا يمكن أن تتناقض على الاطلاق مع بعضها » . كان محمد عبده يكره التقليد ويقول عنه: (انه ضلال يعذر فيه الحيوان ولا يجوز بحال من الأحوال من الإنسان لأن الإنسان حباه الله بالعقل والعقل هو جوهر الإنسان ولهذا لابد للإنسان أن يفكر ولا يجوز له أن يقلد تقليدا أعمى وهو يسير فى ضوء الحديث النبوى الشريف (لا تكن إمعة إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساءوا أن تسيئوا مثلهم ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساءوا فلا تظلموا).

موقف محمد عبده من مصادر التثقيف

بالإضافة إلى أن محمد عبده كان يكره التقليد ويحذر منه كان يريد أن ينقى أيضا مصادر التثقيف ومصادر التثقيف التى كانت سائدة فى ذلك الوقت هى الكتاب. فالكتب التى كانت مملوءة بالخرافات والضلالات والإسرائيليات والتى يُستقى منها المعلومات الدينية كانت خطرا يهدد العقل الإنسانى. ومن هنا أراد محمد عبده أن ينقى مصادر التثقيف من تلك الخرافات والأوهام والخزعبلات وهذا ما نحن أيضا اليوم فى حاجة إليه. حتى فى عصرنا الحاضر هناك كتب تنشر فيها خرافات وأباطيل ما أنزل الله بها من سلطان وأنتم تعلمون أن الإسلام أراد أن يحرر العقل الإنسانى من كل هذه الأباطيل ويرد الأمور إلى أسبابها الحقيقية. ونذكر فى هذا الصدد الحديث النبوى الشريف حينما توفى إبراهيم بن سيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وواراه التراب حزن حزنا شديدا عليه تصادف أن كسفت الشمس فى ذلك اليوم فقال الصحابة بحسن نية لقد كسفت الشمس مشاركة فى الحزن على موت إبراهيم ولكن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ رغم شدة حزنه لم يرد أن تمر هذه الحادثة بسهولة فقال فى حسم قاطع إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يكسفان ولا يخسفان لموت أحد ولا حياته، فالإسلام لا يريد لأبنائه أن يستقوا معلوماتهم من الخرافات والأوهام ولكن لابد أن ترد الأمور إلى أسبابها الحقيقية من هنا كان هم محمد عبده أن ينقى مصادر التثقيف حتى تشق الأمة طريقها السليم بهدى وباستنارة عقلية لمنهج القرآن الكريم والوسطية الإسلامية التى تجمع بين العقل والنقل فمحمد عبده قد جدد ليس فقط فى مجال الفكر الدينى ولكنه مجدد مصلح على المستوى العام فى المجال الاجتماعى وبالتالى فلا نستطيع أن نضع «محمد عبده» فى قائمة المصلح الدينى فقط بل هو مصلح بالمعنى العام الشامل.

وليس كل إنسان أن يكون مثل هذه العقلية فكثير من الناس درسوا ولكن «محمد عبده» كان صاحب عقلية متوقدة وموهبة حباه الله بها. فكان هو الأستاذ الإمام الذى إذا أطلق هذا اللقب كما قال د. عمارة عرف الجميع أنه محمد عبده فيكفى أن يقال الأستاذ الإمام وهو بالفعل كان أستاذا وكان إماما ومدرسة لاتزال قائمة بيننا فلازلنا فى أشد الحاجة إلى فكر محمد عبده وإلى آرائه.

من وراء الأخبار

فى ندوة الجامعات ومواجهة الإرهاب

وزير الأوقاف :

إننا لا نحمل جهة واحدة مسئولية أحداث العنف والإرهاب

مفتى الجمهورية :

الشريعة الإسلامية تحرم العنف وسفك الدماء بجميع صوره وأشكاله

الأمية الثقافية فى فهم مقاصد الشريعة ساعدت على انحراف الشباب

رئيس جامعة الأزهر:

أناشد هيئات التدريس بالجامعات أن تقدم مادة إسلامية وطنية حتى لا يقع الشباب فريسة للخواء الفكرى

محافظ الغربية :

الإرهاب هو شريعة المجرمين وحيلة الضعفاء وأسلوب الغوغاء

الدكتور أحمد كمال أبو المجد :

التعامل مع ظاهرة الإرهاب على أنها تخص الجهات الأمنية وحدها خطأ كبير

إعداد : منير بيومى

كيف استطاع الإرهاب الأسود أن يستهوى عقول شباب الجامعة؟!

حـادث الأقصر الإرهابى أشعل غضب المفكرين والمسئولين وكل فئات شعب مصر وأدمى القلوب حزنا على ضحايا الجريمة النكراء.

وحين نعمل عقولنا وتفكيرنا يتبادر إلى الذهن سؤال وهو كيف استطاع الإرهاب الأسود أن يستهوى عقول البعض من شباب الجامعة من كليات القمة، وهل هو الفراغ الدينى والفكرى والسياسى لدى الشباب؟ وهل البيئة عامل مؤثر فى ذلك؟ أم أن السبب المناهج الدراسية التى لا تهتم بتنمية التفكير العلمى والحوار الموضوعى لدى النشء، وهل الذى ساعد على تفشى الأفكار الهدامة والمنحرفة هو غياب الموجه والمرشد والقدوة عن التلاميذ نظرا لكثرة العدد فى المراحل الدراسية المختلفة؟

وهنا يفرض السؤال نفسه: كيف تحمى الجامعة الشباب من براثن الإرهاب، وكيف تنير عقولهم بالفكر المستنير، وكيف تبصرهم وترشدهم إلى الإيمان والولاء للوطن، وكيف ندربهم على تحمل المسئولية وأدب الحوار؟

كل هذه التساؤلات ناقشتها الندوة التى عقدت بجامعة القاهرة حول دور الجامعة فى مواجهة الإرهاب شارك فيها الدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف، والدكتور نصر فريد واصل مفتى الجمهورية، والدكتور أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر، والدكتور أحمد كمال أبو المجد وزير الإعلام الأسبق وحضرها رجال الفكر والدعوة الإسلامية وأساتذة الجامعة وحشد كبير من طلبة الكليات.

الشباب فى الجامعة لابد أن تستنير عقولهم بقيم الدين السمحة

فى البداية كانت الكلمة للأستاذ الدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف، رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية قال:

بعد الحادث الإجرامى بدأنا نفكر تفكيرا موضوعيا هادئا متعقلا.

وحين نطرح السؤال حول دور الجامعة فى مواجهة الإرهاب نؤكد أن الجامعة منبع النور، رسالتها تنويرية فى ثقل المواهب، وهى مرآة البحث العلمى، وهى انطلاقة لبناء حضارة، فالحضارات تنطلق من محراب العلم الذى يبنى على البحث والابتكار والاختراع من أجل البشرية، ومن أجل أن يعم الخير والسلام فى كل مكان.

فإذا وجدنا أن هناك من شباب الجامعة التى هى مهمتها الأولى مهمة تنويرية قد ضلوا الطريق وانحرفوا، هل معنى ذلك أن الجامعة هى المسئولة عن هذا الانحراف أم أن هناك أسبابا أخرى؟

إننا لا نستطيع أن نحمل جهة واحدة مسئولية ما حدث من اعتداء إرهابى، وما يحدث فيما بعد، لأن المسئولية تقع على كاهل مؤسسات وجهات عديدة مسئولة عن الشباب، وهى بنفس القدر تشترك فى المسئولية التى لا يجوز لأى منها أن تتنصل منها.

وعندما نتحدث عن دور الجامعة فى مواجهة الإرهاب، فإننا نتحدث عن أحد الأدوار التى يمكن أن تتكامل مع غيرها من الأدوار فى المجتمع لمكافحة هذا الإرهاب الأسود الغريب على مصر وشعبها المسالم الآمن الذى بنى الحضارة.

إن مصر التى عرفت الحضارة قبل أن يعرفها الآخرون استطاعت أن تبنى الحضارة فى ظل الأمن والاستقرار، ولذلك كان شعب مصر متدينا بفطرته منذ آلاف السنين، يجرى الدين فى عروقه والدين محبة وسلام وأخوة، ولذلك لابد أن تستنير عقول الشباب بقيم الدين السمحة هذا الدين الذى يحض على الرحمة والتراحم، فالدين رحمة بنص القرآن: «وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين» والدين أخوة، والأخوة الإنسانية تعنى أن الناس جميعا خلقوا من نفس واحدة، ولذلك فإن الاعتداء على أحد أفراد الإنسانية يعتبر اعتداء على الإنسانية كلها.

الشباب فى الجامعة ينبغى أن تستنير عقولهم بالقيم الإيجابية الحقيقية للدين، فالدين ليس مجرد شعائر ولكنه عقيدة وشريعة وأخلاق وحضارة، ولذلك ينبغى أن يستقر فى أذهان الشباب أن الدين كلف البشرية بمهمة أساسية هى إعمار الكون، وقد تغيب عن بعضنا هذه المهمة الأساسية، فإعمار الكون يكون بالعلم فى رحاب الجامعة.

هذا العلم الذى هو فريضة على كل مسلم، ومسلمة هو الذى يصنع إعمار الكون، وهذا الإعمار المادى والمعنوى يؤدى إلى صنع الحضارة.

الشباب والمهمة الإنسانية

لابد لنا أن نبصر شبابنا من خلال ما يلقى فى المحاضرات إلى هذه المهمة الإنسانية التى تعنى البناء، وأن الإرهاب يعنى التدمير والتخريب، هذا التدمير والتخريب يضر بكل فرد من أفراد هذا المجتمع، ولذلك فإن المسئولية تقع على الجميع فى مواجهة هذا الإرهاب الأسود الغريب على طبيعة شعب مصر.

وشبابنا فى جامعات مصر بخير، والثقة فى قدراتهم وعقلياتهم وثقافاتهم كبيرة، وإذا كان من بينهم فئة انحرفت عن الطريق فليس معنى ذلك أن شبابنا قد أصابه سوء، وستظل مصر آمنة مطمئنة يصنع شبابها حضارة جديدة لنعيد أمجاد أجدادنا وأسلافنا الذين كان لهم باع طويل فى صنع الحضارة الإنسانية.

الإرهابيون خارجون عن مذهب أهل السنة والجماعة

المستشار ماهر الجندى محافظ الجيزة حذر من اعتبار هذه الحوادث الإرهابية أحداثا عابرة تمر مرور السحاب وإن كانت فى حقيقة الأمر ظاهرة عالمية لكنه فى مصر لم يأخذ شكل وقدر الظاهرة، لأن القلة التى انحرفت عن جادة القيم لا نسمح لأنفسنا أن نعتبرها قد أخذت حكم الأغلب أو الأعم.

الحادث الأثيم فى الدير البحرى فى الأقصر، يعد حلقة ضمن الأحداث السابقة الإجرامية التى تهدف إلى ضرب السياحة وبالتالى الاقتصاد المصرى.

هؤلاء القلة اختلطت فى عقولهم المفاهيم، فتحولوا إلى القتل وسفك الدماء ولم يرحموا صغيرا ولا كبيرا رجالا ونساء وأطفالا، مسلمين وغير مسلمين، فهل يعقل أن يتحدثوا عن الدين وقيمه ومبادئه؟

لقد اتخذوا من الإسلام قناعا يرتكبون من ورائه الجرائم والآثام، هذا الإرهاب هو شريعة المجرمين وحيلة الضعفاء وأسلوب الغوغاء فهم يعبرون عن ضحالة عقولهم وفكرهم.

فهم يدعون أن هناك خلافا فى الدين وأنهم على حق فارتكبوا أكبر الكبائر وخرجوا على مذهب أهل السنة والجماعة، وادعوا على الدين ماليس فيه، وارتكبوا كماً من الجرائم باسمه ونسوا أنه رسالة سلام ، فأى دين هو دينهم وأى شريعة هى شريعتهم؟!

إن هذه القلة المتمردة المجرمة ارتكبت أحداثا إجرامية استنكرها ونفر منها شبابنا وشعبنا وحكامنا ومفكرونا.

إن الجامعة برسالتها التنويرية تثبت المبادئ والقيم والسلوك الحضارى فى شبابنا من خلال استمرارية اللقاءات الفكرية والأنشطة الاجتماعية وبالتالى لن نسمح للأفكار المضللة أن تتسلل إلى عقول شبابنا.

شباب الدعاة يشارك فى مواجهة التطرف والأفكار المنحرفة

طرح الطالب أحمد أحمد الزغبى من كلية التجارة سؤالا حول الدور الدينى والعلمى لجامعتى الأزهر والقاهرة فى مواجهة الإرهاب.

أجاب الدكتور أحمد عمر هاشم مؤكدا أن للجامعة دورا إيجابيا من خلال مشروع شباب الجامعة حيث تم تدريب ألفى طالب على القيام بمهمة التوعية الدينية ليلتقوا مع زملائهم من شباب الجامعات فى المعسكرات لإجراء حوارات وتوضيح المفاهيم الصحيحة للدين وهذا الدور يشارك به الشباب إلى جانب العلماء من أعضاء هيئة التدريس والدعاة لتصحيح المفاهيم الخاطئة التى تتردد فى أذهان الشباب، وما يثار من أن الدولة لا تطبق الشريعة الإسلامية والفهم الخاطئ بأن غير المسلمين دمهم حلال.

الشريعة الإسلامية ومقولات ظالمة

ونقول لهؤلاء إن الادعاء أن الدولة لا تطبق الشريعة الإسلامية مقولة خاطئة لأن الشريعة الإسلامية تتضمن ما نؤمن به وما نحمد الله به وما نتخلق به من أخلاق وما نتعامل به من معاملات ثم

تطبيق الحدود فالعقيدة والعبادة والأخلاق والمعاملات والزواج والميراث كله مطبق ولا ينكره أحد، أما الحدود منها عقوبات تطبيقية تعزيرية مفوض الحاكم فيها وهى تطبق، وبعض الحدود كقطع يد السارق لاتطبق إلا بالإقرار كجريمة الفاحشة بالشبهات، ومع كل ذلك يقول الإسلام: «ادرأوا الحدود بالشبهات».

فالذين يرددون أن مصر لا تطبق الشريعة الإسلامية ويتخذونها ورقة وحجة، نقول لهم إن تعاليم الإسلام تطبق فى مصر باستثناء بعض المعاملات والحدود لا يتأتى تطبيقها إلا فى مناخ مهيئ ووجود شهود عدول حتى لا يقف شهود زور يلوثون بعض الناس وينزلون بهم عقوبات هم منها براء.

الجهل بتعاليم الإسلام

وهم يقولون إن كل من ليس بمسلم دمه حلال، وهم يجهلون تعاليم الإسلام الذى يقول: **«من أجل ذلك كتبنا على بنى إسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعا»**.

إن من يعتدى على غير المسلمين يتبرأ الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ منه، قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ **«من اذى ذميا فأنا خصمه»**. وقال: **«من انتقص معاهدا أو كلفه مالا طاقه له به أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيامة»**.

فى كل ذلك دعوة إلى صيانة النفس الإنسانية المعاهدة المستأمنة.

إن أعضاء هيئة التدريس فى الجامعة يوجهون ويرشدون وهنا أناشد كل الجامعات أن تقدم مادة إسلامية دينية وطنية تتناول هذه القضايا الضرورية حتى لا يقع شباب الجامعات فى الخواء الفكرى الدينى

أسلوب الشجب والاستنكار لا يكفى لمعالجة ظاهرة الإرهاب

سأل تامر محمد فؤاد الطالب بكلية الزراعة: هل لنا أن نعتبر هؤلاء الإرهابيين مسلمين ومصريين وكيف يتصدى الشباب لهذا الإرهاب؟

يؤكد الدكتور أحمد كمال أبو المجد أن التعامل مع ظاهرة الإرهاب على أنها ظاهرة أمنية خطأ كبير. فالجانب الأمنى هو آخر الخيط فالظاهرة تبدأ من الجانب الفكرى والتربوى وجزء منها أمنى.

وأضاف أن الثقافة معرفة توجهها منظومة القيم، والعلم معارف يحكمها منهج صادق فى التفكير. والجامعة مكان يربى ويعلم ويزكى قيما ويقدم معارف متنوعة فى التخصصات والأهم من هذا أنه يعلم مهارة التفكير، وهى مهارة تكاد تكون غائبة عن العرب والمسلمين فى هذا الزمان.

وأوضح أن الخلل فى القضية يرجع إلى عدة عوامل أولها خلل فى التفكير، فالإطار المرجعى الذى يرجع إليه بعض الذين يتكلمون باسم الإسلام لم يعرف من يؤخذ منه ومن لا يؤخذ منه، من بقوله وزن علمى ومن ليس له وزن علمى، فهم يؤخذون بأحاديث معظمها موضوع أو ضعيف اتخذوا منها أساسا لبناء فكرهم.

فالجامعة لن تستطيع أن تؤدى دورها إلا بالصدق الفكرى الموضوعى.

إن الشجب أصبح ردا فعليا ثقيلا من كثرة ترديده فى مصر وفى العالم العربى والإسلامى. إذاً القضية تتلخص فى البحث عن العلاج، فالجامعة تمنهج التفكير حتى لا يُضِل ولا يُضَلل من يقدم له الإسلام.

الأمر الثانى: الضحالة والجهل الذى يوشك أن يكون مطبقا على المعارف الإسلامية، ولابد أن يفتح الملف من أوله، ماهو الإسلام، وماذا يريد الإسلام من المسلم. إن المفاهيم الذائعة مغلوطة ومقاصد الشريعة غائبة عنها، فهم الإسلام بعيد عنها كل البعد وهذه أزمة الفكر المصرى العربى والإسلامى المعاصر.

الأمر الثالث: من الذى يعطى ومن الذى يأخذ؟ إن هؤلاء المنحرفين انطلقوا من منهج فاسد واستحلوا أمورا وأتصور أن من أدوار الجامعة أن تتعقب مواضع الخلل فى الصورة التى يقدم بها الإسلام.

خمسة مداخل للعوج فى الفكر الذى يرفع شعار الإسلام

ويرى الدكتور أحمد كمال أبو المجد أن هناك خمسة مواضع تعتبر مداخل للعوج فى الفكر الذى يرفع شعار الإسلام. أولها تعريف الكفر والإيمان خلل هائل لا يرجى معه مقاومة العوج ومعالجة الأمور.

ثانيها: ماذا يريد الإسلام من المسلم فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى دولة منظمة هل لأى شخص أن يتجول فى الطرق فيمنع ما يراه فسادا ويترك ما يراه صوابا؟

ثالثا: قضية طاعة الأمر فيم تكون. فى طاعة الله وفى معصيته طاعة عمياء تسلب معها الإرادة ويساق الإنسان كالأعمى ليس هذا من الإسلام.

وما هى جماعة المسلمين؟ هل هى مجموعة يعتكفون فى خندق أو فى مسكن أو فى واحة يصدرون الأحكام على جماعة المسلمين.

الأمر الرابع: ماهى علاقة المسلم بالآخر؟ هناك فى الحضارة الغربية فكر هو شر عظيم يقول فيه جان بول سارتر إن الغير هو الجحيم بينما فى الإسلام الغير نعيم آخر يؤخذ منه ويعطى ويتعاون معه على البر والتقوى.

ويؤكد د. أبو المجد أن الخلل بدأ منذ ٧٠ سنة، واليوم نتحدث وكأننا نراه وليد اليوم.

وأضاف لو عمدنا إلى كل من بيده سلاح يرهب به الآخرين وقتلناهم جميعا سيأتى أضعاف أضعافهم ذلك طالما أن الخلل الفكرى لا يعالج ولأن المؤسسات والجامعة مقصرة.

واختتم د. أبو المجد حديثه مطالبا بإشراك الشباب فى الحوار لنؤمن عدم خروجهم على القانون، ومن خلال احترام الشباب سيغارون على بلادهم ويحبونها.

كما أن تعليمهم المنهج القويم يحصنهم من مداخل العوج التى يحملها أنصاف المتعلمين ذلك بإفشاء العدل واقتراب الفجوة بين المالكين والحاكمين وانتشار الحرية وسيادة القانون، ثم بتعليم الإسلام الحق الذى هو سماحة وسعادة وبناء.

إنها مأساة أن يتحول الإسلام فى هذا العصر إلى قضية أمنية يرهب بها البعض ويرهبها البعض بينما هو دعوة سلام ونور ورفع حرج وسعادة وبناء.

إذا شغلنا الشباب بالعمل سينشغلون عن السفسطة، وقد كانت حرب أكتوبر ١٩٧٣م خير مثل على ذلك فكم رأينا شبابنا يبذلون أرواحهم من أجل مصر، لم يفكروا أن يمسوا بلادهم بسوء.

إن المسئولية تقع على أجهزة الثقافة والإعلام والتعليم وجهاز الشباب وجهاز الدعوة الدينية، أما تحميل الأمر كله للجامعة فهو تبسيط مبالغ فيه لأن الجامعة واحدة من المؤسسات التى يصل إليها الطلاب بعد أن يكونوا قد قطعوا منتصف الطريق.

إن مهمة الجامعة فيما تملكه تعليم المنهج الصحيح والتزود بالمعارف الإسلامية، والتربية على القيم الأساسية للإسلام ومقاصده.

د. نصر فريد واصل

الشريعة الإسلامية كل لا يتجزأ

سأل ياسر فاروق جمعة الطالب بكلية التجارة لماذا لا تطبق الحدود فى حالات القتل؟

أكد الدكتور نصر فريد واصل مفتى الجمهورية أن الشريعة الإسلامية تحرم سفك الدماء والعنف بجميع صوره وأشكاله وأشار إلى أنه إذا فهم الشباب الإسلام فهما صحيحا فلن يرتكب مثل هذه الأفعال التى تسىء إليه ووطنه ومستقبله.

وأضاف أن هناك أمية ثقافية فى فهم مقاصد الشريعة الإسلامية، لأن الشريعة الإسلامية كل لا يتجزأ من عقيدة ومعاملات، وجانب المعاملات هو الذى جمع الدين كله، يقول النبى - صلى الله عليه وسلم - «الدين المعاملة»، من هنا نحن نحكم على الإنسان أنه متدين أو أنه مسلم من خلال المعاملة العملية فى الحياة، والشريعة الإسلامية فى شق العقوبات تطبق فعلا فى العقوبات الحدية المنصوص عليها، وإذا علمنا أن تطبيق الحدود فى غير القتل فى عصرنا الحاضر يبدو مستحيلا إلا بالاعتراف الكامل الصريح وبعيدا عن الإجبار.

فلا مجال لتطبيق الحد فى الشريعة الإسلامية فى مجال السرقة وارتكاب الفاحشة إلا بالاعتراف الكامل.

د. فاروق إسماعيل

الأنشطة المتعددة فى الجامعة تتيح للشباب المشاركة بدور فعال فى مكافحة الإرهاب

دعا الدكتور فاروق إسماعيل رئيس جامعة القاهرة الشباب إلى ممارسة السياسة فى الجامعة من خلال اتحادات الطلاب والأسر والجمعيات. وأشاد بأساتذة الجامعة لدورهم الفعال والموضوعية فى طرح قضايا الوطن.

وقال: إن المجالات المتعددة داخل الجامعة يشارك من خلالها الشباب فى الأنشطة المختلفة، وكيف يؤدى خدمة لمجتمعه، فالطالب يتعلم فى الجامعة، ويتأسى بالقدوة الحسنة، والمثل العليا من الأساتذة والمسئولين.

ويؤكد رئيس جامعة القاهرة أن ظهور ثلاثة إرهابيين من الجامعة لا يعنى أن شباب الجامعة قد انحرف إنما هؤلاء قلة قليلة، ويستدعى الأمر أن يقوم علماء النفس والاجتماع بدراسة هذه المشكلة وظروف هؤلاء الطلاب والبيئة التى نشأوا فيها، فقد تم استقطاب هؤلاء تحت ظروف وضعف لابد من اكتشافها.

وأشار إلى أن ارتكاب البعض من شباب الجامعة لهذه الجريمة يعطى الضوء الأحمر لكى نعيد التفكير فيما نقدمه للشباب من أنشطة ثقافية، وفى المساحة الديمقراطية المتاحة لهم، وأسلوب الممارسة السياسية داخل الجامعة. وهناك فرق بين الممارسة السياسية وبين العمل الرسمى الذى لا نؤيده إنما هى مساحة للمناقشة فى معظم كليات الجامعة.

رحمه الله ـ : «من خاف الله دله الخوف على كل
خير» إحياء علوم الدين ج٤ ص١٦٠، ثم الحاجة إلى
رضاه: وتلك نعمة عظيمة نسأل الله ان ينعم بها
علينا، والشعور أيضا بأنه صاحب الفضل والنعمة،
وقد ذكر الله جزاء المخلصين فى القرآن فقال ـ
سبحانه ـ «جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجرى من
تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا رضى الله عنهم
ورضوا عنه ذلك لمن خشى ربه» سورة البينة: آية ٨.

***

الإخلاص لله ـ جلت قدرته ـ هو مصدر الفلاح
والنجاح فى الدنيا والآخرة، فالإخلاص يعنى مراقبة
الله فى السر والعلن والعلم بكتابه ـ سبحانه ـ وسنة
رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وإذا وصل العبد إلى
هذه المرتبة العلية فقد باع الدنيا وما فيها ومن فيها
وتفرغ للباقية، ومن هنا تخرج أعماله طيبة مباركة
ليس فيها إلا الصدق والعدل والأمانة والرحمة وحب
الخير لجميع الناس.

(الحرب ضد الإسلام)

للقارئ / عصام محمد خليل النيل

المسلم الغيور على دينه والمتابع للصحف والمجلات
الإسلامية يستلفت انتباهه ويستثيره بعض العناوين
التى أصبحت مألوفة لما بات يحاك ضد الدعوة
الإسلامية مثل: اليهود يبدأون حربهم المقدسة بسبب
رسول محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكذلك
قولهم: مصر ترفض التدخل الأمريكى فى قضية
كشمير... تان، وكذلك مثل: (فيلم يثير غضب المسلمين فى
الهند) واقتحام مسجد فى بلغاريا، ثم طرد مسلمة
من عملها بباريس لارتدائها الحجاب، ومعسكرات فى
... رما لاغتصاب المسلمات، من خلال هذه الأخبار
لاشك أننا سنشعر بالحرب الشرسة التى تشنها القوى العالمية الغربية والإلحادية واليهودية والتبشيرية ضد الإسلام للقضاء على الدعوة الإسلامية؛ لأنهم يعلمون أنه باتحاد الدول الإسلامية سيسود الإسلام العالم كله، ولن تقف أمامهم عقبة لنشر الدعوة الإسلامية، ولكن سنظل مستضعفين مصداقا لحديث الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ «يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها، قالوا: أمن قلة نحن يا رسول الله؟ قال: بل أنتم كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل».

فعدد المسلمين الآن يربو على المليار مسلم فى مختلف أنحاء العالم وهو نفس عدد المسيحيين تقريبا ويبلغ عشرات أضعاف عدد اليهود (نحو ٦٠ مليونا) ولكن المسلمين مضطهدون ومحاربون فى كل مكان، ومعرضون للقتل والتعذيب والتنكيل والتشريد بغرض القضاء على الدعوة الإسلامية كما يقول ـ تعالى: **«يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون»**، ولكن الحرب على أشدها الآن من اليهود الذين جاء فيهم قوله تعالى: «لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا» وقوله سبحانه: «كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله» وقوله ـ عز وجل ـ «ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين».

***

النصر بعون الله ـ تعالى ـ لا محالة قادم مهما تضافرت قوى الشر وتكاتفت جيوش العدوان، وهذا يستلزم من المسلمين والعرب جميعا استعمال الحكمة وبعد النظر والتفكير السليم بعين العقل وحسن الروية واضعين نصب أعينهم قوله سبحانه وتعالى: «كتب الله لأغلبن أنا ورسلى إن الله لقوى

عزيز» ومع ذلك لابد من وقفة لشحذ الهمم ولم الشمل العربى حتى تتفق الجهود المسلمة على كلمة واحدة مصداقا لقوله عز وجل: «إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم».

(سبحان الله)

للقارئ/ الشيخ عثمان إبراهيم عامر - شيخ معهد كفر البطيخ الأزهرى - دمياط

فى النفس كبر إبليس وحسد قابيل وعتو عاد وطغيان ثمود وجرأة نمرود واستطالة فرعون وبغى قارون وقحة هامان وهوى بلعام وحيل أصحاب السبت وتمرد الوليد وجهل أبى جهل، وفيها من أخلاق البهائم: حرص الغراب وشره الكلب ورعونة الطاووس ودناءة الجعل وعقوق الضب وحقد الجمل ووثوب الفهد وصولة الأسد وفسق الفأرة وخبث الحية وعبث القرد وجمع النملة ومكر الثعلب وخفة الفراش ونوم الضبع، (الفوائد لابن القيم) تحقيق عصام الدين الصبايطى طبعة دار الحديث.

* * *

النفس مليئة بالمتناقضات، فهى كما تحمل الخير كذلك يداخلها ويلابسها الشر، وأعتقد أن القرآن الكريم قد ألمح إلى هذا فى قوله - سبحانه وتعالى -: «ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها. قد أفلح من زكاها. وقد خاب من دساها» فإذا تواجدت هذه العوامل مجتمعة فى النفس البشرية أمكنها أن تحجب عنها الرؤية وتجعلها فى مضيق عسير، ولكن من عمل بقول الله تعالى وزكاها فقد أفلح ونجا من شرورها وآفاتها.

(كلمات للحياة)

للقارئ محمود محروس محمد - طنبدى - مغاغ
- المنيا

كيف تكون سعيدا؟ اجعل هدفك فى الحياة أن تت
إرادة الله، كيف تكون تعيسا؟ حاول أن تشب
رغباتك الشخصية وملذاتك الجسدية، كيف تكو
غنيا؟ إن كان عندك القوت والكساء فاكتف به
كيف تكون فقيرا؟ تعلم الكسل ولا تعمل شيئا فيأت
فقرك سريعا، كيف تكون حكيما؟ لا تظن أنك شى
بل اعترف بجهلك ولا تخجل أن تتعلم من أى شى
واطلب معرفة الله، كيف تنتصر؟ اهزم نفسك و
تحتقر عدوك واتكل على الله، كيف تحافظ عل
الانتصار؟ استقر تحت يد الله القوية واحذر الانتفا
واعط المجد لله وحده، كيف تعيش طويلا؟ عش
كثيرا فى وقت قصير، فكم من رجل مات شيخا وه
فى الثلاثين من عمره بينما الآلاف ماتوا أطفالا ف
الستين.

* * *

لو أردت فعلا الحياة بمعناها الصحيح فابتعد ع
الطمع والنزوات والكبر والغرور والتعالى وحاول أ
تكون كيسا فطنا عاملا مجدا ولا تغتر بإقبال الدن
عليك، فإقبالها لا يدوم، فانتهز منها ساعات الرض
وكن على صلة دائمة بالله - عز وجل - واعرف أ
صاحب الحول والطول وما أنت إلا ثمرة ناضجة م
ثمار تلك الحياة.

(السيدة خديجة - رضى الله عنها)

للقارئ/ يوسف محمد محمود حرحيرة

السيدة/ خديجة - رضى الله عنها - هى أول
زوجات النبى - ﷺ - وهى مبشرة بالجنة من ربها

ـز وجل ـ وهى السيدة التى تحملت الحياة حلوها ـمرها مع رسول الله ـ ﷺ ـ فى بداية الدعوة إلى ـلله سبحانه وشاركت فيها بكل ما تستطيع من مال ـجهد، وهى التى واست الرسول ـ ﷺ ـ دائما فى ـل أوقات الأذى من قومه ومن كفار مكة عندما ـانت تراه مهموما، وكانت تقول له: اصبر يا ابن ـعم فلن يخزيك الله أبدا، وقد عاشت مع النبى ـ ـليه الصلاة والسلام ـ مجاهدة مناضلة ـ رضى الله ـنها ـ وقد أخلص لها النبى فى حياتها وبعد مماتها ـكان ـ ﷺ ـ وفيا لكل صديقاتها وكان كثيرا ما ـتحدث عنها ويذكرها بالخير، حتى إن بعض زوجات ـنبى ـ ﷺ ـ قد اغتاظت من ذلك وقالت: (إن هى ـلا عجوز تلد، فغضب الرسول ـ ﷺ ـ من ذلك ـقال: والله ما أبدلنى الله خيرا منها، آمنت بى إذ ـفر بى الناس، وصدقتنى إذ كذبنى الناس، وواستنى بمالها إذ حرمنى الناس، ورزقنى الله منها الولد دون غيرها من النساء) وهكذا كان رسول الله ـ ﷺ ـ وفيا لها فى حياتها وبعد مماتها.

* * *

لقد كانت السيدة خديجة ـ رضى الله عنها ـ نموذجا حيا للإخلاص والوفاء والصدق والبذل والتضحية بكل المعانى السامية، وكانت مواقفها النبيلة يتحدث عنها جميع الناس، حتى إنها تركت فراغا كبيرا فى حياة الرسول ـ ﷺ ـ بعد موتها، مما جعل أهل مكة ينالون منه ويتحرشون به، وقد أثر هذا فى نفس النبى ـ ﷺ ـ وحزن حزنا عظيما لذلك، ولكن الله ـ سبحانه ـ لم يتركه لهذا الحزن الفادح، فقد أسرى بعبده وعوضه بتلك الرحلة عما ألم به من أحزان وآلام.

مسابقة منبر الإسلام للحج والعمرة ـ رمضان ١٤١٨هـ (١)

السؤال: من اعتكف تطوعا ثم قطعه استحب له قضاؤه فإن التطوع لا يلزم بالشروع فيه إلا فى الحج أو العمرة

من قائل هذه العبارة وفى أى مقال وردت؟

عنوان المقال: .... إسم الكاتب: ....

العنـــوان: ....

العمـــل: ....

اسم المتسابق: .... رقم التليفـــون: ....

رقم البطاقـــة: .... جهة الصدور: ....

املأ بيانات هذه البطاقة بعد معرفة الإجابة، واحفظها عندك لترسل إلينا جميع البطاقات مرة واحدة فى آخر أشهر المسابقة عسى أن تفوز برحلة للحج أو رحلة للعمرة. ومسابقة هذا العام تبدأ من شهر رمضان ١٤١٨هـ حتى شعبان ١٤١٩هـ

بريد التعارف
أهلاً

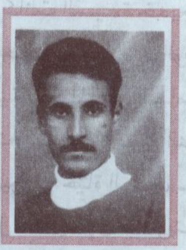

الاسم : أحمد حسين إبراهيم
الهواية : الشعر ـ الاطلاع الديني
العنوان : المنيا ـ مغاغة

الاسم : محمد عبدالصمد زكى أحمد
الهواية : القراءة ـ الاطلاع الدينى وكتابة الشعر
العنوان : المنيا ـ مغاغة ـ ش الزهور القبلى

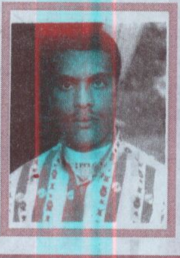

الاسم : سالم مهنى عبدالعظيم محمد
الهواية : القراءة والاطلاع الدينى
العنوان : قرية شبرا النونة ـ غرب محافظة البحيرة
السن : ٢١ سنة
المهنة : طالب بكلية أصول الدين

الاسم : عبدالعزيز رشاد عبدالعزيز الحيطى
الهواية : ممارسة الرياضة
العنوان : قرية شبرا النونة ـ غرب محافظة البحيرة
المهنة : أخصائى طوارئ صحية

الاسم : جمال رجب عبدالرحمن الوكيل
الهواية : الوعظ والإرشاد
العنوان : ميت جابر ـ بلبيس ـ شرقية
المهنة : إمام وخطيب مسجد الوكيل

الاسم : أحمد فرج الله محمود الشاذلى
الهواية : قراءة القرآن والاطلاع الدينى
السن : ٢٢ سنة
العنوان : إيتاي البارود ـ شارع رمسيس

الاسم : السيد كامل السيد سليم
السن : ٢٤ سنة
المهنة : خريج كلية التربية ـ جامعة الأزهر
العنوان : قرية أصفون المطاعنة ـ مركز إسنا ـ محافظة قنا

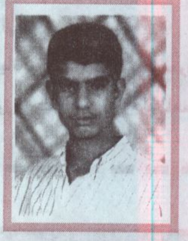

الاسم : محمد مصطفى إبراهيم
الهواية : المراسلة ـ (عربى ـ E)
العنوان : القاهرة ـ مساكن الأميرية الجديدة

الاسم : ناجح حامد محمد حسن
الهواية : القراءة وإلقاء الخطب
العنوان : كوم المنصورة ـ أبنوب ـ أسيوط

الاسم : عيد ندا محمد معتوق جاهين
الهواية : المراسلة ـ كرة القدم
العنوان : زاوية الحدامى ـ مغاغة ـ المنيا

الاسم : محروس فكرى خليل
الهواية : قراءة كتب السنة والصوفية
العنوان : قنا ـ نقاده ـ كوم الضبع

الاسم : نور الدين مصباح أحمد منصور
الهواية : قراءة الكتب الدينية والمراسلة
العنوان : العامرية ـ مركز المحلة الكبرى ـ غربية

الاسم : على أحمد قاسم
الهواية : اطلاع دينى
العنوان : أسوان ـ كوم امبو ـ عزبة حجاجى
المهنة: موظف بالشباب والرياضة

الاسم : مصباح محمد نصر
السن : ٥٢ سنة
المهنة :مزارع
العنوان: أكياد القبلية ـ فاقوس ـ الشرقية

الاسم : محمد أمين حامد محمد
السن : ٣٠ سنة
المهنة : أخصائى اجتماعى
العنوان : الأقصر ـ الطود قبلى

الاسم : محمود إبراهيم عبدربه
السن : ٤٧ سنة
المهنة : موظف بالمعاش
العنوان : الغريب ـ زفتى ـ غربية

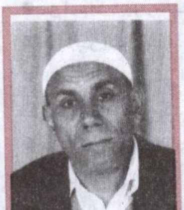

تعارف منبر الإسلام

الاسم : ....
الهواية: ....
العنوان: ....

ترجو المجلة من قرائها فصل الكوبون المجاور وملء بياناته وإرفاق الصورة به وإرساله إلينا

محتويات العدد

الموضوع	الكاتب	الصفحة
□ حديث الشهر ـ رمضان كريم	بقلم: رئيس التحرير	٢
□ كلمتا وزير الأوقاف فى الأقصر وأسوان	د.محمود حمدى زقزوق	٥
● يا شهر الصيام (شعر)	محمد عبدالرحمن صان الدين	١٠
□ القرآن الكريم وعلومه		١١
● نظرات فى آيات الصيام	د. محمد سيد طنطاوى	١٢
● آداب التعامل مع الرسول (ص)	د.محمود حمدى زقزوق	٢٠
● التفسير البيانى للقرآن الكريم	د. عبدالغفار حامد هلال	٢٣
● أيحسب الإنسان أن يترك سدى	أ. محمد عبدالعظيم الجوهرى	٢٧
□ فى رحاب شهر الصيام		٣١
● الصيام الكامل والمقبول	د. أحمد عمر هاشم	٣٢
● رمضان عيد ميلاد الأمة الإسلامية	د. محمد عمارة	٣٥
● الاعتكاف فى شهر رمضان	د. عبدالرحمن العدوى	٣٩
● استقبال شهر رمضان	الشيخ منصور الرفاعى عبيد	٤٣
● كيف نصوم رمضان	د. عبدالمهدى عبدالقادر	٤٥
● دروس وعبر من فتح مكة المكرمة	د. صبرى عبدالرؤوف محمد	٥١
● من أمجاد التاريخ الإسلامى	لواء جمال حماد	٥٥
● من الذكريات البعيدة فى الشهر الكريم	د. رمضان عبدالتواب	٦٤
□ ملف العدد ـ الزكاة بين العبادات		٦٧
● مكانة الزكاة بين العبادات وأهميتها	د. نصر فريد واصل	٦٨
● العدل فى العطاء بين الأغنياء والفقراء	الشيخ إبراهيم الدسوقى	٧٠
□ الدعوة والدعاة		٨٥
● من أحداث شهر رمضان الكريم	د. أحمد شلبى	٨٦
● غزوة بدر الكبرى	د. إبراهيم أحمد العدوى	٩٠
● التحدى السياسى فى العالم الإسلامى	د. محمد الشحات الجندى	٩٤
□ المكتبة الإسلامية		٩٩
● مختارات من المحمديات	عرض: فتحى الإبيارى	١٠٠
● رمضان وافى (شعر)	د. عزت شندى موسى	١٠٥
● قمر صناعى إسلامى (لأول مرة)	تحقيق : بدر السيد ـ محمد كامل	١٠٧
□ ندوة الشهر ـ الإمام محمد عبده	متابعة: سعيد صالحة	١١٣
□ من وراء الأخبار واللقاءات	إعداد: منير بيومى	١٢٢
● أنت تسأل والفقيه يجيب	الشيخ عطية صقر	١٣٠
● مع القراء	يحرره حسين السكرى	١٣٨
● التعارف		١٤٢
● محتويات العدد		١٤٤

إمساكية شهر رمضان المعظم لسنة ١٤١٨ هجرية

قَالَ اللّه تعالَى : {شَهْرُ رَمَضَانَ الّذى أنزلَ فيه القُرآنُ هُدًى للّناسِ وبيِّناتٍ منَ الهُدَى والفُرْقَانِ فَمَن شَهِد منكُمُ الشّهْرَ فَلْيَصمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضا أوْ عَلَى سَفرٍ فَعِدةٌ مِن أيامٍ أُخَرَ}

وقَالَ علَيه الصلاةُ والسَّلام : {صومُوا لرؤْيتِه وأفطِرُوا لرؤيتِه فَإن غُمّ عليْكُمْ فأكْمِلُوا عِدةَ شَعْبَانَ ثلاثينَ يَوْماً}

أيام الشهر	تواريخ: هجرى رمضان ١٤١٨	تواريخ: ميلادى ديسمبر ١٩٩٧	مدة ساعات الصوم ق	مدة ساعات الصوم س	مغرب مساءً ق	مغرب مساءً س	عشاء مساءً ق	عشاء مساءً س	سحور صباحاً ق	سحور صباحاً س	إمساك صباحاً ق	إمساك صباحاً س	فجر صباحاً ق	فجر صباحاً س	شروق صباحاً ق	شروق صباحاً س	ظهر صباحاً ق	ظهر صباحاً س	عصر مساءً ق	عصر مساءً س
الاربعاء	١	٣١	٠٧	١٢	٥	٥	٢٨	٦	٥٨	٢	٥٨	٤	١٨	٥	٥١	٦	٥٨	١١	٤٧	٢
الخميس	٢	١	٨		٦		٢٩		٥٨		٥٨		١٨		٥١		٥٨		٤٧	
الجمعة	٣	٢	٨		٧		٢٩		٥٩		٥٩		١٩		٥١		٥٩		٤٨	
السبت	٤	٣	٨		٧		٣٠		٥٩		٥٩		١٩		٥١		٥٩	١١	٤٩	
الاحد	٥	٤	٩	١٢	٨		٣١	٦	٥٩	٢	٥٩	٤	١٩	٥	٥٢	٦	٠٠	١٢	٤٩	٢
الاثنين	٦	٥	١٠	١٢	٩	٥	٣٢	٦	٥٩	٢	٥٩	٤	١٩	٥	٥٢	٦	٠٠	١٢	٥٠	٢
الثلاثاء	٧	٦	١٠		١٠		٣٢		٠٠	٣	٠٠	٥	٢٠		٥٢		٠١		٥١	
الاربعاء	٨	٧	١٠		١٠		٣٣		٠٠		٠٠		٢٠		٥٢		٠١		٥٢	
الخميس	٩	٨	١١		١١		٣٤		٠٠		٠٠		٢٠		٥٢		٠٢		٥٢	
الجمعة	١٠	٩	١٢	١٢	١٢	٥	٣٤	٦	٠٠	٣	٠٠	٥	٢٠	٥	٥٢	٦	٠٢	١٢	٥٣	٢
السبت	١١	١٠	١٣	١٢	١٣	٥	٣٥	٦	٠٠	٣	٠٠	٥	٢٠	٥	٥٢	٦	٠٢	١٢	٥٤	٢
الاحد	١٢	١١	١٤		١٤		٣٦		٠٠		٠٠		٢٠		٥٢		٠٣		٥٤	
الاثنين	١٣	١٢	١٤		١٤		٣٦		٠٠		٠٠		٢٠		٥٢		٠٣		٥٥	
الثلاثاء	١٤	١٣	١٥		١٥		٣٧		٠٠		٠٠		٢٠		٥٢		٠٤		٥٦	
الاربعاء	١٥	١٤	١٦	١٢	١٦	٥	٣٨	٦	٠٠	٣	٠٠		٢٠	٥	٥٢	٦	٠٤	١٢	٥٧	٢
الخميس	١٦	١٥	١٧	١٢	١٧	٥	٣٩	٦	٠٠	٣	٠٠	٥	٢٠	٥	٥٢	٦	٠٤	١٢	٥٨	٢
الجمعة	١٧	١٦	١٨		١٨		٣٩		٠٠		٠٠		٢٠		٥٢		٠٥		٥٨	
السبت	١٨	١٧	١٩		١٩		٤٠		٠٠		٠٠		٢٠		٥١		٠٥		٥٩	٢
الاحد	١٩	١٨	٢٠		٢٠		٤١		٠٠		٠٠		٢٠		٥١		٠٥		٠٠	٣
الاثنين	٢٠	١٩	٢٠	١٢	٢٠	٥	٤٢	٦	٠٠	٣	٠٠	٥	٢٠	٥	٥١	٦	٠٦	١٢	٠١	٣
الثلاثاء	٢١	٢٠	٢١	١٢	٢١	٥	٤٢	٦	٠٠	٣	٠٠	٥	٢٠	٥	٥١	٦	٠٦	١٢	٠١	٣
الاربعاء	٢٢	٢١	٢٢		٢٢		٤٣		٠٠		٠٠		٢٠		٥٠		٠٦		٠٢	
الخميس	٢٣	٢٢	٢٣		٢٣		٤٤		٠٠		٠٠		٢٠		٥٠		٠٦		٠٣	
الجمعة	٢٤	٢٣	٢٤		٢٤		٤٥		٠٠	٣	٠٠	٥	٢٠		٥٠		٠٧		٠٤	
السبت	٢٥	٢٤	٢٦	١٢	٢٥	٥	٤٥	٦	٥٩	٢	٥٩	٤	١٩	٥	٤٩	٦	٠٧	١٢	٠٤	٣
الاحد	٢٦	٢٥	٢٧	١٢	٢٦	٥	٤٦	٦	٥٩	٢	٥٩	٤	١٩	٥	٤٩	٦	٠٧	١٢	٠٥	٣
الاثنين	٢٧	٢٦	٢٨		٢٧		٤٧		٥٩		٥٩		١٩		٤٩		٠٧		٠٦	
الثلاثاء	٢٨	٢٧	٢٩		٢٧		٤٨		٥٨		٥٨		١٨		٤٨		٠٨		٠٧	
الاربعاء	٢٩	٢٨	٣٠	١٢	٢٨	٥	٤٨	٦	٥٨	٢	٥٨	٢	١٨	٥	٤٨	٦	٠٨	١٢	٠٧	٣

ق س

صلاة عيد الفطر المبارك ١٣ ٧.

يسر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

أن يزود المكتبة الإسلامية والقارىء المسلم فى جميع أنحاء العالم الإسلامى بأمهات الكتب التى صدرت عن المجلس ومنها:

أمهات كتب التراث الإسلامى

- الأحاديث القدسية مع تعليق كبار العلماء
- صحيح البخارى الأجزاء من ١ : ١١
- سبل الهدى والرشاد الأجزاء من ١ : ١١
- السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار الأجزاء من ١ : ٤
- المقتضب للمبرد الأجزاء من ١ : ٤
- الوجوه والنظائر الأجزاء ١ : ٢
- مختصر سيرة ابن هشام الأجزاء ١ : ٢
- بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز الأجزاء من ١ : ٦
- المعلم بفوائد مسلم الأجزاء ١ : ٢
- إخلاص الناوى من ١ : ٤

المصحف الشريف

- المصحف الشريف طباعة المجلس ٢ لون بصمة ذهب
- المنتخب فى تفسير القرآن الكريم «مجلد فاخر»
- المصحف المعلم ٣٨ شريطا للشيخ الحصرى
- المصحف المرتل ٢٢ شريطا للشيخ محمود خليل الحصرى
- المصحف المجود ٦٠ شريطا للقراء عبد الباسط عبد الصمد - مصطفى إسماعيل محمود على البنا - محمود خليل الحصرى

وهذه الكتب لكبار العلماء القدامى وكبار المحققين فى العالم الإسلامى:

- موسوعة الفقه الإسلامى الأجزاء من ١ : ٢٥
- الفتاوى الإسلامية مجلدات من ١ : ٢٠
- مساجد مصر وأولياؤها الصالحون الأجزاء من ١: ٥

وتيسيرا على القارىء المسلم ومشاركة فى تزويد المكتبات الإسلامية بالمطبوعات التى صدرت عن المجلس، تباع هذه المطبوعات للجمهور بسعر التكلفة الفعلية، مع إجراء نسبة خصم للبيع بالنقد إذا زاد عدد النسخ المباعة على عشر للكتاب الواحد أما بالنسبة للهيئات الحكومية والمؤسسات العامة فيمكن البيع بالأجل على أقساط شهرية دون أية زيادة على أسعار التكلفة الفعلية.

مراكز البيع

القاهرة ٩ شارع النباتات - جاردن سيتى - ٧٦ شارع الجمهورية (شرائط القرآن الكريم)

٢ شارع الأمير قدادار المتفرع من ميدان التحرير - المواعيد من الساعة ٩ صباحا إلى الساعة ٢ مساء

الاسكندرية فرع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ٤٢ شارع سعد زغلول

مطابع الأهرام التجارية - قليوب